المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
الدراسات العليا
قسم الدعوة والاحتساب

الدعوة الإسلامية في بلاد الشام
أساليبها ووسائلها ونتائجها
من بداية الدعوة حتى سنة ٢٣ هجرية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

تقديم الطالب
عبد الرحمن بن سليمان الخليفي

إشراف
فضيلة الدكتور فضل إلهي بن شيخ ظهور إلهي
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب

١٤١٠هـ

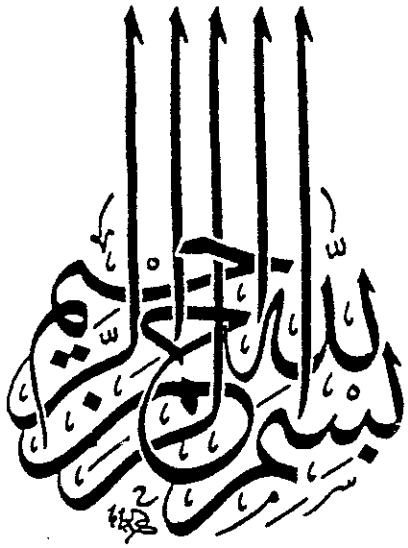
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وسلم .

أما بعد :

فإن الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين، فهي من أشرف الوظائف.

وإن الجهود الدعوية التي بذلت في سبيل الله تعالى قد سارت قوافلها منذ بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى أن تقوم الساعة.

وقد انتشرت هذه القوافل لتنشر الإسلام، وتنير الأبصار قبل أن تحكم الأمصار، فأشرقت شمس الفتوحات الإسلامية - التي أزاحت ما وقف في طريق الدعوة - أشرقت على الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.

ومن هذه البلاد بلاد الشام التي هي ميدان بحثي - بعون الله تعالى - راجيا من الله تعالى أن يوفقني لإبراز الجهود التي بُذِلَتْ في هذه المنطقة، لأنها جهود عددٍ من الصحابة والتابعين بذلوا دماءهم وأموالهم في سبيل هذه الدعوة العظمى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون).(١)

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٠ .

وكان وراء اختيار هذا الموضوع عدة أسباب دفعتني للبحث فيه، وهي:

أولا : هدف عـــام :

إن هـذا البـحث يُـمَـثّـلُ جزءا مـن تـاريـخ الدعوة الإسلامـيـة الذي لم يـحظ بـبـحث وافـر. فـبـقـيـت جهود الدعاة مـبـعثرة في الكـتـب لا يـطّلع عليـها أبـنـاء الإسلام إلا أجزاء مـقـسمـة في صفحات مـتـنـاثـرة، وأساليـب مـتـعددة، فأردت أن أجمـعها في كـتاب واحـد يـطـلع الجـيـل على جهود الدعاة الذيـن تـربـوا في مـدرسة مـحمـد - صلى الله عـليـه وسلم - فيـأخذوا مـا يـعيـنـهم في طريـق الدعوة لإخراج النـاس مـن الظلمـات إلى النور بإذن ربهم.

وهـذا هـو الهـدف الأسـاس لهـذا البـحـث، فـأُظـهِرُ جهود الدعاة للمـجتـمـع المـسلم حتـى يـستـفيـد مـنـه أفراد المـجتـمـع بـعامـة، سواء أكـانـوا دعاة أم أنـاسا تخلّوا عن الدعـوة، راجـيـا مـن الله تـعالى أن يـكـون هذا البـحث سبـبـا لتـحريـك الهمـم في الدعوة إلى الله.

ثانيا : هدف تربوي :

إذ أن قـراءة سـيـر السلف وسيـر أصحاب الفتـوحات وأئمـة الإسلام تـرتـفع بـالـنـفس إلى أعـلى المـسـتـويـات، وفي هذا البـحث سوف أتـطرق - بـعون الله تـعالى - لذكـر الدعـاة الفـاتـحـيـن الذيـن خرجوا للدعوة ونـشروا الإسلام، فسخروا طاقـاتـهم وأوقـاتـهم لهذه الدعوة، ولم يركنوا إلى النساء والأولاد والأموال.

ففي قـراءة سيـر هؤلاء درس تـربـوي يـسمـو بـالـنـفس ويـزكـيـها، ويـجعلها تـنظر أوامـر الله وسنـن نـبـيـه - صلى الله عليـه وسلم - مـطبـقـة أمـام الأعيـن، فيـستـفيـد منها الكاتب والقارىء على السواء إن شاء الله تعالى.

ثالثا : هدف دعوي عملي :

فقدوتنا الذين نستلهم منهم العلم والعمل هم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام، والأئمة الأعلام، فكما قام معاذ - رضي الله عنه - مهددا لعظيم الروم، وقام خالد - رضي الله عنه - مخاطبا لهم بكل لين، وأُرسِلَتْ الرسائل بين الترغيب والترهيب، وأقيمت المناظرات والمناقشات، فنأخذ من هذا طريقة المعاملة المثلى مع الناس، فلا يشتد الداعية في موضع اللين، ولا يلين في مقام الشدة، كما نأخذ حصيلة علمية تكون ذخرا لنا في معترك الجهالات التي تحيط بنا من كل ناحية، ونأخذ نورا يبدد الظلمات التي خيمت على مداركنا إلا من رحم الله، فهذا درس دعوي عملي نستفيده من هذه الدراسة.

رابعا : معرفة أثر الإسلام في تغيير الناس :

ونعرف من هذه الدراسة كيف تغيرت أحوال البلاد المفتوحة، والشعوب المحكومة حتى صاروا يدعون للمسلمين، كما فعل أهل حمص عند رحيل المسلمين، فأخذوا يبكون ويقولون: ردكم الله الينا، فأنتم أرحم من بني جلدتنا وأرأف بنا. فننظر كيف توصل هؤلاء الدعاة إلى قلوب المجوس وأهل الكتاب، حتى أحبوهم، فآمن جزء منهم، وكسب المسلمون محبة الآخرين، وهذا أمان لهم من الثورات الداخلية في البلاد المفتوحة، وإن لم يحبوهم الحب الأكمل، ولكن كان حنقهم على المسلمين أقل من حنقهم على الروم، لأن الله تعالى يقول: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم).(١)

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٠ .

الجديد المتوقع بفضل الله تعالى :

ما أشعر أن هذا البحث سَيُسهِمُ به - بإذن الله تعالى - هو: معلومات مجتمعة موثقة تكون بين يدي القارىء. وسوف أعرض - بمشيئة الله تعالى - لأهم الوسائل والأساليب التي نجح استعمالها في هذه البلاد، ومع هذه الشعوب، وفي أي ميدان كانت، ثم أعرض لنتائج هذه الدعوة، وعوامل نجاحها، وأزين بحثي بالترجمة لبعض الدعاة في هذه الحقبة والقطر، والله المستعان.

الدراسات السابقة في الموضوع :

لم أعثر في كتب الدعوة الإسلامية والتاريخ على مُؤَلَّفٍ جمع الدعوة في هذه البلاد، وكل ما وجدته هو كتب تاريخية جاء في صفحاتها وبين سطورها ذكر لأمر الدعوة، والمقصود الرئيسي من ذكره الحدث التاريخي وليس أمر الدعوة، لأن المؤلفين ممن يهتمون بالتاريخ أكثر منهم بالدعوة، وأقرب كتاب وجدته يتكلم عن الدعوة هو كتاب: (الطريق إلى دمشق)، لمؤلفه الأستاذ/ أحمد عادل كمال، ولكنه في كتابه هذا يسرد أحداثاً تاريخية ووقائع أكثر منه متكلما عن الدعوة، وإن كان هو أكثر كلاما عن الدعوة، ولكنه ليس كتابا متخصصا فيها، ولم يظهر أن القصد من تأليفه هو استخلاص أمور الدعوة، وأكبر برهان هو موضوع الكتاب.

كما أن هناك كتابَ (حروب الإسلام في الشام) للأستاذ/ محمد أحمد باشميل، وهذا كتاب تاريخي كذلك، ورد فيه ذكر بعض وسائل وأساليب وعقبات الدعوة، ولكنها بين طيات الفصول.

العقبات والمشكلة البحثية :

إن من أهم العقبات أن أخذ الدعوة من كتب التاريخ يحتاج قراءة كثيرة، حتى نجد ما يناسب الدعوة، فمن عدد الجيوش ومواقعهم، ومتى وقعت المعركة وانتهت إلى غير ذلك من مسائل التاريخ نجد المناظرة أو المجادلة، وهذا أمر يحتاج إلى جد في الاطلاع.

خطة البحث :

قسمت الموضوع إلى مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة. تكلمت في المقدمة عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وما سأقدمه من جديد في الموضوع - بعون من الله تعالى - وأذكر ما قابلني من صعوبات، وها أنذا أفصل فيها خطة سير البحث، وأبرز النقاط فيه.

ففي التمهيد مصطلحات العنوان، وعن البيئة الشامية.

أما الفصل الأول فعنوانه: **"بداية الدعوة والعقبات التي واجهتها"**، وفيه مبحثان:

الأول : نبذة عن بداية الدعوة في الشام .

وقد ذكرت فيه كيف أن الدعوة سارت باتجاهها إلى الشام، وفي طريقها إليه ذهب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى دومة الجندل، ثم أرسل إليها عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، ثم أرسل كعب بن عمير - رضي الله عنه - إلى ذات أطلاح، وبعدها أرسل القادة الثلاثة إلى مؤتة في الشام ، ودحية الكلبي إلى هرقل، وأخذ يرسل إلى العرب المتنصرين في الشام، فبعث شجاع بن وهب - رضي الله عنه - إلى المنذر بن الحارث الغساني، وعمرو بن العاص - رضي الله عنه

- إلى بلي، ومن يليهم من قضاعة.

وبعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - عمل أبو بكر على إنفاذ جيش أسامة ابن زيد - رضي الله عنهم - بالرغم من معارضة كثير من الصحابة - رضوان الله عليهم - له.

وفي الثاني : **العقبات في طريق الدعوة .**

وكتبت فيه عن أنواع العقبات، وأنواع أصحابها، فاستعرضت المؤامرات على الدعوة، وأشرت إلى أن العرب المتنصرين كانوا من أهم العقبات، فبينت أنواعهم ومجابهتهم للدعوة سرا وجهارا، وكتبت عن الظروف الجغرافية والمناخية، وكثرة الأعداء، وقلة الدعاة، وتفرق الجيوش بادئ الأمر، ثم ختمت هذه العقبات، بتفشي الأمراض بين الدعاة.

وقد جعلت عنوان الفصل الثاني: **الميادين والوسائل :**

ذكرت في بدايته تعريف الميدان والوسيلة، ثم قسمته إلى مبحثين:

الأول : الميادين، وبينت فيه أن ساحة الجهاد كانت أول الميادين المستخدمة في هذا المجال، ثم تكلمت عن المسجد، الميدان الثاني، وذكرت مهام المسجد في الدعوة، ثم ضربت أمثلة للمساجد التي بناها الدعاة في هذه البلاد، وختمت المبحث بالكلام عن المدرسة التي جاءت في المسجد.

والثاني: الوسائل، وذكرت ثلاث وسائل استخدمها الدعاة، وكان أولها الرسائل التي أرسلت من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن الخليفتين من بعده، ومن القادة الفاتحين، وثانيها: الرسل، وثالثها: الجهاد، إذ تبين من خلال البحث بداية الجهاد وأركانه ودعائمه والمشاركون فيه.

وكان عنوان الفصل الثالث: **الأساليب** .

واستعرضت منها أربعة أساليب، حل أسلوب في مبحث، فالأول: الدعوة بالترغيب والترهيب، فالترغيب من خلال المناظرات والرسائل التي أرسلت، والترهيب مع القادة، وكتبت بعض الرسائل التي جاءت بالترهيب لأهل الشام.

والثاني: المجادلة بالحسنى، وكانت مع فئتين، الأولى: بين قادة الروم والمسلمين، والثانية: بين رسل الروم والمسلمين.

والثالث: الدعوة بالقدوة، وقسّمت هذا المبحث إلى ثلاث فئات، بدأتها بالقدوة في القادة، ثم بينت القدوة بالرسل، ثم ثلثت بما أنطق الله به ألسنة الكفرة الفجرة.

والرابع: المعاملة الحسنة، وبينت أن أهم ما قدمه الدعاة للمدعوين هو التحري الدقيق في اختيار الولاة، ثم احترام معابدهم، وحماية أبدانهم وأعراضهم، والحرية الاقتصادية لهم، وحماية ممتلكاتهم، والتخفيف في فرض الجزية عليهم، والتسامح معهم، وقدمت أقوال الكافرين وشهادتهم بحسن معاملة المسلمين لهم، وبينت للقارىء الفرق بين المعاملة الحسنة لغير المسلمين والموالاة لهم.

والفصل الرابع : هو **أشهر الدعاة**، وكان تحته ثلاثة مباحث .

الأول : أشهر الدعاة من القادة، وذكرت من برزوا في قيادة الدعاة في هذه الحركة المباركة.

والثاني: أشهر الدعاة من العلماء،وترجمت فيه للعلماء من الدعاة الذين كانوا يفتون الجيش، ويعلّمون أهل البلاد الإسلام ومحاسنه.

والثالث: أشهر الدعاة من الخطباء، ذكرت من كانت لهم قدم سبق في صعود المنابر محذرين ومبلغين.

أما الفصل الخامس والأخير فعنوانه: **نتائج الدعوة وعوامل نجاحها** وفيه مبحثان:

الأول: نتائج الدعوة هناك، وذكرت فيه أهم ما ساهمت به الدعوة، وأهم ما تَوَصَّلْتُ إليه من نتائج، وأن من أهمها اتساع رقعة الإسلام، واقتناع أهل الشام بسياسة المسلمين، وإسلام بعض السكان اختيارا، ومشاركة الروم للمسلمين في الدعوة، وانتشار اللغة العربية، وأخذ الغنائم.

والثاني: عوامل النجاح، وقد ذكرت أربعة منها، أولها: محاسن الإسلام، فذكرت أنه لا إكراه في الدين، وأنه دين شامل يأتي بالعدل والمساواة واليسر والسهولة والوضوح، والموافقة لفطرة الإنسان، وأنه يربي المتبع له على كرامة الانسان، مهما كان دينه أو جنسه أو لونه، وختمت المطلب بأقوال الكافرين في محاسن الإسلام.

وثانيها: الصفات البارزة في الجيش الإسلامي من قيادة ذكية، واحترام للجند، وثقة بالجنود، ووجود عدد معهم من أهل الفضل والرأي تسود بينهم الأخوّة، ويحدوهم الإخلاص، وتدفعهم الشجاعة، ثم ذكرت ما أنطق الله به الكفرة من صفات المسلمين.

وثالثها: الصفات البارزة في الجيش الرومي من ضياع الأهداف، والخلاف بينهم، وظلم كبارهم لصغارهم، والفجور بينهم، والجبن والخور فيهم.

ورابعها: الجهود الدعوية الأخرى من تقديم الأنفس والأموال في سبيل الدعوة، ونشر العلم بين المدعوين، والهجرة، وحسن الجوار.

وأشرت في الخاتمة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

الفهارس، وتشتمل الفهارس الآتية :

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الأماكن .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس موضوعات الرسالة .

منهجي في البحث :

استخدمت في هذا البحث المنهج التاريخي، حيث نقلت النصوص وأخذتها من بطون الكتب، ثم قمت بتحليلها والاستنباط منها.

وراعيت - بفضل الله تعالى - الأمور التالية:

١ - حرصت على جمع المعلومات لهذا البحث من المصادر القديمة الموثوقة، مع الاستئناس بما في المراجع الحديثة من لمسات لفهم الحوادث والمواقف، ثم أثبتها بأقوال الكتاب المسلمين الأقدمين فالمعاصرين، وأختم الاستدلالات بما أنطق الله به ألسنة الكفرة الجاحدين من الحق المبين، لأن الحق ما شهدت به الأعداء.

٢ - حرصت أن أرجع إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة في معظم جوانب البحث لتوثيق المعلومة واثرائها.

٣ - حاولت البدء بترتيب الأدلة، حيث يكون الدليل القوي في أولها حتى يكون آخرها أقواها.

٤ - حرصت كل الحرص أن تكون الرسالة نقية من الإطناب، سالمة من الإسهاب.

٥ - وقد رتبت حوادث كل فصل حسب ترتيب زمن الفتوحات، واعتمدت تاريخ ابن كثير لعهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وتاريخ الأزدي لما بعده.

٦ - رتبت المصادر والمراجع في الحواشي حسب تقدم وفاة أصحابها.

٧ - لقد تركت الرجوع إلى كتاب فتوح الشام الذي ينسب للواقدي، لثلاثة أمور: أولها: أنها للشك في نسبته إليه. وثانيها: ما فيه من المبالغات الكثيرة. وثالثها: أن ما أحتاجه في بحثي في هذا الكتاب وجدته مفصلا وموثقا في الكتب المشهورة المعروف كتابها.

٨ - قمت بتخريج الأحاديث من المصادر الأصلية .

٩ - ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث ممن لهم علاقة قوية في البحث ما عدا المشهورين والخلفاء والمبشرين.

١٠ - قمت بعمل فهارس تفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأعلام، والأماكن، والبلدان، والمصادر، والمراجع والموضوعات.

وقد بذلت قصارى جهدي في مراحل البحث لكي يخرج هذا الجهد المتواضع على الوجه المطلوب، لكن لا أدعي العصمة من الخطأ، بل أقول ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه: "فإن يك صوابا فمن الله، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان". (١)

---

(١) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب فيمن تزوج ولم يسم صداقا حتى مات ١٠/١٤١-١٤٣ .

شكـــر وتقـديـــر :

وبـعد هذا، وعملا بـقـول النـبـي صلى الله عليـه وسلم: "لا يـشكـر الله من لا يشكر النـاس"(١)، واعتـرافا بـالجمـيـل، فإنـي أتـقـدم بـالشكـر - بـعد شكـر الله تـعالى - للقـائمـيـن على التـعليـم في المـمـلكـة، ولجامـعة الإمـام مـحمـد بـن سعود الإسلامـيـة، ولكـلـيـة الدعـوة والإعـلام عـلى اتـاحة الفرصة لي بـمـتـابـعة الدراسات العليـا، وأسأل الله أن يوفقهم للسداد، ولما يحب ويرضى.

كـمـا أقـدم شكـري الجـزيـل لأستـاذي ومـعلمـي الفاضل المـشرف على الرسالة، الدكـتـور/ **فـضـل الهـي بـن شـيـخ ظهور الهي**.، على الجهود المـتـواصلة، والعنـايـة الفـائـقـة، ومـتـابـعة الإشراف، وعدم الإنـقـطاع أو التـأخيـر، وكـم كـان حريـصا على أن يـحـقـق أمـنـيـتـي في اخراج الرسالة على خيـر مـا يـرام، فجزاه الله خيـرا، وأجزل له المـثـوبـة، فأحسبـه لا يـريـد مـن هذا إلا خدمـة الإسلام، ونـشر دعوتـه فلا أجازيـه إلا بـالدعاء الخالص أن يـوفقـه لمـا يـريـد، ويـجعلنـا وإيـاه هداة مـهتـديـن، وأن يـثـبتنا ويحسن لنا الختام.

ولا أنـنـسى أن أشكـر كـل مـن أفادنـي بـفكـرة أو مـلحوظة أو مـرجع مـن الأساتـذة الكـرام، ومـمـن أسدى لي النـصـح والإرشـاد، وصلى الله وسلم وبـارك على سيـدنـا ونـبـيـنـا مـحمـد وعلى آله وصحبـه وسلم تـسليـمـا كـثـيرا، والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا.

---

(١) الأدب المفرد - البخاري ص ٣٤ - باب من لا يشكر الناس، عن أبي هريرة.

تمهيد

تحديد مصطلحات البحث

دعوة - الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

أولا : الدعوة :

ورد لها صيغ وعدة اشتقاقات.

فالفعل منها: دعا، ومصدره دعاء والدعوى، والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة.(١)

ومن الصيغ الواردة في القرآن الكريم:

الأمر : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).(٢)

الماضي: (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا).(٣)

المضارع: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة).(٤)

اسم الفاعل: (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله).(٥)

المصدر : (له دعوة الحق).(٦)

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (دعا) ٢٥٩/١٤، والقاموس المحيط للفيروزابادي، مادة الدعاء ٣٢٨/٤ .

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥ .

(٣) سورة فصلت، الآية ٣٣ .

(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٤٦ .

(٦) سورة الرعد، الآية ١٤ .

كما أن من المعاني الواردة في القرآن الكريم:

الطلب والنداء: (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون).(١)

ودعا بالشيء طلب احضاره (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب).(٢)

ودعا إلى الشيء وللشيء حث عليه، ودعا إلى الله أي إلى عبادته: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني).(٣)

الدعوة اصطلاحا :

"ان كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام، وعلى عملية نشره بين الناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد، فمثلا إذا قيل: هذا من رجال الدعوة إلى الله، كان معنى الدعوة هنا محاولات النشر والتبليغ، وإن قيل: اتبعوا دعوة الله كان المراد بها الإسلام".(٤)

والمقصود في هذه الرسالة هو عملية نشر الإسلام بين الناس.

وقد كثرت التعريفات الاصطلاحية لهذه الكلمة بهذا المعنى، فعرفها الدكتور أحمد غلوش بقوله: "إنها العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"، وعلى هذا

---

(١) سورة الروم، الآية ٢٥ .

(٢) سورة ص، الآية ٥١ .

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

وانظر: الدعوة والانسان، عبدالله يوسف الشاذلي، ص٢٨ .

(٤) الدعوة الاسلامية، أصولها ومبادؤها، أحمد أحمد غلوش، ص١٠ .

فإنها علم له قواعده وموضوعه المتعلق بتعليم الدعاة كافة المحاولات المركزة الهادفة إلى تبليغ الإسلام". (١)

وهو هنا قصر الدعوة على غير المسلمين، وأهمل الدعوة التي توجه إلى المسلمين. (٢)

وعرفها البهي الخولي بقول: "الدعوة نقل أمة من محيط إلى محيط". (٣)

والملحوظ على هذا التعريف أنه جعلها نقلا، وليس كل دعوة يترتب عليها نقل، إذ ان بعض الأنبياء دعوا أقوامهم، ولم ينتقل أقوامهم إلى ما يريدون.

وعرفها أبو المجد نوفل، فقال: "هي قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقادا ومنهجا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة". (٤)

فنجد أن هذا التعريف هو أشملها لأنه يشتمل على الأركان الأربعة: الداعي، والمدعو، والمدعو إليه، والوسائل، وبين بعض ما يتعلق بكل ركن.

وقد فصل الكلام حول تعريفه هذا فقال:

"فقولنا: من عنده أهلية النصح والتوجيه من المسلمين، بيان للداعية. وهو الذي يجب أن يكون مسلما داعيا ... إذ أنه سيدعو الناس إلى الإسلام، ولا تتصور

---

(١) الدعوة الاسلامية أصولها ومبادؤها، أحمد أحمد غلوش، ص١٠ .

(٢) انظر: الدعوة والانسان، عبدالله الشاذلي، ص٣٩ .

(٣) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص٣٥ .

(٤) الدعوة الى الله تعالى، خصائصها مقوماتها مناهجها، د. أبو المجد السيد نوفل، ص١٨ .

دعوة الناس إلى الإسلام من مسلم غير واع بالإسلام، أو من غير مسلم، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. وقولنا: "بترغيب الناس" بيان للمدعو، ولفظ "الناس" شامل للمسلمين وغيرهم، وللعامة والخاصة، وللعلماء والجهال. وقولنا: "في الإسلام اعتقادا ومنهجا" بيان لمادة الدعوة، وتحديد لجوهرها، إذ أن الإسلام عقيدة وشريعة، واعتقاد ومنهج. وقولنا: "بطرق مخصوصة" بيان لكيفية الدعوة من الأساليب والوسائل المفيدة بشروط".(١)

---

(١) الدعوة الى الله، خصائصها مقوماتها مناهجها، د. أبو المجد السيد نوفل ص١٨ .

ثانيا : الشـــام :

يـ طلق هذا الاسم على البلاد التي يقول عنها الاصطخري: أما الشام فإن غربيها بحر الروم، وشرقيها البادية من إيلة الى الفرات، وشماليها بلاد الروم، وجنوبيها حد مصر وتيه بني إسرائيل.(١)

وقد قسمت الشام إلى خمسة أقسام :

فالأول: فلسطين، ومن مدنها: إيلياء، وهي بيت المقدس، وعسقلان، ولد، وسبسطية، ونابلس، ومدينة الخليل.

والثاني: الجولان، ومدينتها العظمى طبرية، ومن مدنها الغور، واليرموك، وبيسان، والأردن.

والثالث: الغوطة العظمى، دمشق، ومن سواحلها طرابلس.

والرابع: حمص .

والخامس: قنسرين، ومدينتها العظمى: حلب، ومن أعمالها سرمين وأنطاكية.(٢)

فضل الشام :

لقد أثنى النبي - صلى الله عليه وسلم - على الشام وجندها، فقال فيما يرويه عبدالله بن حوالة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودا مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق. قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال: عليك بالشام، فإنها

---

(١) انظر : الأقاليم، للاصطخري ص٣٠ .

(٢) انظر : فضائل بيت المقدس، د. محمد ابراهيم، ص٣٤٢-٣٤٤ .

خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما أن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم فإن الله توكل لي بالشام وأهله". (١)

وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن المحشر سيكون إليها، فقال فيما يروي بهز بن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن جده، أنه قال: قلت: يا رسول الله أين تأمرني، خِرْ لي، قال: فنحا بيده نحو الشام، فقال: إنكم محشورون رجالا وركبانا، وتجرون على وجوهكم هاهنا، ونحا بيده". (٢)

وقد خص دمشق من بين منازل المسلمين بالخيرية، فقال كما جاء عن جبير بن نفير - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة، فيها مدينة يقال لها دمشق، خير منازل المسلمين يومئذ. (٣)

وقد بَيَّنَ عليه الصلاة والسلام، أن عمود الكتاب في الشام، فقال - كما رواه أبو الدرداء عنه أنه قال -: "بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فاتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام". (٤)

وقد دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - للشام بالبركة، فقال كما جاء عن ابن عمر، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "اللهم بارك لنا في شامنا.

---

(١) أبو داود ١٠/٣ .

(٢) أخرجه الحاكم ٥٦٤/٤ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) الحاكم ٤٨٦/٤ .

(٤) الحلية ٩٨/٦ .

اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل، والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان.(١)

وقد جاءت لها أفضلية فريدة، فيما رواه زيد بن ثابت، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بينما نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نؤلف القرآن على الرقاع، إذ قال: "طوبى للشام، قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها".(٢)

---

(١) البخاري ٤٥/١٣، وأحمد ١١٨/٢ .

(٢) أحمد ١٨٥/٥ .

البيئة الشامية

لقد كانت هذه البلاد قبل أن تشرق عليها شمس الدعوة الإسلامية تَعِجّ بظلام الاضطرابات التي شملت الدين، والأخلاق، والسياسة، والاقتصاد، إذ انهارت قوى الدولة العظيمة بعد أن نخرت في جوفها جرثومة الفساد والضياع، وتحول شبابها إلى شيخوخة لمّا طغى الترف على المجتمع، وعم الطمع بين الملوك، فصار الناس يترقبون هذا الجيش الجديد الذي يرون فيه بارقة أمل، لعلهم أن يتخلصوا من المعيشة الضنك التي تكالبت عليهم فيها مخالب الظلم والفساد، فجاء الجيش الإسلامي، فأحل محل الخوف أمنا، ومحل النهب رخاء، ومحل العسر يسرا.

وسأتكلم - بتوفيق من الله تعالى - عن بيئة الشام عند مجيء الدعوة إليها، مبينا الحالة السياسية، والحالة الدينية، والحالة الاجتماعية، ثم أختم بالحالة الاقتصادية.

أولا : الحالة السياسية :

إذا تتبعنا الأحوال السياسية نجد أن بلاد الشام كانت "عند ظهور الإسلام ... ميدانا فسيحا للفوضى والاستعباد، والاضطرابات المادية، والاضطهادات الدينية، وكان هذا صدى طبيعيا لحال الدولة الرومانية، التي دب فيها الفساد الداخلي، وتعرضت حدودها وبلادها للاغارات العنيدة من قبل دولة الأكاسرة، ومن قبل المتبربرة في وسط آسيا وأوربا، ومن قبل المجر".(١)

---

(١) تاريخ فتوح الشام، لمحمد بن عبد الله الأزدي، ص هـ، تقديم: عبد المنعم عامر.

ويصور الشيخ عبد الرحيم الدهلوي هذه الحال، فيقول: إعلم أن الروم لما توارثوا الخلافة قرونا كثيرة، وخاضوا في لذة الدنيا، واستحوذ عليهم الشيطان، وتعمقوا في مرافق المعيشة، وتباهوا بها، وورد عليهم حكماء الآفاق يستنبطون لهم دقائق المعاش ومرافقه، ولم يبق منهم أحد من أسواقهم ورستاقهم وغنيهم وفقيرهم، إلا قد استولت عليه، وأخذت بتلابيبه، وهذه الأشياء لا تحصل إلا ببذل أموال خطيرة، ولا تحصل تلك الأموال إلا بتضعيف الضرائب على أهل البلاد، فإن امتنعوا قاتلوهم وعذبوهم، وإن أطاعوا جعلوهم بمنزلة الحمير والبقر، تستعمل في النضح والدياس والحصاد.(١)

ويقول ميخائيل الأكبر، كما ينقل عنه توماس آرنولد: إن الروم لجأوا إلى القوة، فنهبوا كنائسنا، وسلبوا ديارنا في كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة، فأرسل الله لنا أبناء اسماعيل ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم.(٢)

فسبحان من أنطقهم بعدل المسلمين ورحمتهم لهم.

ثانيا : الحالة الدينية :

لم تزل المسيحية عليها مسحة من دين التوحيد البسيط(٣)، حتى جاء بولس

---

(١) انظر: حجة الله البالغة، لعبد الرحيم الدهلوي، ١٠٥/١ .

(٢) انظر: الدعوة الى الاسلام، لسير توماس د. آرنولد، ص٧٣ .

(٣) والصواب: السهل الميسر، لأن كلمة البسيط تعني: ١ - الأرض الواسعة.

٢ - المنبسط بلسانه. انظر: معجم الأخطاء الشائعة، لمحمد العدناني ص٣٧ .

فطمس نورها بخرافات الجاهلية التي انتقل منها، والوثنية التي نشأ عليها، وقضى قسطنطين على البقية الباقية، حتى أصبحت النصرانية مزيجا من الخرافات اليونانية، والوثنية الرومية، والأفلاطونية المصرية، والرهبانية، فعادت نسيجا من معتقدات وتقاليد لا تغذي الروح، ولا تحد العقل، ولا تشعل العاطفة، ولا تنير السبيل، بل أصبحت تحول بين الإنسان والعلم والفكر.(١)

ولم يقف النصارى عند هذا الحد، بل حرفوا، وبدلوا، وأثاروا الشبهات على أصول العقيدة المسيحية، وعلى فروعها، فصاروا فيها إلى شيع ومذاهب شتى، دبت بينها العداوة والبغضاء، فاستنفدوا قواهم في محاربة بعضهم بعضا.

وكان رؤساء المسيحية يحظرون على الناس أن يفهموا الكتب الدينية، أو يستنبطوا منها أحكاما، واحتكروا لأنفسهم حق التفسير والتأويل، وابتدعوا تعاليم ما أنزل الله بها من سلطان، وقد حالوا بين المرء وربه، وعملوا على إيجاد سحب كثيفة من الأوهام الباطلة، ليحولوا بين الناس وبين عقولهم.(٢)

وكانت الحكومة الرومية تضطهدهم باسم المذهب الأرثوذكسي، وعداوتُهم لها تزيد مع الأيام تأصلا.(٣)

هذا بالنسبة للنصارى.

أما اليهود فقد كانوا أقل جاليات الشام اندماجا بالحضارة الرومانية، فقد عوملوا كجماعة متميزة؛ بسبب الوحدانية الشديدة لدينهم، فكانوا معفين من

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، ص٣٧ .

(٢) انظر: تاريخ فتوح الشام، للأزدي، ص و، تقديم: عبد المنعم عامر.

(٣) انظر: خطط الشام، لمحمد كرد علي، ٧٠/١ .

الخدمة في الجيش بممارستهم لسياسة العزلة؛ يغذون شعورهم القومي، وأدى هذا إلى اصطدامات عنيفة، نتج عنها أن حلت بالمجتمع اليهودي كارثة دائمة(١)

ثالثا : الحالة الاجتماعية :

ولما وصل الدعاة المسلمون إلى هذه البلاد كان المجتمع الروماني قد وصل في فساد الأخلاق إلى أقصى الدرجات.

وينقل لنا سيد قطب عن دراير الأمريكي - مبينا ما وصل إليه المجتمع الروماني من فساد الأخلاق - فيقول: لقد هبطت الدولة الرومية في فساد الأخلاق، وفي الانحطاط في الدين والتهذيب إلى أسفل الدركات، فقد بطر الرومان معيشتهم، وأخلدوا إلى الأرض، واستهتروا استهتارا، وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرصة للتمتع، فينتقل الإنسان فيها من نعيم إلى ترف، ومن لهو إلى لذة، وكانت موائدهم تزهو بأواني الذهب والفضة، مرصعة بالجواهر.(٢)

ويقول أبو الأعلى المودودي: "ولما تراخت عرى الأخلاق، وصيانة الآداب - في المجتمع الروماني - إلى هذا الحد، اندفع تيار من العري، والفواحش، وجموح الشهوات، فأصبحت المسارح مظاهر للخلاعة والدعارة والفحشاء، ومن هذا كله راجت مهنة المومسات .... ونالت مسرحية فلورا حظوة عظيمة لدى الروم؛ لكونها تحتوي على سباق النساء العاريات، وكذلك انتشر استحمام الرجال والنساء في مكان واحد بمرأى من الناس ومشهد".(٣)

---

(١) انظر: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، فيليب حتي، ٣٧٥/١ .

(٢) انظر: الاسلام ومشكلات الحضارة، سيد قطب، ص٥٥،٥٦ .

(٣) الحجاب، لأبي الأعلى المودودي، ص٢٠ .

وكـــمـــا يـقـول أبـو الحسن الـنـدوي: "ذابـت أسس الفضيـلة، وانـهارت دعائم الأخلاق، حـتـى صار الـنـاس يـفضلون العزوبـة على الحيـاة الزوجيـة؛ لـيـقـضوا مـآربـهم في حريـة، وكـان العدل كـمـا يـقـول سيـل: يـبـاع ويـساوم مـثـل السلع، وكـانـت الرشوة والخيانة تنالان من الآمة التشجيع". (١)

فـهـذه حـال المـسـتـعـمـرات التـي يـحكـمـها الروم جمـيـعها، والشام إحدى هذه المـسـتـعـمـرات التـي عـمـها الـنـظام الرومـي الذي خرج عن قـواعد الأخلاق والقـيـم المثلى.

وقـد انـتـشر نـظام الطبـقـات الذي يـفت في عضد الدولة، ويـؤدي بـها إلى الدمـار، وهـذا مـا نـقـله أبـو الحسن الـنـدوي عن روبـرت، إذ يـقـول: إن الدولة الرومـيـة كـانـت وسيـلة لرفاهيـة طبـقـة صغيـرة على حساب الجمـاهيـر الذيـن كـانـت هذه الطبقة تستغلهم وتمتص دماءهم. (٢)

رابعا : الحالة الاقتصـادية :

لقـد "كـان حكـم الرومـان في بـلاد الشام حكـمـا مـتـطاولا، فرض فيـه الحكـام على أهـل الشـام كـثـيـرا مـن الضرائب والمـكـوس، وشرعوا يـأخذون مـا بـأيـدي الـنـاس ظلمـا وعـدوانـا؛ ليـوفـروا مـطالب التـرف الذي انـغمـسوا فيـه، وصار الضعيـف لقـمـة سائغة للقـوي، حـتـى اسـتـولى الذعـر عـلى الـنـاس، وانـتـابـهم الخوف، وحل بـهم الفقـر، وصاروا عبيدا يوجهون حيث يريد الحكام". (٣)

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، للندوي ص٤٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق، ص٧٦ .

(٣) تاريخ فتوح الشام، للأزدي، ص و، تقديم: عبد المنعم عامر.

وكانت معاملة الرومانيين للشاميين بادىء بدء عادلة حسنة، ولما شاخت دولتهم انقلبت الى أتعس ما كانت عليه من الرق والعبودية، فلم تصبح أرضهم أرضا رومانية، بل ظلوا غرباء ورعايا، وكثيرا ما كانوا يبيعون أبناءهم ليوفوا ما عليهم من الأموال، وقد كثرت المظالم والسخرات والرقيق.(١)

ويقول أبو الحسن الندوي: إن الضرائب قد تضاعفت، "حتى أصبح أهل البلاد يتذمرون من الحكومات، ويمقتونها مقتا شديدا، ويفضلون عليها كل حكومة أجنبية، وكانت الايجارات والمصادرات ضغثا على إبالة، وقد حدثت لذلك اضطرابات عظيمة وثورات".(٢)

"وكان يقضى على الشعب الشامي أن يؤدي الجزية، وعشر غلاته، وأتاوة من المال، ورسما عل كل رأس، وللشعب الروماني موارد مهمة من الجمارك والمناجم والضرائب، والحقول الصالحة لزرع الحنطة والمراعي يؤجرونها من شركات المتعهدين .... يتناولون أكثر مما يجب لهم أخذه، ويسلبون نعمة الأهلين، وكثيرا ما يبيعونهم كما يباع الرقيق".(٣)

ولقد "كانت خزائن هرقل فارغة، ومرئيات الأمير الغساني التي كانت الدولة تجريها منقطعة، والنفوس في الشام مستاءة من المظالم والمغارم".(٤)

---

(١) انظر: خطط الشام، لمحمد كرد علي، ٦٥/١ .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للندوي ص٣٩ .

(٣) خطط الشام، لمحمد كرد علي، ٤٧/٥ .

(٤) المرجع السابق، ٧٠/١ .

وقد كان اجتماع هذه الظروف كلها كارهاصات وأرضية جعلها الله تعالى لقبول هذا الدين الجديد، وللترحيب بهؤلاء الدعاة الفاتحين الذين جعل الله على أيديهم إنقاذ هذه البلاد من الظلم وأهله، والجهل وحزبه، كما يشهد بذلك أهل البلاد أنفسهم، قديمهم وحديثهم،فجاءت الدعوة، فصار لها القبول الواسع، حتى إن المدن الكبيرة كحمص يرحبون بالدعاة.

الفصل الأول

بداية الدعوة والعقبات التي واجهتها

المبحث الأول : نبذة عن بداية الدعـــوة في الشـام

تمهيـــــد :

جـاء النـــبـــي - صلى الله عليـه وسلم - إلى العالم أجمـع بـدعوة عالمـيـة كـامـلة شـامـــلة، فـدعـا النـــاس بـنـفسه، وأرسل الرسل، وكـتـب الكـتـب، وبـعث السرايـا إلى الأقـــطـار المـجاورة - صغيـرها وكـبـيـرها - لأنـها دعوة تـعم أصنـاف البـشر جمـيـعا، وتتعداهم إلى الجن أيضا.

أولا : الدعوة باتجاهها إلى الشام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

أ - خروجه - صلى الله عليه وسلم - إلى دومة الجندل(١):

وكـــان مـــمـــن خـرج الرسـول - صـلى الله عـلـيـه وسلم - لدعوتـهم عمـال الروم في الجزيـرة، إذ ذكـر له أن بـدومـة الجنـدل جمـعا كـبـيـرا، وأنـهم يـظلمـون مـن مرّ بهم، فـنـدب النـاس في السنـة الرابـعة مـن الهجرة، وخرج في ألف من المـسلمـيـن، ليـمـنـع الظلم، ويـنـشر الأمـن والإيـمـان، فلمـا نـزل بـساحتـهم لم يـجد فيـها أحدا، فأقـام بـها أيـامـا، وبـث السرايـا، ثـم رجعوا وأخذ مـحمـد بـن مسلمـة(٢) رجلا مـنـهم، فعرض عليـه

---

(١) دومـة الجنـدل، بـنـاها أكـيـد بـن عبـد المـلك، وكـان يـزور أخواله بني كلب، فمر على مـديـنـة مـهدمـة، وكـانـت مـبـنـيـة بـالجنـدل، فأعاد بـنـاءها، وغرس فيها الزيـتـون، وسمـاها دومـة الجنـدل، وهي قـريـة في الجوف شمـاء تـيماء، قرابة ٤٥٠ كـيـلا. انـظر: المـشتـرك وضفا، المـفتـرق صقـعا، يـاقـوت الحمـوي، ص١٨٦، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي ص١٢٧، ١٢٨.

(٢) مـحمـد بـن مـسلمـة الخزرجي الأنـصاري، قـتـله رجل مـن أهل الشام في داره. انـظر: تهذيب التهذيب ٤٥٥/٩، الطبعة الأولى.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام فأسلم(١)، ثم عاد إلى المدينة.

ب - بعث عبد الرحمن بن عوف إليهم :

وفي أواخر هذه السنة أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - إليها، فلما وصل دعا أهلها إلى الإسلام، فأسلموا(٢)، فكتب إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - كتابا يشرح فيه الإسلام، ويعطيهم العهد فيه.(٣)

ج - بعث كعب بن عمير الغفاري(٤) رضي الله عنه:

وفي السنة الثامنة من الهجرة، بعث صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا - رضي الله عنهم - إلى ذات أطلاح(٥) من قضاعة، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لداعي الله، بل رشقوهم بالنبال، وقاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، فأفلت رجل واحد منهم، فأتى رسول الله - صلى الله

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٩٢/٤، وجاء نحوه في خطط الشام، لمحمد كرد علي، ٧١/١ .

(٢) انظر: المصدر السابق ١٧٩/٤، وخطط الشام لمحمد كرد علي ٧١/١ .

(٣) انظر: مكاتيب الرسول صلى الله عليه وسلم، لعلي الأحمدي، ٣٨٧/٢، وخطط الشام، لمحمد كرد علي ٧٢،٧١/١ .

(٤) هو كعب بن عمير الغفاري، أبو عمر، من كبار الصحابة، أمره النبي - صلى الله عليه وسلم - على سرية فقتل. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة ٦٠٧/٥.

(٥) ذات أطلاح: موضع من وراء ذات القرى الى المدينة في الطريق الى الشام، ويقول البلادي: لم أجد من يعرفها اليوم. معجم البلدان، ياقوت الحموي ٢١٨/١، ومعجم المعالم الجغرافية ص٣٠ .

عليه وسلم - فشق ذلك عليه(١)، إذ لم يكن قد بعثهم للغزو، وإنما للدعوة، ولكن قوبل الدعاة بالسيف والنبل حتى استشهدوا.(٢)

د - غزوة مؤتة(٣):

ولما قتل الروم وعمالهم رسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وناصبوا المسلمين العداء، وقتلوا كعب بن عمير، وصلبوا عاملهم فروة الجذامي(٤)، وفعلوا كل ما فعلوا من التضييق على المتاجر، واخافة السابلة، لم يترك كلمة الباطل تعلو على كلمة الحق، فأرسل إليهم جيش الأمراء إلى بلاد الشام، حيث كانت غزوة مؤتة(٥)، فلما خرجوا ووصلوا

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٢٩/٣، وتاريخ دمشق، لابن عساكر ١٨٦/١، والبداية والنهاية، لابن كثير ٢٤١/٤، وامتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحق والمتاع، لتقي الدين المقريزي ص٣٤٣.

(٢) انظر: الطريق الى دمشق، لأحمد عادل كمال ص١٤٥ .

(٣) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وبها كانت تطبع السيوف المشرفية. معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٢٠/٥.

وهي في الأردن حاليا جنوب الكرك. انظر: معجم المعالم الجغرافية ص٣٠٤.

(٤) فروة بن عمرو الجذامي: أسلم في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وأهدى للنبي - صلى الله عليه وسلم - بغلة بيضاء، كان عاملا للروم، وكان منزله معانا، فلما أسلم قتلوه. الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣٨٧/٥ .

(٥) انظر: امتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحق والمتاع، لتقي الدين المقريزي، ٣٤٤/١ .

معانا(١)، كان هرقل بالبلقاء(٢)، ومعه عدد كبير من الروم والعرب المتنصرة يقدر بأضعاف المسلمين، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف فقط.

فقالوا: نكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عبد الله بن رواحة(٣) رضي الله عنه: يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فقال الناس: والله صدق ابن رواحة.

فقتل القادة الثلاثة في سبيل الدعوة، حتى أخذ القيادة سيف من سيوف الله مسلول.(٤)

---

(١) معان: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ١٥٣/٥ .

وهي من مدن المملكة الأردنية الهاشمية على الطريق بين المدينة وعمان، وهي قاعدة اقليم الشراة، وهو اقليم واسع بين الحجاز والبلقاء. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية لعاتق بن غيث البلادي ص٣٠٠ .

(٢) البلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، ويتوسط هذا الاقليم مدينة عمان. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٨٩/١، ومعجم المعالم الجغرافية ص٤٩ .

(٣) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، الشاعر المشهور، صحابي جليل، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرا وما بعدها. الى أن استشهد بمؤتة. انظر: الاصابة ٨٢/٤ .

(٤) كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر ص٢٢٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٤٣/٤-٢٤٥، والفصول في اختصار سيرة الرسول، لابن كثير ص١٧٢، وجاء نحوه في تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بروكلمان ص٥٩ .

فالشاهد تقديم الأنفس للمخاطرة العظيمة في سبيل الدعوة إلى الله، وهم يعلمون أن هذه المخاطرة ستورث إحدى الحسنيين العظيمتين.

هـ - إرسال دحية الكلبي (١) رضي الله عنه :

ثم أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل يدعوه الى الإسلام.

وقبل أن يصل الكتاب رأى هرقل رؤيا أهمّته، فقال لأصحابه: لقد رأيت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر، فقالوا: والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن إلا اليهود، وهم تحت يدك، فإن كان قد وقع في نفسك منهم، فابعث في مملكتك كلها، فلا يبقى يهودي إلا ضربت عنقه، فتستريح من هذا الهمّ، فدخل عليهم رسول صاحب كسرى ومعه رجل عربي، فسأله هرقل عما حدث في بلاده، فقال: خرج رجل من قريش يزعم أنه نبي، وقد اتبعه أقوام، وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن، فخرجت وهم على ذلك.

فقال هرقل: جرّدوه، فإذا هو مختتن، فقال: هذا والله الذي قد أريت، فأعطاه ثوبه، وقال: انطلق لشأنك.

ثم إنه دعا صاحب شرطته، فقال له: قلّب لي الشام ظهرا لبطن، حتى تأتي برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه، فأتاه بأبي سفيان وصحبه، فسأله أسئلة كثيرة

---

(١) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وقيل أحد، شهد اليرموك، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وعاش الى خلافة معاوية. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٢/٣٨٤، ٣٨٤ .

يطول المقام بذكرها.(١)

فقال هرقل بعد إجابة أبي سفيان: لئن صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين، ولوددت أني عنده، فأغسل عن قدميه.

وبعدها قدم دحية الكلبي - رضي الله عنه - بكتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كما سيأتي.(٢)

و - بعث شجاع بن وهب(٣) رضي الله عنه:

ثم بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شجاع بن وهب إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني - صاحب دمشق(٤) - يدعوه إلى الاسلام كما سيأتي.(٥)

ز - بعث عمرو بن العاص رضي الله عنه :

ثم بعث عمرو بن العاص - رضي الله عنه- إلى بلي ومن يليهم من قضاعة في

---

(١) انظر: البخاري، باب بدء الوحي، (٢٦/١-٣٤، المطبوع مع فتح الباري، والبداية والنهاية لابن كثير، ٢٦٢/٤-٢٦٤.

(٢) انظر ص ٤٧ .

(٣) هو شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب الأسدي، من السابقين الى الاسلام، هاجر الى الحبشة، وشهد بدرا، استشهد في موقعة اليمامة رضي الله عنه. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٣١٦/٣، ٣١٧، تحقيق علي محمد البجاوي.

(٤) دمشق : هي البلدة المشهورة وجنة الأرض، لحسن عمارة ونضارة بقعة، وكثرة ونزاهة رقعة، وكثرة مياه، سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها، أي أسرعوا. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٦٣/٢ .

(٥) سيأتي ذكر هذا البعث في فصل الرسائل ص٤١ .

ذات السلاسل(١)، يتألف قلوبهم، فاجتمع له كثير، فخاف منهم، فأرسل إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - جماعة من المهاجرين الأولين، فاقتتلوا ساعة حتى هرب المشركون.(٢)

ح - خروجه الى تبوك(٣):

ولما ذكر من يقدم من الشام أن الروم قد جمعوا جموعا كثيرة، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لخم وجذام وغسان، وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء(٤)، وعسكروا بها(٥)، ونزل قوله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون

---

(١) ذات السلاسل: ماء بأرض جذام في الطريق الى الشام، وبذلك سميت غزوة ذات السلاسل. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي ٢٣٣/٣ .

وهي من أرض بني عذرة، التي تمتد من وادي القرى - وادي العلا اليوم - الى تبوك الى تيماء. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. لعاتق بن غيث البلادي ص١٩٥ .

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد ١٣١/٢، وزاد المعاد، لابن قيم الجوزية ٣٨٦/٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٧٣/٤، ٢٧٤ .

(٣) تبوك: بين وادي القرى والشام، وقد كان فيها أصحاب الأيكة الذي بعث اليهم شعيب عليه السلام. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، ١٤/٢ .

(٤) البلقاء : انظر ص ٥ .

(٥) انظر: امتاع الأسماع للمقريزي، ٤٤٥/١، ٤٤٦ .

بـــالله ولا بـــاليـــوم الآخر ولا يـحرمـون مـا حرم الله ورسوله..)(١) الآيـة، واجتـمـت هذه الأسـبـاب للقـــتـــال، عـزم الرسول - صلى الله عليـه وسلم - على قـتـال الروم وعمـالهم في تبوك في الطريق إلى الشام.

وكـــان عـزمـــه - عـليـه الصلاة والسلام - في حر شديـد، وضيـق مـن الحال، وعسرة، فـجـلى أمـــر هـذه الغـزوة، ولم يُـكَـنّ لهـا، وحض أهل الغنـى على النـفقـة، فأقـبـل الدعاة الصادقـون بـأمـوالهم وأنـفسهم، فهذا أبـو بـكـر - رضي الله عنـه - يـأتـي بـكـل مـاله، وعمـر - رضي الله عنـه - بـشطره، وهذا عثـمـان يـجهز ثـلث الجيـش بـثلاثة آلاف بـعيـر، بـأحلاسها وأقـتـابـها(٢)، وغيـرهم كـثـيـر، جاءوا ليـجاهدوا بـأموالهم وأنفسهم، وليضربوا المثل الأعلى للتاجر المسلم الذي استعبد المال، ولم يستعبده.

فـخـرج الرسـول - صـلى الله عـليـه وسـلم - هـو و(الذيـن اتـبـعـوه في ساعة العسرة)(٣)، فأصابـهم في سبـيـل هذه الدعوة حر شديـد، وعطش، حتـى يـقـول الصحابـة: "كادت تقطع أعناق الرجال والخيل والركاب عطشا".(٤)

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٩ .

(٢) سنـن التـرمـذي ٢٨٩/٥، أبـواب المـنـاقـب، مـنـاقـب عثمان بن عفان رضي الله عنه، والفتـح الربـانـي، بـتـرتـيـب مـسـنـد الامـام أحمد بن حنبل الشيباني، لأحمد بن عبد الرحمـن البـنـا، ١٩٣/٢١، والسيـرة النـبـويـة، لابـن كـثـيـر ٤/٧، ومـختصر سيرة الرسـول - صـلى الله عـليـه وسلم - للشيـخ عبـد الله بـن مـحمـد بـن عبـد الوهاب، ص٣٩١ ، والمغازي للواقدي ٩٩١/٣ .

(٣) سورة التوبة، الآية ١١٧ .

(٤) امتاع الأسماع، للمقريزي، ٣٤٤/١ .

ويقول عمر رضي الله عنه: إن أحدنا لينحر بعيره، فيعتصر فرثه، فيشربه، ثم يجعل مابقي على كبده.(١)

فأقام - صلى الله عليه وسلم - بضع عشرة ليلة لم يجاوزها، ثم انصرف قافلا إلى المدينة.(٢)

ثانيا : انفاذ ابي بكر جيش اسامة بن زيد(٣) رضي الله عنهم :

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ضرب على الناس - قبيل موته - بعثا إلى الشام، وأمر عليه أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

فخرجوا إلى الجرف(٤)، وقبل المسير توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكالبت الأمور على أبي بكر - رضي الله عنه - فأشار عليه الصحابة ألا ينفذ هذا الجيش، فأبى أشد الاباء؛ لأنه يعلم أن هذا المنهج الذي وضعه القائد

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني ٤١٤/٢، والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، لمحمد فرج ص٦٥٧ .

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢/٥-١٨، وخطط الشام لمحمد كرد علي ٧٤/١ .

(٣) هو أسامة بن زيد بن حارثة. وهو الحب ابن الحب، يكنى أبا محمد، وأمه أم أيمن، حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولد في الاسلام، ومات النبي - صلى الله عليه وسلم - وله عشرون سنة، وقيل ثماني عشرة، وقد أمره على جيش عظيم فأنفذه أبو بكر، مات سنة أربع وخمسين. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة ٤٩/١ .

(٤) الجرف : بالضم ثم السكون : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي ١٢٨/٢ .

الأعلى للدعوة - صلى الله عليه وسلم - هو أحسن منهج، حرص كل الحرص على تنفيذ أوامره، فقال للناس: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.(١)

فهذا الحرص الشديد يعطي الدعاة درسا عظيما في أهمية اتباعهم أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله الذي لا اله الا هو، لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قالها الثانية والثالثة.(٢)

وكان الداعية الكبير الحصيف قد خرج مع الجيش ماشيا، وأسامة راكبا.(٣)

ولا عجب أن نرى هذا التصرف الفريد من رجل أخذ فكر الدعوة وآدابها من الداعية الأول عليه الصلاة والسلام .

ثم بعد هذا عزم الصديق على غزو الروم، فاستشار وجوه الصحابة، فقال لهم بعد الحمد والثناء: "وقد أردت أن أستنفركم الى الروم بالشام، فمن هلك هلك شهيدا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعا عن الدين، مستوجبا على الله عز وجل ثواب المجاهدين، هذا رأيي الذي رأيت، فليشر علي كل امرئ بمبلغ رأيه"، فخلص رأيهم الى غزو الشام.(٤)

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٣٠٤/٦ .

(٢) انظر: المصدر السابق ٣٠٥/٦ .

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٢٢٦/٣، والبداية والنهاية، لابن كثير ٣٠٤/٦، ٣٠٥.

(٤) انظر: تاريخ فتوح الشام، للأزدي ١-٨ .

ثم خرج، واستنفر الناس، فاستجابوا، وقام خالد بن سعيد بن العاص(١)، وقال: نحن غير مخالفين لك، ولا متخلفين عنك، وأنت الوالي الناصح الشفيق، نطيعك اذا أمرتنا، ونجيبك إذا دعوتنا.

فَسُرَّ أبو بكر، وأمّره على الناس، فتجهز ورجع إلى أبي بكر، وهو يقول: والله ما أنا في الدنيا راغب، ولا على البقاء فيها بحريص، وإني أشهدكم أني وإخوتي وفتياني ومن أطاعني من أهلي حبيس في سبيل الله، نقاتل المشركين أبدا، حتى يهلكهم الله، أو نموت عن آخرنا.

فقال أبو بكر: إنّا نرجو أن تكون من نصحاء الله في عباده بإقامة كتابه، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وأرسل أبو بكر إلى الأمراء، وجمعهم، وكتب إلى أهل اليمن يدعوهم للمشاركة، فقدمت حمير، ومعها نساؤها وأولادها، وجاء قيس بن هبيرة المرادي ومعه جمع كثير من قومه، فعقد لهم الألوية، وخرج الصدّيق يمشي مع يزيد وهو راكب، فقال يزيد: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب، واما أن تأذن لي فأمشي معك، فاني أكره أن أركب وأنت تمشي.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أنا براكب، وما أنت بنازل، اني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله.(٢)

---

(١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي: من السابقين الأولين، هاجر الى الحبشة، استعمله النبي - صلى الله عليه وسلم - على صدقات مذحج باليمن، ولما توفي النبي - صلى الله عليه وسلم - عقد له أبو بكر - رضي الله عنه - لواء للشام، واستشهد في مرج الصفر. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة ٢/٢٣٦-٢٣٨ .

(٢) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي، ص١١، ١٢ .

ثم أوصاه وصية بليغة سيأتي ذكرها.(١)

بمثل هذا القائد، وبمثل هذه الوصية، وبمثل هؤلاء الرجال انطلقت قافلة الدعاة تحث الخطا إلى الشام، لتنشر كلمة الله في الآفاق، وتعلي لواء الإسلام فوق بلاد الشام، ولكن هل سارت الدعوة بدون ما يعترض طريقها، أم أنها واجهت الصعوبات حتى نشرت الاسلام؟

هذا ما سنراه بعون الله تعالى في مبحث العقبات.

---

(١) انظر: فصل ميادين الدعوة ص٢٦ .

المبحث الثاني : العقبات في طريق الدعوة

تمهيد :

بدأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - دعوته في مكة، ولم يكن له أعداء من النصارى واليهود، بل كان أعداؤه من الوثنيين، ولما هاجر الى المدينة كانت هناك جاليات كثيرة من اليهود الذين عادوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين.

ولما بدأ الاسلام ينتشر في المدينة وما حولها أخذ النصارى الذين كانوا في مشارف الشام من الروم وعمالهم يقلقون، لذلك أخذوا في مضايقة المسلمين، حيث بدأوا بالاعتداءات، غير عابئين حتى بالأعراف الدولية، وهي تأمين الرسل.(١)

وقد تنوعت هذه العقبات وتنوع أصحابها، وهذا ما سنراه - بتوفيق من الله تعالى - في هذا المبحث :

أولا : المؤامرات ضد الدعاة وأتباعهم :

تقدم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعث كعب بن عمير الغفاري(٢) - رضي الله عنه - في خمسة عشر رجلا الى عمال الروم في الجزيرة، فاستشهدوا، الا واحدا.(٣)

ولما أعلن فروة الجذامي(٤) اسلامه - وكان عاملا للروم - طلبه الروم فحبسوه، ثم ضربوا عنقه وصلبوه.(٥)

---

(١) انظر: المعوقون للدعوة الاسلامية في عهد النبوة وموقف الاسلام منهم. د. سميرة جمجوم ص٢٩١ .

(٢) تقدمت ترجمته، في ص ٣ .

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٤١/٤ .

(٤) سبقت ترجمته، في ص ٤ . (٥) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام ١٤٤٧/٤.

ونعلم قدر خوفهم من هذا الدين من مقولة هرقل بعد ما سأل أبا سفيان - رضي الله عنه - قال: "إن كان ما يقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين".(١)

من "هنا تبين لنا أن الروم بدأوا يحسون بالخطر عليهم بعد أن كانوا غير آبهين بالإسلام والمسلمين؛ لأن الملك كان في يدهم .... لذلك أخذوا يدبرون المؤامرات بطرق محكمة ضد الإسلام والمسلمين.

ويعتبر(٢) قتل فروة الجذامي، وقتل رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دليلا على أن الروم في موجة خوف وعداء للإسلام والمسلمين أنستهم التقاليد التي كانت مرعية، وأن حقدهم وعداوتهم للإسلام جعلتهم يقتلون عاملهم الذي أسلم، ونسوا الولاء له".(٣)

لذلك كانت هذه المؤامرات عقبة دون اعتناق النصارى من الروم للإسلام، لأن السلطان مع الروم، حتى أظهر الله كلمته ونصر دعاته، "فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين".(٤)

وفوق ذلك، لقد أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بمبدأ المساواة بين الحاكم والمحكوم، والغالب والمغلوب، وأتى بمبدأ العدالة في كل شعبها، أتى

---

(١) العقيدة الاصفهانية، ابن تيمية ص٩٣-٩٩ .

(٢) والصواب: يعد، أما الفعل اعتبر، فمن معانيه في المعاجم:

٢ - استدل على الشيء بالشيء. ٢ - اعتبر منه - تعجب.

٣ - اعتبر به - اتعظ. انظر معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني ص١٦٢.

(٣) المعوقون للدعوة الاسلامية، د سميرة جمجوم، ص١٩٣ .

(٤) سورة يوسف، الآية ٦٤ .

بالعدالة في تطبيق الشرع، وبالعدالة الاجتماعية، فكان لا بد أن يقاومه الملوك، بأن يحاجزوا بين هذه الدعوة المحررة للشعوب، التي تزرح تحت نير حكمهم العاسف الفاسد.(١)

ثانيا : العرب في الشام :

أ - أنواعهم :

كان العرب الذين يقطنون الشام من أكبر العقبات في سبيل الدعوة الإسلامية، فقد نقل الأزدي عن جرجة(٢) أنه قال: "وكان من كان من العرب بالشام ممن كان مشركا على طاعة قيصر على ثلاثة أصناف:

فأما صنف فكانوا على دين العرب، وكانوا معهم.

وأما صنف فكانوا نصارى، وكانت لهم نية في الصرانية، وكانوا معنا.

وأما صنف فكانوا نصارى، وليس لهم في النصرانية تلك النية، فقالوا: نكره أن نقاتل أهل ديننا، ونكره أن ننصر العجم على قومنا".(٣)

ب - مجابهتهم للدعوة سرا :

وإذا نظرنا في أحوالهم نجد أنهم قد تخلوا عن أهم شيمهم العربية، إذ

---

(١) انظر: الدعوة الى الاسلام، تاريخها في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن، لأبي زهرة ص٦٨ .

(٢) قائد رومي، أسلم في معركة اليرموك، انظر ص ٥٧ .

(٣) تاريخ فتوح الشام، للأزدي، ص١٦٩ .

صاروا لا يراعون للوفاء حرمته، فبدأوا يغدرون حتى بأبناء عمومتهم، ليفوزوا برؤوس الرقل وحزبه، فتراهم قد عملوا عيونا للتجسس على المسلمين، والبحث عن نقاط الضعف في الجيش الإسلامي.(١)

كما بدأوا يقطعون الطريق على الرسل الذين يقدمون من المسلمين، وهذا ما فعله شرحبيل بن عمرو الغساني، اذ قطع الطريق على الحارث بن عمير الأزدي(٢) رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى صاحب بصرى، فقتله.(٣)

وكذلك أغار الهنيد بن عوض على دحية الكلبي(٤) - رضي الله عنه - فأخذ منه كل ما معه.(٥)

ج - مجابهتهم للدعوة علنا :

وقف هؤلاء العرب أمام الدعوة والدعاة عقبة كؤودا، فقاتلوهم مع الروم، فقد وقفوا مجتمعين في مقدمة جيش الروم في أكبر المعارك، فكان جبلة بن

---

(١) انظر: المغازي للواقدي، ١٠١٨/٣، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣٥/١ .

(٢) الحارث بن عمير الأزدي، ثم اللهبي - بكسر اللام وسكون الهاء - بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى صاحب بصرى، فقتله الغساسنة، فلما بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - الخبر بعث بعثا مؤتة. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ص٥٨٩ .

(٣) انظر: المغازي للواقدي ٧٥٥/٢ .

(٤) ذكرت ترجمته ص ٦ .

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٢/٤، والروض الأنف للسهيلي ٢٣٥/٤ .

الأيهم الغساني، ومعه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام في المقدمة.(١)

وقد شارك هؤلاء العرب في قوته بعدد كبير يقودهم ابن أبي سبرة الغساني.(٢)

د - التثبيط :

"لما أقبل خالد بن الوليد - رضي الله عنه - من العراق، قال له رجل من نصارى العرب: ما أكثر الروم، وأقل المسلمين!! فقال خالد: ويلك، أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال".(٣)

ثالثا : الظروف المناخية والجغرافية :

واجه الدعاة الصادقون جميع العقبات البشرية والمناخية والجغرافية، بكل قوة وصلابة، حتى اندكت تحت أقدامهم بتوفيق من الله تعالى.

أ - الظروف المناخية :

لما وصل الدعاة إلى حمص(٤) نزلوا حولها، وحاصروها حصارا شديدا - وذلك في زمن البرد الشديد - فصبر الصحابة صبرا عظيما، وقد ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع وقد سقطت رجله وهي في الخف، والصحابة ليس في أرجلهم شيء

---

(١) انظر: فتوح البلدان للبلاذري ص١٤٠، وكتاب الفتوح، لأحمد بن أعثم الكوفي ١٢٥/١ .

(٢) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر ١٨٩/١ .

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير ٩/٧ .

(٤) حمص بلد مشهور قديم مسور، في طرفه القبلي قلعة حصينة، وهي بين دمشق وحلب، يذكر ويؤنث، بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان العملقي. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٠٢/٣ .

سوى النعال، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا إصبع(١)، (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين).(٢)

فهذا مثال لما كان يلاقيه الدعاة من البرد الشديد في سبيل هذه الدعوة.

ب - الظروف الجغرافية :

لم يكن ميدان الدعوة قرية صغيرة، أو مدينة واحدة حتى تنتشر فيه الدعوة بأقصر وقت، ولكن ميدانها فسيح، فهو قطر كامل تصعب تغطيته بسنين عديدة، وهو بلاد الشام التي يقول فيها الاصطخري : أما الشام فإن غربيها بحر الروم، وشرقيها البادية من إيلة إلى الفرات وشماليها بلاد الروم، وجنوبيها حد مصر وتيه بني إسرائيل.(٣)

رابعا : كثرة الأعداء وقلة الدعاة :

لم يكن عدد المسلمين في أكثر المعارك موازيا لعدد الروم، بل كان الروم يزيدونهم بكثير، ففي كل موطن كان الروم ضعف المسلمين أو أضعافهم.(٤)

بالإضافة إلى هذا العدد، فقد اشتهرت الروم بعدتها وأساليب قتالها

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٥٢/٧ .

(٢) سورة يوسف، الآية ٦٤ .

(٣) انظر: كتاب المسالك والممالك ، للاصطخري ص٣٠ .

(٤) وردت أعداد الجيوش في البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٢/٤، وتاريخ فتوح الشام للأزدي ص٨١، ١١٣، ومعارك خالد بن الوليد، لياسين سويد ص٢٢٥ .

وتنظيمها، وقد بنت الحصون والقلاع، فسهل عليها الدفاع عن مراكزها.(١)

ولكن كل هذه الامتيازات تتضاءل أمام إيمان الدعاة إلى الله تعالى، وأمام قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يغلب اثنا عشر ألف من قلة"(٢)، وقول الله تعالى: (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين).(٣)

فأقدم الدعاة وهم يعلمون أن وعد الله آت، إن هم أخلصوا، وصبروا، وباعوا أنفسهم لله تعالى، وتركوا الذنوب.

خامسا : تفرق الجيوش بادىء الأمر :

لما سيّر أبو بكر - رضي الله عنه الجيوش إلى الشام، جابه كل جيش من الجيوش الأربعة صعوبات كبيرة لتفرقهم، ولشدة مقاومة الروم، والعرب المتنصرة، فكاتبوا الخليفة، فاجتمعت الجيوش بعد أمر الخليفة الصديق رضي الله عنه، وأمدهم بخالد بن الوليد - رضي الله عنه - في تسعة آلاف متوجها من العراق.(٤)

---

(١) انظر: معارك خالد بن الوليد، لياسين سويد، ص٢٢٥ .

(٢) الفتح الرباني ، ترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني، لأحمد بن عبد الرحمن البنا، ٥٠/١٤ .

(٣) سورة الأنفال، الآية ٦٦ .

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ٣٩٥/٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٧ .

سادسا : تفشي الأمراض :

بعد أن انتهى الدعاة من أهم المعارك، وبقي بعض الصحابة لم ينالوا الشهادة، أرسل الله تعالى إليهم مرض الصالحين، فأخذ كبارهم وعلماءهم وحكماءهم.

ففي سنة سبع عشرة للهجرة دخل الطاعون بين المؤمنين، فقام أبو عبيدة - رضي الله عنه - فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، فمات أبو عبيدة رضي الله عنه، واستخلف معاذا، فطعن ابنه عبد الرحمن(١) فمات، ثم طعن معاذ فمات، ومات فيه يزيد بن أبي سفيان، وغيرهم من كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وفني خلق عظيم من الناس، وكان الحارث بن هشام(٢) قد خرج في سبعين من أهله إلى الشام، فلم يرجع منهم إلا بأربعة فقط.(٣)

قيل : مات فيه خمسة وعشرون ألفا.(٤)

---

(١) عبد الرحمن بن معاذ بن جبل الأنصاري، شهد مع أبيه اليرموك، ومات معه في طاعون عمواس. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة ٤٨،٤٧/٥ .

(٢) الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي، أخو أبي جهل، شهد بدرا وأحدا مع المشركين، ثم أسلم يوم فتح مكة، خرج بأهله وماله من مكة الى الشام، فلم يزل مجاهدا حتى ختم الله له بخير. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة ٦٠٥/١-٦٠٧ .

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/٧ .

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري ١٠١/٤ .

ولكن من رحمة الله تعالى أن هذا الطاعون لم يقع زمن الفتوحات الكبرى، وإنما وقع زمن الاستقرار، وإلا لقضى الروم على الدعلة مستعينين بالمرض وضعف المسلمين، ولكن (الله يدافع عن الذين آمنوا)(١)، وكأن الله تعالى حفظ هؤلاء القادة حتى يقودوا الدعوة، ويفتحوا الفتوحات، ولا تنالهم الأيدي الخبيثة بأذى، ثم جمعهم عنده مكرمين بعد أن أدوا مهمتهم العظمى.

---

(١) سورة الحج، الآية ٣٨ .

الفصل الثاني

الميادين والوسائل

المبحث الأول : الميادين

تمهيد :

لابد للباحث في ميادين الدعوة أن يعرف الميدان، حتى يفرق بينه وبين الوسيلة والأسلوب.

وقد بحثت عن تعريف لميدان الدعوة فلم أجد تعريفا له إلا ما وجدته في كتاب فن نشر الدعوة مكانا وزمانا في تعريفه لمكان الدعوة بقوله: إنه كل بقعة وكل زمان يتاح للداعية أن يبلغ فيه عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم.(١)

- وإن كان هذا يعرف المكان إلا أنه يذكر بعده أمثلة فيقول: المسجد ميدان للدعوة، والسجن ميدان للدعوة، ويذكر المدرسة وغيرها من الميادين.

---

(١) انظر: فن نشر الدعوة مكانا وزمانا، لمحمد زين الهادي العرماني، ص١٧ .

أولا : ساحـــة الجهـــاد

كـــانـــت ساحة المـعركـه في بـلاد الشام مـيـدانـا فسيحا للدعوة الى الله تـعالى. سواء أكـانـت هذه الدعوة تـربـيـة للجنـد المـسلم على الحيـاة الاسلامـيـة المـبـذولة لله تـعـالى، المـزيـنـة بـتـلاوة القـرآن والصلاة آنـاء الليـل وأطراف النـهار، أم كـانـت دعوة قولية وعملية لأهل هذه البلاد.

فـسـوف نـرى أبـا بـكـر - رضي الله عنـه - يـوصي القـادة والجنـد بـتـقـوى الله تـعالى، وأن الجيـش لا يـؤتـى الا مـن ذنـوبـه(١)، و(أنـه لا يـغلب اثـنـا عشر ألفا مـن قـلة)(٢)، كـمـا سنـرى أيـضا كـذلك كـيـف مزق عمر - رضي الله عنه - على بعض القادة ثـيـاب الديـبـاج، وأغلظ لهم القـول(٣)، وكـيـف كـان يـزور القـادة في بـيـوتـهم ويرى مـا نـالوا مـن هذه الدنـيـا التـي فتـحت لهم كـمـا فعل مـع أبـي عبيدة(٤)، وكيف كان يسأل الجباة عن أخذهم الجزية من أهل البلاد من غير سوط ولا نوط.

ونـرى كـذلك كـيـف بـدأ الدعاة يـوجهون دعوتـهم لأهل البـلاد بـالوسائل والأساليـب المـنـاسبـة، فبـعثـوا الرسل، وكـتـبـوا الرسائل، وعاملـوهم بـالحكـمـة والموعظة الحسنة وجـادلوهـم بـالتـي هي أحسن، وقـدمـوا لهم التـرغيـب والتـرهيـب، وعاملـوهم المـعاملة الحسنة التي شهد بها أهل البلاد، بل وحتى المعاصرين من الكافرين.(٥)

فـكـانـت سـاحـة الجهاد المـيـدان الأول الذي فتـح الطريـق للدعوة لتـصل الى هذا المجتمع.

---

(١) انظر: الصفحات ٦١،٢٦ .

(٢) الفتـح الربـانـي بـتـرتـيـب مـسنـد الامـام أحمـد بـن حنـبـل الشيـبـانـي، لأحمـد عبدالرحمن البنا ١٤/٥٠ .

(٣) انظر : ص ١٦٥ . (٤) انظر ص: . (٥) انظر ص١٠٧ .

ثانيا : المسجـــــــد :

إن من أهم ميادين الدعوة المسجد والمدرسة.

وقـــد عمـل الدعاة على إيـجاد هذا المـيـدان في كـل مـديـنـة يـفـتـحونـها، وجعلوا المـــدرسـة فـي هـذا المـــسـجد، يـجلس أحد الصحابـة ليـعلّم أهل البـلد المـفـتـوح الإسلام الجديـد عليـهم، ويـشرح لهم مـحاسنـه، ويـفـتـيـهم في أمـور ديـنـهم ودنـيـاهم، وهذا ما سـنـراه في تـرجمـة عبـادة بـن الصامـت وأبـي الدرداء ومـعاذ بـن جبـل رضي الله عنـهم أجمعين.

فـلمـا وصى أبـو بـكـر يـزيـد بـن أبـي سفيـان - رضي الله عنـهم - وجيـشه، حمـد الله وأثـنـى عليـه، ثـم قـال: "حتـى تـبـنـوا فيـها المساجد فلا يـعلم أنـكـم إنـمـا تـأتـونـها تـلهيـا، والشام أرض شبـيـعة، يـكـثـر لكـم فيـها مـن الطعام فاياي والأشر، أما ورب الكعبة لتأشرن، ولتبطرن، أوصيكم بتقوى الله عز وجل". (١)

وقـــد جاءت المـساجد وهي أمـاكـن عبـادة المـسلمـيـن بـشكـل مـتـواضع بـالـنـسبـة لمـعـابـد اليـهـود والنـصارى التـي تـجاورها، فـ"المـتـأمـل للصورة التـي عليـها المـساجد في مـقـابـل الصورة التـي عليـها الكـنـائس وغيـرها مـن أمـاكـن العبـادة، يجد البساطة(٢) اللامتناهية في مقابل الأبهة والغموض الذي تكتنف تلك المعابد.

فـالمـــسـجـد فـي الإسـلام فكـرة وروح، فأمـا الفكـرة فهي التـي وضعها رسول الله -

---

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر، ٢٥٥/١ .

(٢) انظر معنى البساطة في التمهيد، ص (ر).

صلى الله عليه وسلم - عندما بنى مسجده الأول، وأما الروح فهي روح الإسلام".(١)

فهذا الموضع فقط، وليس الزخارف والتجميلات والأبهة التي فوق الأرض.

ويتبين زخارف الكنائس فيما ذكره عبدالرزاق من أن عمر - رضي الله عنه - امتنع عن دخول الكنائس لما فيها من الصور.(٢)

مهام المسجد في الدعوة :

بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد، ولم تقتصر رسالته على أداء الصلوات الخمس فحسب، بل جعله موطن تلاوة وتدبر، ومعهد علم وتهذيب، ومجلس صلح وقضاء، وملتقى تعاون وتكافل، ومكان رأي ومشورة.(٣)

وهكذا سار الدعاة الفاتحون على هذا النهج السليم، فقد كان لمهمات المسجد في دعوة الرومبين ثلاث مهمات.

أ - التعليم :

"بعد الفتح وتأسيس المساجد بدأ أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نشر تعاليم الإسلام من نقطة انطلاق مهمة وأساسية، هي: أن الإسلام يناسب كل عقل ونفس، ويصلح لكل مجتمع ، يجمع ما بين المادة والروح في توازن رائع لا مثيل له.

فأقبل المسلمون الجدد على الإسلام لينهلوا من الثقافة الإسلامية الجديدة عليهم، الحبيبة إلى نفوسهم بشغف ونهم، فأشبعوا عقولهم علما، ونفوسهم حبا، وقلوبهم صفاء.

---

(١) دور المسجد في الاسلام، علي مختار ص١٠٥،١٠٦ .

(٢) انظر: المصنف للصنعاني ٤١١/١ .

(٣) انظر: دور المسجد في الاسلام، علي مختار ص٤٧ .

فالإسلام لا يلغي العقل أبدا كما ألغاه محرفو الرسالات، بل يدعو إلى إيقاظ العقل، والدعوة إلى المعرفة" (١)

فهذا أبو مسلم الخولاني يقول: "دخلت مسجد حمص(٢) فإذا جماعة من الكهول يتوسطهم شاب براق الثنايا، صامت لا يتكلم، فإذا امترى القوم في شيء توجهوا إليه يسألونه، فقلت: لجليس لي : من هذا؟ قال: معاذ بن جبل، فوقع في نفسي حبه". (٣)

ب - تتبع أحوال المجتمع الإسلامي، وحل مشكلاته :

ومن مهام المسجد أنه يجمع الناس خمس مرات في اليوم والليلة، إذ من شأن هذا الاجتماع أنه يجعل المسلمين يعلمون بما يصيب بعضهم من ضعف أو مرض فينطلقون إليه، إما مذكرين أو عائدين، لتزيد الصّلاة بينهم الصّلات.

فلما "ولى عمر معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهم - الشام بعد يزيد، وولى معه رجلين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصلاة والقضاء، فولى أبا الدرداء قضاء دمشق والأردن وصلاتهما، وولى عبادة قضاء حمص وقنسرين وصلاتهما". (٣)

---

(١) دور المسجد في الاسلام، ص٥١،٥٢ .

(٢) انظر : ص ١٨ .

(٣) أخرجه الحاكم ٢٦٩/٣، وأبو نعيم في الحلية ٢٣٠/١ .

(٤) فتوح البلدان، للبلاذري ص١٤٦ .

المساجد التي بناها الدعاة الفاتحون :

أ - مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

لما جاء عمر - رضي الله عنه - الى بيت المقدس(١) أراد بناء المسجد، فجاء الى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه، فقال: ضاهيت اليهودية، ثم جعل المسجد في قبلى بيت المقدس، وهو المسجد العمري.(٢)

وكان دخوله يوم الاثنين، فأقام بها حتى الجمعة، ثم بنى مسجده المعروف باسمه، فجعل المحراب من جهة الشرق، وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة.(٣)

وبعد أن تسلم عمر - رضي الله عنه - بيت المقدس كشف عن مكان الصخرة التي كانت مطمورة بالأتربة والنفايات، فأخذ بطرف ثوبه فملأه ترابا، ورمى به في الوادي المجاور (وادي جهنم)، وعلى أثر ذلك تسابق جنود الجيش الاسلامي في مشاركة الخليفة، حتى تم تنظيف المكان المبارك، واستبانت الصخرة.(٤)

"وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي وهو بايلياء وعظ النصارى فيما

---

(١) بين المقدس هي ايلياء، قيل معناها: بيت الله، وقيل انها سميت باسم بانيها ايلياء بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي ٢٩٣/١ .

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥٥/٧، ٥٦، واتمام الوفا في سيرة الخلفاء، محمد الخضري بك ص١٠١ .

(٣) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي، ص٢٥٩، وتاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ص٩٨ .

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥٨/٧، وأشهر المساجد في الاسلام لسيد عبد المجيد بكر، ٣٠٠/١، ومأساة بيت المقدس لمحمد العابدي ص١٥.

كانوا قد بالغوا في القاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود - عليه الصلاة والسلام - قال لهم: إنكم لخليق أن تُقْتَلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد، كما قُتِلَتْ بنو اسرائيل على دم يحيى بن زكريا - عليهما الصلاة والسلام - ثم أمروا بإزالتها فشرعوا في ذلك، فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون، فأزالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.(١)

وبنظرة سريعة إلى هذين الموقفين من قبل المسلمين، ومن قبل الروم، نرى كيف كان احترام المسلمين للمسجد الذي عرفوا أهميته في نشر الإسلام، كما نرى كيف استهان الروميون بمكانة المسجد وحرمته، ولكن الله تعالى يورث أرضه من يشاء من عباده المتقين .

ب - مسجد دمشق :

استقر المسلمون بعد فتحها - في بادىء الأمر - في الطرف الشمالي من المدينة، وكان أهم شيء يميز المدينة الإسلامية المسجد الجامع، فقد أمر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين قدم إلى الشام سنة ١٨هـ ألا يتخذ في المدينة سوى مسجد جامع واحد، وأراد عمر بذلك المسجد الذي تقام فيه الجمعة، ولم ينه عن اتخاذ المساجد التي لا تقام فيها الجمعة.

وهذا المسجد هو الجانب الشرقي من كنيسة يوحنا، إذ أخذ المسلمون نصفها، وأبقوا لهم النصف الآخر، فهذا النصف هو جامع دمشق.(٢)

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٥٦/٧ .

(٢) انظر: المصدر السابق ٢١/٧، والحواضر الاسلامية الكبرى، عصام الدين الرؤوف ص٢٤ .

ج - مسجد حمص :(١)

بعد ما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق استخلف عليها يزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنهم - ثم قدم حمص على طريق بعلبك، فنزل باب الرستن، فصالحه أهل حمص على أن أمّنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم، واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد، واشترط الخراج على من أقام منهم.(٢)

د - مسجد حلب:(٣)

لما وصل جيش أبي عبيدة - رضي الله عنه - إلى حلب، كان على مقدمته عياض بن غنم الفهري، فوجد أهلها قد تحصنوا، فنزل عليها، فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم، ومنازلهم، والحصن الذي بها، فأعطاهم عياض ذلك، واستثنى عليهم موضع المسجد، فأنفذ أبو عبيدة صلحه.(٤)

وما استثنى المسلمون هذا الموضع من المدينة كلها إلا لعلمهم بأهميته في نشر الدعوة بين أهل حلب المصالحين للمسلمين.

---

(١) سبق التعريف به ص١٨ .

(٢) انظر: فتوح البلدان للبلاذري ص١٣٧، والكامل لابن الأثير ٢/٤٩٥ .

(٣) حلب مدينة عظيمة كثيرة الخيرات، سميت حلبا لأن ابراهيم - عليه السلام - كان يحلب بها غنمه في الجمعات ويتصدق به. انظر: معجم البلدان ٢/٢٨٢ .

(٤) انظر: فتوح البلدان للبلاذري ص١٥٢، واتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، لمحمد الخضري بك ص٩٩ .

هـ - مسجد اللاذقية:(١)

لما وصل الدعاة إلى اللاذقية طلب أهلها الأمان، على أن يتراجعوا إلى أرضهم، فقوطعوا على خراج يؤدونه قلّوا أو كثروا، وتركت لهم كنيستهم، وبنى المسلمون باللاذقية مسجدا جامعا بأمر عبادة بن الصامت رضي الله عنه.(٢)

و - مسجد قنسرين :(٣)

تقدم أن عمر بن الخطاب لما ولى معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهم - على الشام بعد يزيد،ولى معه رجلين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الصلاة والقضاء، فولى أبا الدرداء على قضاء دمشق والأردن وصلاتهما، وولى عبادة بن الصامت على قضاء حمص وقنسرين وصلاتهما.(٤)

ومن هذه الشواهد نعلم أن المسلمين لا يقيمون في مكان إلا ويشعلون فيه مصباحا من مصابيح الهداية، وينشئون ميدانا عظيما من ميادين الدعوة، حتى

---

(١) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام، وهي مدينة عتيقة رومية، فيها أبنية قدمية مكينة. انظر: معجم البلدان ٦/٥ .

(٢) انظر: فتوح البلدان للبلاذري ص١٣٩، والكامل لابن الأثير ٤٩٢/٢ .

(٣) قنسرين : سميت-بذلك لأن ميسرة بن مسروق مر عليها فلما نظر اليها قال: ما هذه فسميت له بالرومية، فقال: والله لكأنها قن نسر، فسميت قنسرين. انظر: معجم البلدان ٤٠٣/٤ .

(٤) انظر: فتوح البلدان للبلاذري ص١٤٦ .

يكون هذا المنبع منهلا ينهل منه القاطنون حوله، وينظم لهم حياتهم، ويحل مشكلاتهم، وينظر في أحوالهم، ويشرح لهم الإسلام شرحا يرونه ماثلا أمامهم في أشخاص معلميهم الذين هاجروا لنشر الدعوة بين الناس.

لهذا خاف منهم الروم لما رأوا انتشار المساجد؛ لأنهم يرون الفاتحين يعمرون المساجد قبل أن يعمروا بيوتا لهم، فلذا خافوا منهم، وعلموا أنهم هم الغالبون.

"من أجل هذا اتجه أعداء الإسلام لمحاربة المسجد، متأكدين أن القضاء على مهمات المسجد تقليل من قيمة الإسلام، وقضاء عليه، ومن هنا بدأت صور الصراع - في هذا الزمن - ضد المسجد .

ذلك الصراع الذي اشترك فيه العديد من الأشخاص والهيئات على مر الزمن.

وقد استمرت حروب هؤلاء دون هوادة ضد المسجد، حتى استطاعوا في كثير من الأحوال أن يفصلوا بين المسجد والمسلمين، فانحسر دور المسجد".(١)

---

(١) دور المسجد في الاسلام، لعلي مختار ص١١٩ .

ثالثا : المدرسة :

إن أي دعوة يراد لها الانتشار والافادة تحتاج إلى النشر بالتعاليم بين الناس حتى يفهمها المدعوون، ويراعوا مزاياها، وإن (أماكن التعليم تعدّ من أنجح الأماكن وأفضل الميادين لنشر الدعوة إلى الله).(١)

فيتعلم فيها الناس العقيدة الصحيحة، والعبادات كالصلاة والحج والوضوء والطهارة.

وإن المدرسة بهذه الصورة وجدت في الشام في هذه الفترة داخل المسجد كما سيأتي من تعليم أبي الدرداء، ومعاذ، وعبادة - رضي الله عنهم - للناس.(٢)

فمهمة المدرسة نراها تقدم للمدعوين في المساجد المقامة، ولا زالت هذه الطريقة إلى عهد قريب بما يسمى (الكتاتيب).

فالمسجد إلى جانب مهمته الأساسية وهي الصلاة والفتيا والمواعظ والخطب والاجتماعات قام فيه الدعاة بالتعليم والتثقيف وتعريف المسلمين الجدد أمور دينهم.

---

(١) فن نشر الدعوة مكانا وزمانا، لمحمد زين الهادي العرماني ص٢٠١ .

(٢) انظر: ص١٩٧.

المبحث الثاني : الوسـائل

تمهيـد :

إن الحديث عن وسائل الدعوة في هذه البلاد يقودنا إلى تعريف الوسيلة، حتى نرى كيف استخدمها الدعاة في دعوتهم مع المدعوين.

فـ"الوسيلة في الدعوة أو الاتصال الدعوي هي القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس، وهي في أساسها الكلمة أو القول عندما يكون الاتصال مباشرا.

وعندما يكون الاتصال جماهيريا أو جمعيا بصورة لا يتمكن فيها الداعي أو القائم بالاتصال من إيصال ما لديه إلى الآخرين تحتاج إلى أداة اصطناعية تحملها، وهذه الأداة تختلف باختلاف الجمهور المستهدف، وطبيعة المادة المعروضة، والملابسات الزمانية والمكانية الأخرى، وهي بهذا التحديد تختلف عن أسلوب الدعوة ومجال الدعوة كذلك". (١)

فالرسل والرسائل قناة لحمل هذه الكلمة، أعني كلمة الدعوة، والجهاد ما هو إلا وسيلة لإيصال هذه الكلمة إلى الجماهير، وإزاحة العقبات عن سبيلها.

فالرسل والرسائل استعملها الدعاة الفاتحون مع أهل هذه البلاد قناة لتحمل لهم كلمة الدعوة التي هي كلمة التوحيد.

ولم يكن الجهاد في هذه البلاد إلا وسيلة لإيصال هذه الكلمة المباركة إلى الجماهير المدعوين أينما كانوا، ومهما نالوا من العناء والتعب، لذا عمل

---

(١) ركائز الاعلام في دعوة ابراهيم عليه السلام، لسيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص٢٩، لم يطبع بعد.

الدعـاة مـن خـلال هـذا الجـهـاد عـلى ازاحـة العـقـبـات عن سبـيـل الدعوة لتـصل إلى الناس من غير أن يعيقها عائق.

المطلب الأول : الوسائل

جاءت الوسائل التي استخدمها الدعاة مناسبة لأهل البلاد، وقد كان من أول هذه الوسائل الرسالة التي كتبها الدعاة لتحمل دعوتهم إلى المدعوين، فأرسلوا عدة رسائل، بدأت منذ عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن عمت الدعوة أرجاء الشام.

وكانت الرسالة تأتي عادة قبل بدء المناوشات بين الجيشين، ومهمتها أنها تحمل بيان الغاية الأساسية لمجيء هؤلاء الدعاة إلى هذه البلاد، فبينوا فيها أنهم ما أتوا حبا في القتل، أو المال، أو الأرض، وإنما لشرح الصدور لهذا النور.

كما تحمل الحلول للرومبين إذا لم يستجيبوا لداعي الله، فإن رضوا بالدعوة وإلا فان الدعاة لن يقفوا، ولن يتراجعوا دون أن يوصلوا هذه الدعوة إلى الشعوب المحكومة، فيذكرون في رسائلهم الخصلتين من مبادئ الدعوة الإسلامية لأهل البلاد بعد الدعوة إلى الإسلام أولا.

وقد تأتي هذه الرسائل ردا لرسائل من الروم أرسلوها سائلين عن مجيئهم أو مهددين، فيرد المسلمون عليها، ويشرحون لهم الإسلام، أو يبينون فيها - ردا على تهديدهم - أنهم وإن كانوا قلة إلا أنهم يملكون - بفضل الله تعالى - قوة وعزيمة تهزم كثرة الروم وعدتهم.

وقد قسمت هذه الرسائل إلى ثلاث مجموعات :

أولا : الرسائل إلى هرقل :

كانت أول رسالة وصلت إلى الروم بدعوة الإسلام، هي رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى قيصر، إذ كتب إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - مع دحية الكلبي رضي الله عنه(١):

"بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله، إلى هرقل، عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد:

أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك اثم الأريسيين (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)(٢)."(٣)

ثانيا : الرسائل إلى قادة الروم :

لما اجتمعت الجيوش عند إيلياء(٤)، كتب عمرو بن العاص - رضي الله عنه

---

(١) سبقت ترجمته، ص ٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٤ .

(٣) البخاري، كتاب الجهاد، ٨٤/٦، المطبوع مع فتح الباري، ومسلم كتاب الجهاد ١٠٧/١٢، ١٠٨ .

(٤) ايلياء : انظر ترجمتها ص٢٩ .

- إلى أهل ايلياء كتابا يدعوهم فيه إلى الإسلام، جاء فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم

من عمرو بن العاص، إلى بطارقة إيلياء، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله العظيم الذي لا اله الا هو، ومحمد صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فإنا نثني على ربنا خيرا، ونحمده حمدا كثيرا كما رحمنا بنبيه، وشرفنا برسالته، وأكرمنا بدينه، وأعزنا بطاعته، وأكرمنا بتوحيده، والإخلاص بمعرفته، فلسنا - والحمد له - نجعل له ندا، ولا نتخذ من دونه إلها، لقد قلنا إذن شططا، سبحانه وبحمده، جلّ ثناؤه، والحمد لله الذي جعلكم شيعا، وجعلكم في دينكم أحزابا بكفركم بربكم، فكل حزب بما لديهم فرحون، فمنكم من يزعم أن لله ولدا، ومنكم من يزعم أن الله ثاني اثنين، ومنكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة، فبعدا لمن أشرك بالله وسحقا، وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، والحمد لله الذي قتل بطارقتكم، وسلب عزكم، وطرد من هذه البلاد ملوككم، وأورثنا أرضكم وديارِكم وأموالكم، وأذلكم بكفركم بالله وتركككم ما دعوناكم إليه من الإيمان بالله ورسوله، فأعقبكم الله الجوع والخوف والذل بما كنتم تصنعون ..

ثم لم يستجيبوا لدعوته، فاستدعاه أبو عبيدة - رضي الله عنه - فرحل عنها إلى الأردن.(١)

---

(١) انظر: تاريخ فتوح الشام، للأزدي ص١٦٥، ١٦٦ .

والأردن: هي أحد أجناد الشام الخمسة، وهي كورة واسعة، منها الغور، وطبرية، وصور، وعكا، وما بين ذلك، وهما أردنان كبير وصغير. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ١٤٧/١ .

وبعد وقعة اليرموك(١) توجه أبو عبيدة - رضي الله عنه - إلى الأردن، وعسكر بها، وأرسل إلى هرقل الرسل، وقال: اخرجوا إلي، أكتب لكم الأمان على أنفسكم وأموالكم، ونف لكم كما وفينا لغيركم، فتثاقلوا، وأبوا، فكتب إليهم بكتاب جاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم

من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل ايلياء وسكانها، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله العظيم ورسوله.

أما بعد، فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فإذا شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم، وكنتم إخواننا في ديننا، وإن أبيتم فأقروا لنا باعطاء الجزية عن يد، وأنتم صاغرون، وإن أبيتم سِرْتُ إليكم بقوم، هم أشد حبا للموت منكم للحياة، ولشرب الخمر، وأكل الخنزير، ثم لا أرجع عنكم - إن شاء الله - حتى أقتل مقاتلتكم وأسبي ذراريكم". (٢)

---

(١) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف الغور، جرت فيه المعركة بين المسلمين والروم في أيام أبي بكر. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٣٤/٥ .

(٢) تاريخ فتوح الشام، للأزدي ص٢٤٣، فضائل بيت المقدس، محمد ابراهيم ص٢١٦.

ثالثا : الرسائل الى عمال الروم من العرب :

"بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شجاع بن وهب(١) - أخا بني أسد ابن خزيمة - إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني، صاحب دمشق(٢) ... وكتب معه: سلام على من اتبع الهدى، وآمن به، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك.

فقدم شجاع بن وهب، فقرأه عليه، فقال: ومن ينزع ملكي. إني سأسير إليه؟"(٣)

وقد بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى فروة بن عمرو الجذامي(٤)، - عامل الروم على معان(٥) - يهنئة بالإسلام.(٦)

وبعث كذلك إلى يحنة بن روبة أسقف أيله(٧)، يدعوه إلى الإسلام.(٨)

---

(١) تقدمت ترجمته، ص ٧ .

(٢) سبق التعريف ص ٧ .

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير ٢٦٨/٤ .

(٤) سبقت ترجمته، ص ٤ .

(٥) تقدم التعريف ص ٥ .

(٦) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨١/١ .

(٧) ايلة: مدينة صغيرة عامرة، وهي المدينة التي حرم على اليهود فيها صيد السمك يوم السبت، سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام، وتعرف اليوم باسم العقبة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٩٢/١، ومعجم المعالم الجغرافية ص٣٥ .

(٨) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٢٧٧/١، ٢٧٨ .

كما بعث أيضا إلى أكيدر دومة الجندل(١). (٢)

فهذه نماذج للرسائل التي استخدمها الدعاة وسيلة لإيصال الدعوة إلى الروم، كما أن هناك رسائل أخرى كثيرة، أرسلها المسلمون إليهم تركتها خشية التكرار؛ لأنها تروي من معين واحد، ولأن مبادئها واحدة، وأغراضها واحدة كذلك.

وسيأتي بعض منها - إن شاء الله تعالى - في بعض المباحث؛ لأنها استعملت كذلك في الترغيب والترهيب. (٣)

---

(١) سبقت التعريف بها ص ٢ .

(٢) انظر: المغازي، للواقدي، تحقيق مارسدن جونس، ١٠٣٠/٣، العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن عبد ربه، ٤٧/٢ .

(٣) انظر فصل: الترغيب والترهيب ، ص ٦٧-٧٧ .

المطلب الثاني : الرسل

إن من أهم الوسائل التي استخدمها الدعاة مع الرومیین وسیلة الرسل، إذ كان القائد المسلم یرسل من یرى فیه الحكمة والقوة، أو العلم سفیرا للإسلام والمسلمین إلى جیش الروم، لیشرح لهم الإسلام، أو لیریهم من خلال حاله ومقاله وفعالة قوة المسلم النفسیة، وعزته بدینه وإخوته الدعاة، وأنهم أثبت الناس قلبا، أو لیعرض علیهم الجزیة مقابل الحمایة، أو یكون ذهابه إجابة لرغبة الروم في إرسال من یعرفون منه هدف هذا الجیش، أیرید المال والأرض والملك، فیعرضون له ولقومه عرضا من المال لیرجعوا؟ أم یرید القتال وشرب الدماء وهتك الأعراض، فیستمیتون في رده؟ أم أن هذا الجیش هو الذي أخبرهم به رسولهم - علیه الصلاة والسلام - بأن هذا الجیش أتباع الرسول الجدید، فیقول أحد عقلائهم: أجیبوا داعي الله، فلیس لكم منهم ملتحد فسیملكوننا؟

لذا ذهب الدعاة رسلا إلى هؤلاء مستعملین وسائل وأسالیب متعددة لعرض الإسلام دون إراقة الدماء، إلا من قاتل فیقتل.

أولا : إرسال الرسل ابتداء من المسلمین :

لما أراد النبي - صلى الله علیه وسلم - دعوة أهل الشام دعا من كان في الطریق إلیها، فأرسل إلى أكیدر دومة الجندل عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - لیعرض علیه الإسلام، فأسلموا، فكتب إلیهم النبي - صلى الله علیه وسلم - كتابا یشرح فیه الإسلام ویعطیهم العهد فیه.

كما أرسل خمسة عشر رجلا إلى ذات أطلاح(١)، وأرسل شجاع بن وهب إلى الحارث ابن شمر الغساني.(٢)

وقد كان أول صلح وقع في الشام هو صلح مآب(٣)، إذ وجه يزيد بن أبي سفيان(٤) أبا أمامة الباهلي(٥) - رضي الله عنه - إلى الروم، ليصالحهم، فذهب إليهم وعقد الصلح.(٦)

ولما اجتمع الجيشان في اليرموك(٧) ذهب وفد من المسلمين، يقدمهم أبو عبيدة رضي الله عنه، فلما وصل هذا الوفد إلى الروم نادوا: إنا نريد كلام أميركم وملاقاته، فدعونا نأته ونكلمه، فأبلغوه، فأذن لهم، وكان عنده ثلاثون

---

(١) انظر: فصل نبذة عن بداية الدعوة ص٣ .

(٢) انظر: فصل نبذة عن بداية الدعوة ص ٧ .

(٣) مآب: مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، وهي شمال مؤتة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣١/٥، ومعجم المعالم الجغرافية ص٢٧٧ .

(٤) يزيد بن أبي سفيان بن صخر القرشي الأموي، أمير الشام، وأخو الخليفة معاوية، كان من مسلمة الفتح، وكان يقال له: يزيد الخير، مات في طاعون عمواس، سنة ١٨هـ. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة ٦٥٨/٦، ٦٥٩ .

(٥) أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وسمي باسم جده أسعد بن زرارة، ومات سنة مائة. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٦٣/١، ٢٦٤ .

(٦) البداية والنهاية ٩/٧، ١٠ .

(٨) اليرموك، سبق التعريف بها ص٤٠ .

سرادقا كلها من الديباج، فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا عليه فيها، فأمر لهم بفرش بسط من حرير، فقالوا: ولا نجلس على هذه، فجلس معهم حيث أحبوا، فعرضوا الإسلام عليهم فأبوا، ثم عرضوا عليهم بقية الخصلتين مما يدعون إليه: الجزية أو السيف، فقبلوا القتال، فرجع الوفد إلى المسلمين ليخبروا الأمير برفضهم دعوة الإسلام، وقبولهم الحرب.(١)

ولما بلغ خبر الوفد إلى هرقل، ونزول قائده من مجلسه اليهم، قال: "ألم أقل لكم؟ هذا أول الذل ... وويل للروم من المولود المشئوم".(٢)

ولما رأى المسلمون أن العرب المتنصرة صاروا عقبة في سبيل الدعوة أرسلوا إليهم هشام بن العاص(٣) - رضي الله عنه - مع وفد من المسلمين، فلما صاروا إلى باب جبلة بن الأيهم الغساني، استأذنوا عليه، فأذن لهم، فدخلوا عليه - وهو في الذهب والفضة والديباج - فلما نظر المسلمين، أومأ إليهم أن اجلسوا، فقال لهم: ما حاجتكم؟

فقال هشام: إن أردت كلامنا فانزل من فرشك وكلمنا.

فنزل، ثم جلس على فرش دونها، فكلمه هشام، ودعاه إلى الإسلام، ورغّبه فيه، وقرأ عليه كتاب الله، وأخبره بأمر الجنة والنار، فأبى جبلة.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٠٣/٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/٧-١٠، وحروب الاسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين، محمد أحمد باشميل ١٨٢، ١٨٣ .

(٢) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢٣٥/١ .

(٣) هشام بن العاص بن وائل السهمي، أسلم قديما، وهاجر الى الحبشة، واستشهد بأجنادين. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة ٥٤٠/٦ .

فقال هشام : إذا أبيت فإني مسائلك .

- سل عما بدا لك .

- ما هذه الثياب السود التي أراها عليك ؟

- لبستها نذرا على ألا أنزعها حتى أخرجكم من الشام.

فتبسم هشام، وقال:

- يا جبلة، إنك والله لن تقدر أن تمنع مجلسك هذا منا، والله لنأخذنه، ولنأخذن ملك الملك الأعظم.

- أأنتم السمراء الذين نجدهم في الإنجيل، يصومون النهار، ويقومون الليل، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويفتحون من المشرق إلى المغرب؟

- فنحن والله أولئك .

فاسود وجهه ..

- إلي بعثتم أم إلى الملك الأعظم ؟

- بعثنا إليك وإليه.

- فسيروا إذا إليه، فإن أجابكم إلى ما تريدون، أجبتكم ولم أتأبَّ عليكم.(١)

ولما كان عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بازاء الأرطبون أرسل إليه الرسل، ليدعوه إلى الإسلام، ثم خرج إليه هو بنفسه.(٢)

---

(١) انظر: كتاب الفتوح ، للكوفي ١/١٧٠،١٧١ .

(٢) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٧/٥٤ .

ثانيا : إرسال الرسل بطلب من الروم :

كان دحية(١) الكلبي - رضي الله عنه - رسول النبي -صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل قبل غزوة تبوك(٢) يدعوه إلى الإسلام(٣) كما تقدم.(٤)

ولما عسكر المسلمون قريبا من فحل(٥) أرسل إليهم الروم يهددونهم بقولهم: ارجعوا إلى بلاد البؤس والشقاء، وإلا أتيناكم، ثم لم ننصرف عنكم وفيكم عين تطرف، فرد عليهم أبو عبيدة - رضي الله عنه - برسالة هي أشد وطأة عليهم وأقوم قيلا منهم، فخافوا، وأرسلوا يطلبون رسولا من صلحاء المسلمين، فأرسل إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل رضي الله عنه.

فلما ذهب ودنا منهم نزل عن فرسه، وأخذ بلجامه، ثم أقبل إليهم يقود فرسه، فقالوا لبعض غلمانهم: انطلق إليه فأمسك له فرسه.

فجاء الغلام، فقال له معاذ رضي الله عنه: أنا أمسك فرسي، لا أريد أن يمسكه أحد غيري.

---

(١) سبقت ترجمته ص ٦ .

(٢) سبق التعريف بها ص ٨ .

(٣) أخرجه البخاري ٣٦/١، ٣٧، ومسلم ١٠٣/١٢ . وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٥/٥ .

(٤) انظر فصل بداية الدعوة ٦ .

(٥) فحل: بكسر أوله وسكون ثانيه، اسم موضع في الشام، كانت فيه وقعة للمسلمين، وكان يوم فحل يسمى يوم الردغة ويوم بيسان، وهي في فلسطين المحتلة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٣٧/٤، ومعجم المعالم الجغرافية ص٢٣٤ .

فتقدم، وقام عند الفراش التي على النمارق، فقال له الرجل: أدن، فاجلس مع هؤلاء الملوك في مجالسهم، فإنه ليس أحد يقدر أن يجلس معهم، فقد بلغهم صلاحكم وفضلكم، فهم يكرهون أن يكلموك جلوسا وأنت قائم، فاجلس معهم.

فقال: إن نبينا - صلى الله عليه وسلم - أمرنا ألا نقوم لأحد من خلق الله، وألا يكون قيامنا إلا لله في الصلاة والعبادة، فليس قيامي هذا لكم، ولكني قمت إعظاما للمشي على هذه البسط، والجلوس على هذه النمارق التي استأثرتم بها على ضعفائكم، وإنما هي زينة الدنيا وغرورها، وقد زهد الله في الدنيا وذمها، فأنا أجلس على الأرض، وكلموني أنتم بحاجتكم.

فأمسك برأس فرسه، وجلس على الأرض عند طرف البساط.

فقالوا: صنيعك هذا بنفسك صنيع العبد، وقد أزريت بنفسك، فاجلس مع هؤلاء الملوك، فإن جلوسك معهم مكرمة.

فجثا على ركبتيه، واستقبلهم بوجهه، وقال: هذه المكرمة إنما هي للدنيا، فهذه المكرمة لكم، ولا حاجة لنا في شرف الدنيا ولا فخرها، ولا في شيء يباعدنا عن ربنا.

وقولكم: هذا مكرمة، خطأ وجور، وما عند الله لا يدرك بالخطأ.

أما قولكم: صنيع العبد، فصنيع العبد بنفسه صنعت، وأنا عبد من عبيد الله، جلست على بساط الله، ولا أستأثر بشيء من مال الله على إخوتي.

وأما قولكم: إني أزريت بنفسي، فذلك عندكم، وليس عند الله، فلست أبالي كيف كانت منزلتي عندكم، إذا كانت عند الله على غير ذلك، فأحبّ عباد الله إليه المتواضعون له، القريبون من عباد الله، الذين لا يشغلون أنفسهم بالدنيا، ولا يدعون التماس نصيبهم من الآخرة.

فقالوا له: أنت أفضل أصحابك ؟

قال : عند الله! معاذ الله أن أقول ذلك، وليتني لا أكون شرهم.

فسكتوا عنه ساعة، فقال للترجمان: قل لهم إن كانت لهم حاجة في كلامي، وإلا انصرفت عنهم.

فقالوا: أخبرنا ما تطلبون؟ وإلى ما تدعون؟ ولم تستحلون قتالنا وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابنا؟ ولمَ لمْ تذهبوا إلى الحبشة وإنما تملكهم النساء ونحن ملكنا حي؟

فحمد الله، وقال: إنما أول ما أدعوكم إليه أن تؤمنوا بالله وحده، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن تصلوا صلاتنا، وتستقبلوا قبلتنا، وأن تستنوا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وتكسروا الصليب، وتجتنبوا شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، ثم أنتم منا ونحن منكم، وأنتم إخواننا في ديننا، لكم ما لنا وعليكم ما علينا.

وإن أبيتم فأدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، ونكف عنكم.

فإن أبيتم هاتين الخصلتين فليس شيء مما خلق الله نحن قابلوه منكم، فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين.

فهذا ما نأمركم به وندعوكم إليه.

وأما قولكم: إن ملكنا حي، وتؤيسوننا من الظهور فإن الأمر لله لا لكم، وإن يكن ملككم هرقل، فإن ملكنا هو الله عز وجل، الذي خلقنا، وأميرنا رجل منا، إن عمل فينا بكتاب ديننا وسنة نبينا - صلى الله عليه وسلم - أقررناه علينا، وإن عمل بغير ذلك عزلناه عنا، وإن هو سرق قطعناه، وإن زنا جلدناه، وإن شتم

رجلا منا شتمه كما شتمه، وإن جرحه أقاده من نفسه، ولا يحتجب منا، ولا يتكبر علينا، ولا يستأثر علينا في فيئنا الذي أفاء الله علينا، وهو كرجل منا.(١)

وانصرف معاذ إلى أبي عبيدة - رضي الله عنهما - بعد أن أبلغهم الدعوة، وهددهم وبين لهم عزة المسلم وقوته، كما سيأتي(٢) بعون الله تعالى.

وفي اليرموك(٣) بعثوا يريدون رجلا من خيار المسلمين وعظمائهم، فأرسل إليهم أبو عبيدة خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقال: القهم وادعهم إلى الإسلام، واعرض عليهم الخصلتين إن أبوا ذلك.

فبعث خالد بقبة حمراء من أدم - ليصير إليها عند ماهان - فذهب إليها بعد ما نصبت له.

ثم بعث إليه ماهان، وقد صف له على طريقه عشرة صفوف عن يمينه، وعشرة عن شماله، مقنعين بالحديد، وصف من وراء تلك الصفوف خيلا عظيمة، وإنما أراد أن يرعبه بذلك.

فأقبل خالد غير مكترث، فجلسا في مكان أعده ماهان، وأخذ يثني على خالد بحكمته ودهائه، ثم قال: أتحتاج إلى مشورة هذا الرجل معك، وأنت على هذه الحكمة والدهاء؟

---

(١) انظر: تاريخ فتوح الشام، للأزدي، ص١١٥-١٢١ ، والطريق الى دمشق، لأحمد عادل كمال، ص٣٢٠-٣٢٤ .

(٢) انظر: فصل الترغيب والترهيب ص ٧٢ .

(٣) سبق التعريف بها ص ٤٠ .

- إن في عسكرنا لأكثر من ألفي رجل، كلهم لا يستغني عن رأيه، وعن مشورته.

- إنني أريد أن ألقي الحشمة فيما بيننا، وإنّ قبتك هذه أعجبتني، وأنا أحب أن تهبها لي، وخذ ما بدا لك فيها.

- هي لك فخذها، ولست أريد من متاعك شيئا .

- إن شئت بدأناك بالكلام، وان شئت أنت فتكلم.

- ما أبالي أي ذلك كان، أما أنا فلا اخالك إلا وقد علمت، وبلغك ما أسأل وما أطلب، وما أدعو إليه، وقد جاءك بذلك أصحابك.

ثم بدأت بينهم المناقشة بالحسنى والليّن تارة(١)، وبالترهيب تارة(٢)، وعاد خالد إلى أبي عبيدة - رضي الله عنهما - وأخبره أن القتال واقع بينهم، فليستعد المسلمون.(٣)

وهكذا رأينا كيف كان هؤلاء الرسل يسعون إلى الروم فرادى وجماعات، مقدمين أنفسهم رخيصة لأنهم يعلمون أن هؤلاء لا عهد لهم ولا ذمة، ولا يهولهم هذا ولا ما يرونه من جموع الروم وبهارج ملوكهم وعساكرهم، فيصدعون بكلمة الحق والعدل، بل ويهددون أهل الكفر في عقر دارهم حتى يصلوا إلى شعوب الروم، فيدعوهم إلى الإسلام، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

---

(١) انظر: فصل: المجادلة بالحسنى، ص ٧٩ .

(٢) انظر: فصل: الترغيب والترهيب، ص ٧٣ .

(٣) انظر: كتاب الفتوح، للكوفي، ص٣٢٩-٢٤٧، وتاريخ فتوح الشام للأزدي، ص١٩٥-٢٠٧ .

المطلب الثالث : الجهـــــــــاد

لقد كان من حكمة الله تعالى أن الحق لا ينتصر بذاته، ولا ينتشر بقوته فقط، إذ لا بد له من قوة تحميه، وتذود عنه، وتكفل له الذيوع والانتشار، وتبين حقيقته للناس، وتكشف باطن أعدائه، من أهل الشر، ودعاة الضلال والهدم، كما أن في ذلك ابتلاء لأهل الخير، وتمحيصا لهم مصداقا لقوله تعالى: (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين).(١)

والدعوة الإسلامية بما تميزت به من صفات لا بد "أن يكون لها أعداء، وأعداء من كل لون، على قدر خصائصها ... ثم انها إنسانية، تدعو إلى العدل والوفاء، وكل عمل صالح، كما وأنها لا تتملق عواطف الجماهير فتقدم لهم مزيدا من المتع الحسية ... من أجل هذا يعاديها الأشرار، من حيث جاءت لتحاسبهم على ما اقترفت أيديهم من خطأ.(٢)

لهذا كان جهادهم جهادا شاقا؛ إذ يقابلون أضعافهم عددا وعدة، فلا سبيل للوصول إلى الشعوب إلا بالجهاد المخلص لإزاحة العقبات عن طريق دعوتهم، وهم يعلمون فضل الجهاد وأجر الله عليه.(٣)

وفي هذا المطلب سنتعرف على الجهاد في الشام في بدايته، وأهم عناصره، والمشاركين فيه..

---

(١) أسباب نجاح الدعوة، لعبد الله بن محمد الموسى، ص٢٣، ٢٤ .

والآية من سورة آل عمران: ١٤١ .

(٢) نحو أسلوب أمثل للدعوة الاسلامية، محمود بن محمد عمارة، ص٤٤، ٤٥ .

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، فصل الجهاد، ٣٠٨/٢٨ .

أولا : كيف بدأ الجهاد في الشام ؟

بدأ الجهاد أول بداياته في هذه البلاد في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - حينما أرسل رسله إليها كما تقدم مفصلا.(١)

وفي هذه الفترة سيكون الحديث عن بدايته في عهد الخلافة الراشدة.

فلما تولى الصديق - رضي الله عنه - الخلافة، قاتل أهل الردة، وقضى على المناوئين، ثم عزم على بعث جيشه إلى الشام، فجمع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا أيها الناس - رحمكم الله تعالى - اعلموا أن الله فضلكم بالإسلام، وقال فيكم: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)(٢)، واعلموا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان عول أن يصرف همته إلى الشام، فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه.

ألا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهليهم ومالهم، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنبأني بذلك قبل موته، فما قولكم في ذلك؟

فقالوا: يا خليفة رسول الله، مرنا بأمرك، ووجهنا حيث شئت، فإن الله تعالى فرض علينا طاعتك.

ففرح أبو بكر - رضي الله عنه - ونزل من المنبر، وكتب الكتب إلى ملوك اليمن، وأهل مكة، وكانت الكتب فيها نسخة واحدة، فما مرت الأيام حتى قدم أنس(٣) - رضي الله عنه - ببشره بقدوم أهل اليمن، فجاءوا شعثا غبرا، وهم

---

(١) انظر فصل بداية الدعوة، ص ٢-١٠ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٣ .

(٣) أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله - صلى الله =

أبطال اليمن وشجعانها، وقد ساروا بالأموال والذراري والنساء والأطفال، وتوافد أبطال العرب ورجال الإسلام من القبائل العربية.(١)

وكان الصديق - رضي الله عنه - قد ندب كبار الصحابة للجهاد، وأرسل إلى بعض الصحابة خارج المدينة، كعمرو بن العاص، والوليد بن عقبة(٢) - رضي الله عنهما - يستنفرهما إلى الشام، فكتب إلى عمرو:

"اني كنت رددتك على العمل الذي ولاكه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرة، وسماه لك أخرى، وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب اليك".

فرد عمرو - رضي الله عنه - ردا يمثل الطاعة التامة لولي الأمر، كما رد الوليد بمثل ذلك.(٣)

ثم شرع الخليفة الأول - رضي الله عنه - بتولية الأمراء(٤)، وخرج ماشيا

= عليه وسلم - وخادمه، ولد بالمدينة، وأسلم صغيرا، وخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - الى أن قبض، ثم رحل الى دمشق، ومنها الى البصرة، فمات فيها. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ص١٢٧، ١٢٨ .

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري، ٣٩٠/٣ .

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي، من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم فتح مكة، ومات في خلافة معاوية. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة ٦١٤/٦-٦١٨ .

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٣٨٩/٣، والبداية والنهاية ٣،٢/٧ .

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٣٨٧/٣، والبداية والنهاية ٣/٧ .

يوصي الجيش وينصحهم بما ينبغي أن يكون عليه الجهاد والمجاهدون في سبيل الله تعالى، وقد كان في الجيش فضلاء الصحابة وكبارهم.(١)

ثانيا : أركانه ودعائمه :

إن الجهاد الإسلامي ينطلق من مبادئ فريدة، ويعتمد على دعائم وأركان لا توجد في أي حركة مسلحة، سواء أكانت دفاعية أم كانت هجومية.

وسأتطرق - بعون الله تعالى - لأهم الدعائم التي اعتمد عليها الجهاد الإسلامي، وهي كالآتي:

١ - الوضوح :

لما أرسل الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أرسله برسالة واضحة ناصعة، وقد جاء الوضوح في جميع جوانبها، فلا غموض ولا مبهمات أو معميات.

وفي هذه الفقرة سيكون الحديث عن وضوح الجهاد الذي هو ذروة سنامه.

فقد تمثل وضوحه في هدفه وغايته، فعرفها الجندي المسلم، كما عرفها العدو المقاتل ليعلم الدافع الذي جاء بهؤلاء المقاتلين إلى بلده، أهو الظلم أم دافع آخر .

وكثيرا ما يشرح الدعاة الفاتحون قصد مجيئهم، ويصححون تصورات الروم عن هدفهم من الجهاد، فليسوا راغبين بالأموال والأراضي والمدن، وقد جعلوا السيف آخر الحلول لديهم، ليزيحوا العقبات عن طريق الدعوة لتصل إلى قلوب الناس، انطلاقا من عالمية الدعوة الإسلامية.

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/٥-٩، وتاريخ فتوح الشام للأزدي ص١٢.

وحينما يرسل القائد جنده يبين لهم الهدف الذي خرجوا من أجله، حتى لا ينظر أحد خارج إطار هذا الهدف السامي، فيكون خذلانا للمسلمين في سيرتهم ومسيرتهم.

فقد قام أبو بكر - رضي الله عنه - يذكر بهذا الهدف القادة والجند على السواء عند خروجهم من المدينة(١)، وهو الهدف الذي أرسله إلى أهل مكة وغيرهم يدعوهم للمشاركة في الجهاد لأجله.(٢)

ولما التقى الجيشان أخذ أبو عبيدة، وأبو سفيان، وأبو هريرة، ومعاذ، وعمرو وغيرهم - رضي الله عنهم - من الخطباء يذكرون الجند بهذا الهدف قبل دخولهم المعارك.(٣).

ولما نسي بعض القادة هدف خروجهم فنظروا إلى الدنيا، ولبسوا الديباج، جاء عمر - رضي الله عنه - بشدته الصائبة، فحصبهم، وأمر بهم، فخرّق ذلك عليهم وهو يقول: "سرعان ما فتنتم ! أفي هذا الزي تستقبلون عمر؟ سرعان ما ندت بكم البطنة والترف، وأنتم الذين لم تشبعوا إلا من عامين".(٤)

فقد أرسلهم دعاة، وأراد منهم أن يمثّلوا الإسلام الذي يدعون إليه في أقوالهم وأفعالهم، وملابسهم، ومراكبهم، فما خرجوا إلا لهذا الهدف السامي النبيل.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٣٩٠/٢، واليرموك، لشوقي أبو خليل، ص٢١ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٣٩٠/٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٣/٧ .

(٣) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٩،٨/٧ .

(٤) انظر: تاريخ فتوح الشام، للأزدي، ص٢٥٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٥٦/٧ .

وإذا وقف الجيشان على أرض المعركة، فلا بد للعدو أن يعرف لماذا جاء هذا الجيش؟ وما هو هدفه؟ فإما أن يرسل المسلمون إليهم من يدعوهم قبل القتال - وهذا أمر محتم مشروع - وإما أن يسألوهم عن الهدف برسول يرسلونه، وإما أن يقف القائدان أمام الجيشين، فيعرض القائد المسلم هدف مجيئهم إلى هذه البلاد.

وفي وقعة فحل(١)، أرسل أبو عبيدة معاذا رضي الله عنهما.

وبعد محاورة شديدة تبينت فيها عزة المسلم، أمام عدوه، قال القائد الرومي: "كيف تستحلون قتالنا، وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابنا؟ فقال معاذ: نحن نؤمن بنبيكم، ونشهد أنه عبد من عبيد الله، وأنه رسول من رسل الله، وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون، ولا نقول إنه الله، ولا نقول إنه ثاني اثنين، ولا ثالث ثلاثة، ولا أن لله ولدا، ولا أن له صاحبة ولا ولدا، وأنتم تقولون في عيسى قولا عظيما، فلو أنكم قلتم في عيسى كما نقول، وآمنتم بنبوة نبينا - صلى الله عليه وسلم - كما تجدونه في كتابكم، وكما نؤمن نحن بنبيكم، وأقررتم بما جاء به من عند الله، ووحدتم الله ماقاتلناكم، بل كنا نسالمكم، ونواليكم، ونقاتل معكم عدوكم"(٢)، فهذا هو أهم الأهداف لدينا حتى نكف عنكم ونتآخى معكم.

وكذلك لما وقف جرجه(٣)، وطلب خالدا، وسأله عن هدفهم، فدعاه خالد - رضي الله عنه - فأسلم.(٤)

---

(١) سبق التعريف بها ص٤٧ .

(٢) انظر: تاريخ فتوح الشام، للأزدي، ص١٢٠ .

(٣) قائد رومي، أسلم يوم اليرموك . انظر قصة اسلامه ص ٨٢ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/٧، ١٣ .

ومن هذا يتبين هدف الجيش الذي سار إلى الأقطار يدعو إلى الله، لأنه يمثل حركة عالمية، عرفت عالميتها من الدين بالضرورة.(١)

ونخلص من هذا إلى أن الغاية الأساسية لخروجهم هو أنهم خرجوا يعلنون كلمة الله، وينشرون دينه، ويبذلون في سبيله دماءهم وأرواحهم، ويفارقون من أجله ديارهم وأولادهم، لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، ولا يبتغون دنيا، ولا يريدون مالا، فهذه هي المزية الأولى لخروجهم.

أما الثانية، فهي إصلاح البشر في أخلاقهم ومعايشهم، وسعادة الناس في دنياهم وآخرتهم، فكانوا يحملون إليهم مفتاح هذه السعادة، وهو القرآن، والسنة المطهرة.(٢)

ب - الشورى :

لقد قرر الإسلام مبدأ الشورى في نظام الحكم، فقال: (وشاروهم في الأمر).(٣)

فهذا "نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكا في أن الشورى مبدأ أساسي لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه".(٤)

وهي من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام(٥)، تحقيقا لفوائدها العظيمة.(٦)

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن أبي العز الحنفي، ص١١١ .

(٢) انظر: أخبار عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للطنطاويين، ص٨٣، ٨٤ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .

(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٥٠١/١ .

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٢٤٩/٤ .

(٦) انظر: تفسير المراغي، ١١٤/٢ .

ففي معركة اليرموك لم يكن اجتماع الجيوش جميعا، والتخطيط للمعركة إلا بعد الشورى، واستحسان مشورة أبي سفيان رضي الله عنه.(١)

ولما حصر أبو عبيدة - رضي الله عنه - في حمص(٢) استشار المسلمين في أن يناجز الروم أو يتحصن بالبلد حتى يجيء أمر عمر رضي الله عنه، فكلهم أشاروا بالتحصن إلا خالدا رضي الله عنه، فأطاعهم، وأرسل إليه عمر - رضي الله عنه - بالمدد.(٣)

فهاتان الحادثتان إشارة إلى أخذهم بالشورى في جل أمورهم.

ج - التضحية :

عندما نقرأ النصوص، ونتتبع الحوادث، نجد أن النصر يأتي بالتضحية غالبا.

وهذه التضحية لا تأتي إلا إذا كان الدافع قويا نابعا من داخل النفس، فيحجبها عن ملذات الدنيا وزخرفها، ويزين لها الأخرى ويقربها، ألا وهو الإخلاص في نشر هذه الدعوة، حتى ولو كان الثمن هو الروح أو الأهل والولد.

وفي هذه الفقرة نذكر طرفا من التضحيات التي شع نور الإيمان من وقود دمائها، فأنار على صفحات التاريخ.

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٧/٦، ٧.

(٢) سبق التعريف بها ص ١٨ .

(٣) انظر: المصدر السابق ٧/٧٥ .

فعندما تقدم قباث بن أشيم(١) في اليرموك، قاتل قتالا شديدا، وجعل يرتجز ويقاتل، فكسر في القوم ثلاثة رماح، وقطع في يده سيفان، وأخذ يقول كلما قطع أو كسر رمح في يده: من يعير سيفا أو رمحا في سبيل الله رجلا حبس نفسه مع أولياء الله ، قد عاهد الله أن لا يفر ولا يبرح حتى يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت، فكان من أحسن الناس بلاء في ذلك اليوم.(٢)

وفي اليرموك كذلك، قدم معاذ بن جبل ابنه عبد الرحمن(٣) - رضي الله عنهما - وأعطاه فرسه ليقاتل عليه، وهو غلام لم يحتلم بعد، وقال له: وفقني الله وإياك يا بني.(٤)

ووقف رجل في اليرموك يريد أن يشري نفسه، فأشفق عليه البعض فقال: والله لئن استطعت لأمضي ولو يزول هذا من مكانه، وأشار بيده إلى الجبل.(٥)

د - الإنصاف :

يقول الله تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون).(٦)

---

(١) قباث بن أشيم التميمي، كانت له صحبة، شهد بدرا مع المشركين، ثم أسلم وشهد حنينا. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤٠٧/٥، ٤٠٨ .

(٢) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢٢٨ .

(٣) تقدمت ترجمته، ص٢١ .

(٤) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، ٢٥٩/١ .

(٥) انظر: المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة ٣٠٢/٥ .

(٦) سورة المائدة، الآية ٨ .

وانطلاقا من هذا المبدأ العظيم، كان عمر - رضي الله عنه - إذا أرسل القادة يفهمهم أنها ليست حرب عدوان وظلم، ولا حرب تسلط واستعمار، ولا حرب سلب ونهب، ولكنها عادلة رحيمة، لها قواعدها وآدابها، وهذا ما كتبه للقادة عند التولية.(١)

فينطلقون ولا يصل أثر القتال إلى مسالم، بل وحتى الممتلكات والأشجار حفظها المسلمون، ولم تصل يد التخريب إليها.

فعندما خرج أبو بكر - رضي الله عنه - يمشي مع أسامة(٢) وجيشه، أوصاه الوصية المشهورة، فقال: "قفوا أوصكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيرا إلا لمأكلة".(٣)

وقد كان من الإنصاف أنهم لا يبدأون بالقتال امتثالا لقوله تعالى: (ولا تعتدوا).(٤)

وأنهم يحترمون العهود، لأن الله تعالى يقول لهم: (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا).(٥)

ويقول لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا إيمان لمن لا دين له، ولا دين

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ١٩/٧، وأخبار عمر، للطنطاويين ٧٢،٧٣.

(٢) سبقت ترجمته، ص١٠ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ٢٢٦/٣،٢٢٧ .

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٠ .

(٥) سورة الاسراء، الآية ٣٤ .

لمن لا عهد له).(١)

لذا كانت تسمية الحرب الإسلامية **جهادا** فيها إيماء إلى أنها ليست حرب قتل ونهب، ولكنها دعوة للحق، وحماية له من أن يعتدى عليه، وفتح الطريق ليصل إلى النفوس، وازالة الحواجز المانعة.(٢)

هـ- الرحمة :

إن الجهاد الإسلامي جهاد رحمة ورأفة بأهل البلاد، بغض النظر عن القياصرة والأمراء، فهو يقطع عليهم سبيل استعبادهم للشعوب، وتفردهم بالرياسة، مع أنه رحمة لهم أيضا إن هم قبلوا ما يدعو اليه هؤلاء الدعاة.

وقد أرشد الإسلام الفاتحين إلى منتهى الرحمة، فهم حينما يقاتلون لا يعتدون، ولا يفجرون، ولا يمثلون، ولا يسرقون، ولا ينهبون الأموال، ولا ينتهكون الحرمات، ولا يتقدمون بالأذى، فهم في حربهم غير محاربين، كما أنهم في سلمهم أفضل مسالمين.(٣)

كما نهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ، والإجهاز على الجرحى، وإهاجة الرهبان المنعزلين ، ومن لا يقاتل الآمنين، وعلى هذا المنوال أرشد الخليفة أبو بكر - رضي الله عنه - جيش أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - كما تقدم.(٤)

---

(١) أخرجه أحمد، عن أنس رضي الله عنه. انظر: الفتح الرباني لعبدالرحمن البنا ١١٨/١٤ .

(٢) انظر: الدعوة الى الاسلام، لأبي زهرة ص٦٩ .

(٣) انظر: مجموعة رسائل الامام حسن البنا، ص٢٦٢ .

(٤) انظر: ص ٦١ .

ثالثا : المشاركون فيه :

لقد اشترك في هذا الجهاد جميع الأفراد، من الشيوخ والرجال النساء والأولاد، بل وحتى العبيد المملوكين، جاهدوا حماية للدين، ونصرة للمسلمين، والمشاركون على أنواع :

أ - الخليفة :

لقد شارك في الجهاد الخليفة الأول بالتخطيط، والنصح للقادة والجند، ثم سار معهم ماشيا، وأسامة بن زيد - رضي الله عنهما - راكب، مغبرا قدميه في سبيل الله تعالى.(١)

ثم خرج الخليفة عمر - رضي الله عنه - للجهاد أربع مرات، الأولى على فرس، والثانية على بعير، والثالثة رجع لأن الطاعون مستعر، وأما الرابعة فدخلها على حمار.(٢)

الله أكبر، خلفاء الرسول يمشون على أقدامهم، ويسيرون الأيام الطويلة على حمار أو بعير !!

وقد كتب عمر لأبي عبيدة بعد ما أصابهم جهد شديد مثبتا لهم: سلام، أما بعد فإنه لم تكن شدة إلا جعل الله بعدها مخرجا، ولن يغلب عسر يسرين.(٣)

ب - أهل الأقطار :

بعد أن ندب الخليفة الصديق - رضي الله عنه - أهل الأقطار، جاءت وفودهم بذراريهم وأولادهم ونسائهم إلى الخليفة، رغبة في المشاركة في الجهاد.(٤)

---

(١) تقدم ص ١١ .

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٦٠٧/٣ .

(٣) انظر: المصنف لابن أبي شيبة ٣٣٥/٥ .

(٤) انظر: تاريخ فتوح الشام ص١٠٩، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ٣٨٩/٣-٣٩١.

ج - الغلمـــــان :

رأينا كيف تقدم عبد الرحمن بن معاذ(١) - رضي الله عنهما - للقتال، وأبوه يدفعه، وهو غلام(٢) صغير - في نظرنا المعاصر - أما في نظر الإسلام الذي يعتني بأبنائه فهو جبل أشم.

فهذا مثال للمشاركين في الجهاد من الأطفال، وإن كان المشاركون كثيرين، لأنهم قدموا مع آبائهم وأمهاتم وقبائلهم جميعا، فلا بد أن يشاركوا إذا كانوا في هذا المجتمع المتحمس، ومع الآباء المشجعين على القتال والأمهات الباذلات أفئدتهن للشهادة والإسلام.

د - النســـاء :

لقد أثبتت الأخبار اشتراك المرأة في الجهاد، حيث كانت تقوم بالمساعدة في نقل الجرحى وتمريضهم، ونقل الماء للجنود، والقيام على خدمتهم، وعملها هذا لا يقل عن حمل السيف في الميدان.

---

(١) سبقت ترجمته ص ٢١ .

(٢) جاء في ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوي ٤١٣/٣ : "والغلام: الطار الشارب، والكهل ضد، أو من حين يولد الى أن يشب".

(٣) انظر: عقود اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، ٩٧/٢، و دور المرأة في المجتمع الاسلامي، لتوفيق علي وهبه ص١٧٢ .

وكـــان اشتـــراكـــها مـــنـــذ فجر الإسلام، ومـــنـــذ المـــعارك الأولى، كـــمـــا روى مـــسلم في صـحـيـحـه عن أنـس بـن مـالك، قـال: "كـان رسول الله - صلى الله عليـه وسلم - يـغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى". (١)

وفـي جـهـاد الشـام شـاركـت المـرأة أعظم مـشاركـة، وفي جمـيـع وجوهها، فدخلت المـــعركـة بـطهرها وعفافها وأخلاقـها الفاضلة جنـبـا إلى جنـب، مـع الجنـدي المـسلم في طهره وعفافه وخلقه الفاضل. (٢)

فـفـي جـنـــب عمـلها الأصلي في المـعركـة أخذت النـساء يـرددن مـن هرب مـن ضعاف النـــفـوس مـــمـــن ولى الزحفَ ظهره، وخذل المـسلمـيـن، فقـد "ساق خالد - رضي الله عنـه - النـــسـاء مـــن وراء الجـيـــش، ومـــعـــهـن عدد مـن السيـوف وغيـرها، فقـال لهن: مـن رأيتموه موليا فاقتلنه". (٣)

فـاستـقـبـلت النـساء مـن انـهزم يـضربـنـهم بـالخشب والحجارة، وجعلت خولة بـنـت ثعلبة (٤) تقول:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء مع الرجال، ١١٨٨/١٢ .

(٢) انظر: اليرموك، لشوقي أبو خليل، ص٦٥ .

(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير ٨/٧ .

(٤) خولة بـنـت ثـعلبـة: مـن ربـات الفصاحة والبـلاغة، نـصحت عمـر بن الخطاب، فقالت: انـه مـن خاف الوعيـد قـرب عليـه البـعيـد، ومـن خاف المـوت خشي الفوت، فأسكـتها رجـل، فقـال عمـر: دعها، هذه خولة التـي سمـع الله قـولها مـن فوق سبـع سمـوات، فعمر أحق والله أن يسمع لها. انظر: أعلام النساء، لعمر كحالة، ٣٢٩/١ .

يا هاربا من نسوة تقيات فعن قليل ما ترى سبيات

ولا حصيات ولا رضيات.

فتراجع الناس إلى مواقفهم.(١)

وقد كن يحملن أولادهن فيستقبلن المنهزمين بالتحريض، ويرجمن وجوه الخيل، وينادين: قبح الله وجه رجل يفرّ عن حليلته، وينشدن أشعار الحماسة ليرجعوا.

وكانت هند بنت عتبة(٢) تنادي ومن ورائها نساء المهاجرين: أين تفرون؟ من الله وجنة؟! وهو مطلع عليكم ؟

وهجمت إحداهن على علج يلحق بالمنهزمين، فتعلقت به حتى نكسته عن جواده، وقتلته وهي تقول: هذا بيان نصر الله المسلمين.

حتى قال أحد الجند: لقد كانت النساء أشد علينا غلظة من الروم، فرجع المسلمون، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر.(٣)

هذه هي صورة النساء المجاهدات جماعات ووحدانا، فهدفهن واحد، وحماسهن مصدره العقيدة الواحدة، لذلك جاءت المواقف متشابهة، فلم يخرجن متبرجات يضربن الدفوف، أو يروحن عن الجنود - كما يقال - بل خرجن بإسلامهن وسترهن، يشددن من عزائم المجاهدين، دون اختلاط أو خلوة كما يصوره الأعداء.

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١١/٧ .

(٢) هند بنت عتبة، من ربات الحسن والجمال والعقل والفصاحة والشعر والفروسية، شاركت في أحد مع المشركين، وقتلت بعض الشهداء، فأسلمت يوم الفتح. انظر: أعلام النساء، لعمر كحاله ٢٣٩/٥-٢٥١ .

(٣) كتاب الفتوح، للكوفي ٢٦٠/١، ٢٦١، وتاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢٢٣-٢٢٩ .

الفصل الثالث

الأساليب

تمهيـــــد :

كـــمـــا اســتـــغـل الدعاة الفاتـحون وسائل الدعوة التـي تـقـدم العرض لثـلاث وسائل مـنـها، فقـد استـعمـلوا أساليـبـها كـذلك، فأثـمـرت بـعون الله تـعالى لهم، ثـم بحكمة الدعاة الذين يجيدون وضع كل وسيلة أو أسلوب في موضعه الصحيح.

والمقصود بالأسلوب هو صيغ التبليغ في دعوة الناس.(١)

وسـيـكـون الحديـث في هذا الفصل - بـعون الله تـعالى - عن هذه الأساليـب التـي يمكن أن تكون أكثر استخداما هناك.

وهي ما سنراه في هذا الفصل بتوفيق الله تعالى .

---

(١) انـظـر: ركـائـز الاعـلام فـي دعـوة ابـراهيـم عليـه الصلاة والسلام، لسيـد مـحمـد ساداتي الشنقيطي ص٣٤، لم يطبع بعد.

المبحث الأول : الدعـوة بالترغيب والترهيـب

لم يـكـن استـخدام هؤلاء الدعاة للتـرغيـب والتـرهيـب بدعا مـن أنـفسهم، بل أخذوه مـن كـتـاب الله تـعالى، الذي كـانـت أمـثـلتـهمـا تـتـرد فيـه، كـما أخذوهما من سيرة النـبـي - صـلى الله عليـه وسلم - في دعوتـه للعالمـيـن، فاستـعملوهمـا في دعوتـهم للروميين.

والمـلحوظ أن القـرآن الكـريـم مـمـلوء بـمـا يـرغب النـاس في قـبـول دعوة الإسلام، والتـحـذيـر مـن رفضها، مـمـا يـدل دلالة قـاطعة على أهمـيـتـهمـا في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم إهمالهما من قبل الداعي المسلم.

والتـرغيـب هو كـل مـا يـشوق المـدعو إلى الاستـجابـة، وقـبـول الحق، والثـبـات عليه.

والتـرهيـب هو كـل مـا يـخيـف، ويـحذر المـدعو مـن عدم الاستـجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.(١)

أولا : الترغيـب :

إذا نـظـرنـا إلى مـا قـدمـه الدعاة لأهل البـلاد مـن المـعامـلة الحسنـة، وكـتـب الأمـان لأبـدانـهم وأمـوالهم ومـمـتـلكـاتـهم وأعراضهم، وتـخفيـف الجزيـة عنهم، بل العفو عنها عند عجزهم، فإننا نجد في هذا ترغيبا للمدعوين في هذا الدين الجديد.

وإذا نـظـرنـا كـذلك إلى مـبـدأ اعطاء الفرصة، بـأن الإنـسان إذا أسلم فإن ذنـوبـه السابـقـة لا تـحط عنـه فحسب، بـل يـبـدلها الله تـعالى حسنـات، فنـرى أن النبي - صلى

---

(١) انظر: أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان، ص٤٢١ .

الله عليه وسلم - لما كتب إلى هرقل فتح أمامه الأمل الأكبر في الربح في الدنيا والآخرة، فقال: "أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين".(١)

فهذا مبدأ عظيم يشرح الصدور لقبول هذه الدعوة الجديدة التي تعطي الأمل الكبير.

ولما كاتب أبو عبيدة - رضي الله عنه - أهل بعلبك(٢) كتب لهم كتابا أمانا لهم ولسرحهم وتجارهم، فقال:

"بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب أمان لفلان بن فلان، وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها، على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم، داخل المدينة وخارجها وعلى أرحائهم، وللروم أن يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلا، ولا ينزلوا قرية عامرة، فإذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ساروا إلى حيث شاءوا، ومن أسلم منهم فله ما لنا وعليه ما علينا، ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج، شهد الله ، وكفى بالله شهيدا".(٣)

---

(١) انظر ص ٣٨ .

(٢) بعلبك: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٥٣/١ .

(٣) فتوح البلدان، للبلاذري ص٣٦ .

كما نجد أن التسامح الفذ الذي قدمه المسلمون لأهل البلاد وشهد به الأعداء يدل دلالة واضحة على أن هؤلاء البعاة أرادوا كسب القلوب، فصار لهم ما يريدون.

وكان من تسامحهم ما شهد به الأعداء، فهذا غوستاف لوبون يقول: "لقد كانت مسامحة محمد (صلى الله عليه وسلم) لليهود والنصارى عظيمة إلى الغاية، وإنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص، وسنرى كيف سار خلفاؤه على سنته، وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابون، أو المؤمنون القليلون الذي أمعنوا النظر..

وينقل عن روبرتسن قوله: "أبدى العرب تسامحا مثل ذلك تجاه المدن السورية الأخرى كلها، فلم يلبث جميع سكانها أن رضوا بسيادة العرب، فانتحل أكثر أولئك السكان الإسلام بدلا من النصرانية، وأقبلوا على تعلم اللغة العربية، وظلت سورية بلدا عربيا إسلاميا".(١)

ثانيا : الترهيب :

أ - مع القادة :

لما سار الجيش الإسلامي إلى فلسطين وقف لهم بطريق من بطارقة الروم، فأرسل إليهم أن يخرجوا إليه أحد القواد ليكلمه.

فخرج إليه عمرو بن العاص - رضي الله عنه - فرحب به البطريق، وقال : ما الذي جاء بكم؟ فقد كانت الآباء اقتسمت الأرض، فصار لكم ما يليكم، وصار لنا

---

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص١٨٩ .

لنا ما يلينا، وقد عرفنا أنكم إنما أخرجكم من بلادكم الجهد، وسنأمر لكم بمعروف وتنصرفون.

فقال عمرو: أما القسمة فإنها كانت قسمة شططا علينا، فنحن نريد أن تكون قسمة معتدلة، لنأخذ نصف ما في أيديكم من الأنهار والعمارة، ونعطيكم نصف ما في أيدينا من الشوك والحجارة.

وأما ما ذكرت من الجهد الذي أخرجنا فإنا قدمنا، فوجدنا في هذه البلاد شجرة يقال لها: الحنطة، قد أخذنا منها طعاما لا نفارقكم حتى نصيّركم عبيدا أو تقتلونا تحت أصول هذه الشجرة.

فالتفت أصحاب البطريق إليه، وقالوا: صدقوا.(١)

ولما قدم معاذ بن جبل - رضي الله عنه - إلى أهل فحل(٢) قالوا له: إن عندنا خصلة نعرضها عليكم، فإن قبلتموها منا فهو خير لكم، وإن أبيتم فهو شر لكم، نعطيكم البلقاء(٣)، وما والى أرضكم من سواد الأردن(٤)، وتنحوا عن بقية أرضنا، ونكتب عليكم كتابا نأخذ عهودكم ومواثيقكم على ألا تطلبوا من أرضنا غير ما صالحناكم عليه، وعليكم بأهل فارس فقاتلوهم، ونحن معكم نعينكم عليهم حتى تقتلوهم وتظهروا عليهم.

---

(١) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢٢٨/١ .

(٢) انظر : ص ٤٧ .

(٣) سبق التعريف بها ص ٥ .

(٤) سواد الأردن: في نواحي البلقاء، سمي بذلك لسواد حجارتها، وهو غير سواد العراق. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٧٤/٣ .

فقال معاذ - رضي الله عنه - مبينا القصد الأول، وهو الإسلام: هذا الذي عرضتم علينا في أيدينا، ولو أعطيتمونا جميع ما في أيديكم، ومنعتمونا خصلة من الخصال الثلاث التي وصفت لكم ما فعلنا.

فغضبوا وقالوا: نتقرب إليك، وتتباعد عنا! اذهب إلى أصحابك، فوالله إنا لنرجو أن نفرقكم في الجبال غدا.

فقال بثقة تامة: أما الجبال فلا، ولكن، والله لتقتلنا عن آخرنا، أو لنخرجنكم من أرضكم أذلة وأنتم صاغرون.(١)

ولما ذهب خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى ماهان الرومي، ودار بينهما الكلام، فقال ماهان : الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء، وملكنا أفضل الملوك، وأمتنا خير الأمم.

فقطع عليه خالد الكلام، وقال: الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الأنبياء، وجعل الأمير الذي وليناه أمورنا رجلا كبعضنا، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا، ولسنا نرى أن له على رجل من المسلمين فضلا، إلا أن يكون أتقى منه عند الله وأبر.

والحمد لله الذي جعل أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقر بالذنب، وتستغفر الله منه، وتعبد الله وحده، لا تشرك به شيئا، قل الآن ما بدا

---

(١) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي ص١١٥-١٢١، والطريق الى دمشق، لأحمد عادل كمال ص٣٢٠-٣٢٤ .

لك، فاصفر وجه ماهان.(١)

فنرى أن خالدا - رضي الله عنه - قطع الكلام على ماهان، وبشدة الداعية الصائبة التي تخرس لسان المتطاولين على ديننا ونبينا وكتابنا، فاصفر وجه ماهان، وخنس.

ولما وقف جبلة والعرب المتنصرة عقبة في سبيل الدعاة خرج إليه هشام بن العاص(٢) - رضي الله عنه - مع وفد من المسلمين، فصاروا إلى بابه، فاستأذنوا عليه فأذن لهم، فدخلوا عليه - وهو في الذهب والفضة والديباج - فلما نظر المسلمين أومأ اليهم أن اجلسوا، فجلسوا، فقال لهم: ما حاجتكم؟

فقال هشام : إن أردت كلامنا، فانزل عن فرشك، وكلمنا.

فنزل، ثم جلس على فرش دونها، فكلمه هشام، ودعاه إلى الإسلام، ورغبه فيه، وقرأ عليه كتاب الله، وخبّره بأمر الجنة والنار، فأبى جبلة، فقال هشام: إذا أبيت فإني مسائلك.

فقال جبلة: سل عما بدا لك.

- ما هذه الثياب السود التي أراها عليك ؟

- لبستها نذرا على ألا أنزعها حتى أخرجكم من الشام، فتبسم هشام، ثم قال:

يا جبلة إنك والله لن تقدر أن تمنع مجلسك هذا منا! والله لنأخذنه، ولنأخذن ملك الملك الأعظم.

---

(١) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢٠٢-٢٠٧، وحروب الاسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين، محمد أحمد باشميل ص١٨٧، ١٨٨ .

(٢) سبقت ترجمته ص٤٩ .

- أأنتم السمراء الذين نجدهم في الإنجيل يصومون النهار، ويقومون الليل، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويفتحون من المشرق إلى المغرب؟

- فنحن والله أولئك .

فاسود وجهه، فقال:

- إلي بعثتم، أم إلى الملك الأعظم ؟

- بعثنا إليك وإليه .

- فسيروا إذا إليه، فإن أجابكم إلى ما تريدون أجبتكم، ولم أتأب عليكم.(١)

فخرجوا إلى الملك، فتأبى عليهم كما تقدم.

ولما وقف خالد بن الوليد - رضي الله عنه - أمام أسوار تدمر(٢) نادى أهلها، وقال: "والله يا أهل تدمر! لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم بإذن الله عز وجل، وظهرنا عليكم".(٣)

فلما سمعوا كلامه صالحوه.

---

(١) انظر: كتاب الفتوح، لابن أعثم الكوفي، ص١٢٦، ١٢٧ .

(٢) تدمر: من مدن الشام بالبرية بينها وبين حلب خمسة أيام.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ١٧/٢ .

وهي واحة في بادية الشام في سوريا، تبعد عن دمشق ٣٦٠ كم اليوم.

انظر: الدليل الأخضر، لأكرم وفؤاد الساطع ص١١٣ .

(٣) انظر: كتاب الفتوح، للكوفي ١٤١/١ .

ب - الرسائل في الترهيب :

لما كتب أهل فحل إلى أبي عبيدة - رضي الله عنه - يهددون كتب إليهم:

"أما قولكم: اخرجوا من بلادنا، فلستم لها ولما تنبت بأهل، فلعمري ما كنا لنخرج منها، وقد أذلكم الله بنا فيها، وأورثناها .. وإنما البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، والله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء ... فلا تحسبونا تاركيها، ولا منصرفين عنها حتى نفنيكم، ونخرجكم عنها، فأقيموا، فوالله لا نجشمكم إن أنتم لم تأتونا أن نأتيكم، وإن أنتم أقمتم لنا فلا نبرح حتى نبيد خضراكم، ونستأصل شأفتكم، إن شاء الله".(١)

ولما اجتمعت الجيوش عند إيلياء(٢) كتب إليهم عمرو بن العاص رضي الله عنه:

"بسم الله الرحمن الرحيم

من عمرو بن العاص، إلى بطارقة إيلياء، سلام على من اتبع الهدى، ... فإذا أتاكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا، وإلا فأقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتابا أمانا على دمائكم وأموالكم، وأعقدَ لكم عقدا، تؤدون إلي الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإلا فوالله الذي لا إله إلا هو لأرمينكم بالخيل بعد

---

(١) تاريخ فتوح الشام، للأزدي ١١٤ .

(٢) سبق التعريف بها، ص٩٢ .

الخيل، وبالرجال بعد الرجال، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل المقاتلة، وأسبي الذرية، وتكونون كأمة كانت فأصبحت كأنها لم تكن". (١)

وهكذا رأينا كيف جاء الترغيب والترهيب في صور متعددة مع جماعات متعددة، ولكن مضمونه واحد، وهدفه واحد، هو الإسلام أو الجزية أو التحاكم إلى الله ليهب ملكه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، والله خير الحاكمين .

---

(١) تاريخ فتوح الشام، للأزدي، ص١٦٥، ١٦٦ .

المبحث الثاني : المجادلة بالحسنى

تمهيد :

لما أمر الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالمجادلة الحسنة جعلها قرينة الحكمة في النص القرآني الكريم الذي أمر فيه بالدعوة إلى سبيله القويم، كما جاء في قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).(١)

فعمل الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - في الدعوة بالحكمة والمجادلة الحسنة، كما أمر الله نبيه أن يدعو بالحكمة، و"أن يجادل خصومه بالطريق التي هي أحسن: من إيضاح الحق بالرفق واللين ... وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)(٢) ... ونظير ما ذكرناه من المجادلة بالتي هي أحسن قوله لموسى وهارون - عليهما السلام - في شأن فرعون: (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى).(٣)

وقد جاء هذا المبحث على فئتين، أولاها مع قادة الروم، وأخراها مع رسلهم.

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥ .

وانظر: حكمة الدعوة، رفاعي سرور، ص٧٧ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

(٣) سورة طه، الآية ٤٤ .

وانظر: أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي، ٣/٣٨٥، ٣٨٦ ..

الفئة الأولى : قادة الروم والمسلمين :

لما اجتمعت الجيوش في معركة اليرموك(١) ذهب خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى القائد الرومي ماهان رسولا من قبل أبي عبيدة - رضي الله عنه - فلما وصل إليهم كانت بينهم الحشمة والاحترام، وتبينت فيها عزة وعظمة خالد الداعية الحكيم.

وبعد جلوسه عندهم دارت بينهم المناقشة، فقال ماهان: إن شئت بدأناك بالكلام، وإن شئت أنت فتكلم.

فقال خالد : تكلم .

فلما تكلم خرج عن الحشمة التي كانت بينهما، فقطع عليه خالد الكلام بكلام أعلم وأحكم، جعل ماهان يعرف أن أمامه رجلا لا يقبل الإهانة لدينه ونبيه، كما تقدم.(٢)

فتكلم ماهان مرة ثانية، وقال: الحمد لله الذي أبلانا فأحسن البلاء عندنا، وأغنانا ونصرنا، فقد كانت لنا منكم يا معشر العرب جيران كنا نحسن إليهم، فلم يرعنا إلا وقد فاجأتمونا بالخيل والرجال، وقد طلب هذا منا قبلكم من هو أكثر منكم عددا، وأعظم مكيدة، ثم رددناهم فلم يرجعوا إلا وهم بين قتيل وأسير، ولم تكن أمة من الأمم عندنا بأرق منكم شأنا، ولا أصغر أخطارا، إنما جلكم رعاء الشاء والإبل، وأهل البؤس والشقاء، وقد ظننا أنه لم يأت بكم إلا جهد نزل بكم، فأخذتم الذهب والفضة منا فهو لكم، فإن أبت أنفسكم إلا أن

---

(١) سبق التعريف بها ص ٤٠ .

(٢) انظر ص ٧٣ .

تحرصوا وتشرهوا، وأردتم أن نزيدكم من بيوت أموالنا ما يقوى به الضعيف منكم فعلنا، ونأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار، ونأمرك بمثلها، ونأمر لرؤسائكم بألف دينار، ولجميع أصحابك بمائة دينار، على أن توثقوا لنا بالأيمان المغلظة ألا تعودوا إلى بلادنا.

فقال خالد: الحمد لله الذي لا اله إلا هو، وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فان كلما ذكرت من العز والتمكين في البلاد، وما ذكرت من إنعامك على جيرانك منا فقد عرفناه، وذلك لأمر تريدونه، ألا ترون أن ثلثيهم أو شطرهم دخلوا معكم في دينكم فهم يقاتلوننا معكم.

وأما قولكم: نحن أهل الصخر والحجر، فحالنا والله كما وصفت، وسأقص عليك قصتنا، وأدعوك إلى حظك إن قبلت.

ألا إنا كنا أمة أنزلنا الله - له الحمد - منزلا ليست به أنهار جارية، ولا يكون به الزرع إلا قليل، نقطع أرحامنا، ونقتل أولادنا خشية الاملاق، ويأكل قوينا ضعيفنا، نعبد من دون الله أربابا ننحتها بأيدينا..

فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار، إذ بعث الله فينا رسولا، دعانا إلى الله وحده، وقال لنا: لا تتخذوا من دون الله ربكم إلها ولا وليا ولا نصيرا، ولا تجعلوا معه صاحبة ولا ولدا.

وقال لنا: قاتلوا من اتخذ مع الله آلهة أخرى، وكل من زعم أن لله ولدا، وأنه ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويدخلوا في الإسلام، فان فعلوا حرمت عليكم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها، وهم إخوانكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم، فان هم أبوا فاعرضوا عليهم الجزية،

فان فعلوا فاقبلوا، وكفوا عنهم، وإن أبوا فقاتلوهم، فإنه من قتل منكم كان شهيدا، وأدخله الله الجنة، ومن قتل من عدوكم قتل كافرا، وصار إلى النار مخلدا فيها أبدا.

ثم قال خالد: وهذا - والله الذي لا إله إلا هو - ما أمر به نبيه - صلى الله عليه وسلم - فعلمنا، وأمرنا به أن ندعو الناس إليه، فندعوكم إلى الإسلام، فإن فعلتم فأنتم إخواننا، فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد والله جاءكم قوم وهم أحرص على الموت منكم على الحياة، فاخرجوا على اسم الله حتى نحاكمكم إلى الله، فـ(إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين). (١)

فقال ماهان: إن هذه الأرض كانت لقوم قبلنا فأخذناها منهم، فابرزو على اسم الله، فإنا خارجون إليكم، فخرجوا، فكانت العاقبة لدعوة الفاتحين، والأمر لله من قبل ومن بعد. (٢)

وفي معركة اليرموك(٣) كذلك، تقدم جرجه(٤) حتى كان بين الصفين، ونادى: ليخرج إلي خالد، فخرج إليه خالد - رضي الله عنه - وأقام أبا عبيدة مكانه، فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما، وقد أمّن كل منهما صاحبه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٢٨ .

(٢) انظر: تاريخ فتوح الشام، للأزدي ص٢٠٢-٢٠٧، وحروب الاسلام في الشام في عهد الخلفاء الراشدين، محمد أحمد باشميل ص١٨٧، ١٨٨ .

(٣) سبق التعريف بها، ص ٤٠ .

(٤) سبق التعريف به ص ٥٧ .

فقال جرجه: يا خالد اصدقني ولا تكذبني، فإن الحرّ لا يكذب، ولا تخادعني، فإن الكريم لا يخادع، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء، فأعطاكه، فلا تسلّه على قوم إلا هزمتهم؟

فقال خالد : لا .

- فبم سميت سيف الله ؟

- إن الله عز وجل بعث فينا نبيه - صلى الله عليه وسلم - فدعانا فنفرنا عنه، ثم إن بعضنا صدّقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن باعده وكذّبه وقتله، ثم إن الله أخذ بقلوبنا فهدانا به، فتابعناه، فقال: أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين، ودعا لي بالنصر، فسميت بذلك.

- يا خالد، أخبرني إلام تدعوني ؟

- إلى شهادة أن لاإله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله.

- فمن لم يجبكم ؟

- فالجزية، ونمنعهم .

- فإن لم يعطها ؟

- نؤذنه بحرب، ثم نقاتله.

- فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم ؟

- منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا.

ثم أعاد جرجه: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الأجر والذخر؟

- نعم وأفضل .

- وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟

- إنا دخلنا في هذا الأمر، وبايعنا لأننا رأينا خبر السماء ينزل، والحجج تتتابع، وأنتم لم تروا شيئا، ولم تسمعوا من الحجج والعجائب ما سمعنا، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.

- بالله لقد صدقتني، ولم تخادعني، ولم تألفني ؟

- بالله لقد صدقتك، ومابي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة .

- علمني الإسلام .

فمال إليه خالد - رضي الله عنه - إلى فسطاطه، فشنّ عليه قربة من ماء، ثم صلى ركعتين.

فظن الروم أن دخول قائدهم في صفوف المسلمين إيذان لهم بالهجوم فهجموا، ولكنهم صدموا لما رأوا قائدهم يقاتلهم مع المسلمين(١)، وما علموا أن الله قد شرح صدره للإسلام، وأن مجادلة خالد ومناقشته الليّنة معه كان لها أعظم الأثر على قائد عظيم جاء ينشد الحق، فتزعزع صف الروم، وهزموا بإذن الله، ولله عاقبة الأمور.

الفئة الثانية : بين رسل الروم والمسلمين :

عندما حاصر الدعاة فحل(٢)، ذهب إليهم معاذ بن جبل رضي الله عنه كما

---

(١) انظر: الكامل لابن الأثير ٤١٢/٥، ٤١٣، وتاريخ الأمم والملوك، للطبري ٣٩٨/٣، وحروب الاسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين، لمحمد أحمد باشميل ١٩٨-٢٠٠

(٢) انظر التعريف ص ٤٧ .

تقدم(١)، فهددهم، وبين لهم ما يتمتع به المسلم من شجاعة وثقة عظيمة بإيمانه وإخوانه. فبعثوا رجلا ينشد الصلح مع المسلمين، فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: ابعثوا من شئتم، فبعثوا إليه رجلا طويلا، أحمر الوجه، أزرق العينين، فأقبل حتى أتى أبا عبيدة - رضي الله عنه - فلما دنا لم يعرف أبا عبيدة من أصحابه، ولم يدر أفيهم هو أم لا، ولم يرهبه مكان أمير بينهم.

فلما عرف الأمير - بعد السؤال عنه - بين أصحابه، قال له: إنه ليس شيء أحب الله من الإصلاح، ولا شيء أبغض إليه من البغي والفساد، وأنا أعرض عليكم أمرا لكم فيه حظ إن قبلتموه، نعطيكم دينارين وثوبا، ونعطيك أنت ألف دينار، والأمير الذي فوقك - يعني عمر بن الخطاب - ألفي دينار، وتنصرفون عنا، وإن شئتم أعطيناكم البلقاء(٢)، وما والى أرضكم من سواد الأردن.(٣)

فحمد الله أبو عبيدة - رضي الله عنه - وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: إن الله بعث فينا رسولا تنبأ، وأنزل عليه كتابا حكيما، وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة ربهم، رحمة منه للعالمين، وقال لهم: فإن الله إله واحد، عزيز حكيم، علي مجيد، وهو خالق كل شيء، وليس كمثله شيء، وأمرهم أن يوحدوا الله الذي لا إله إلا هو، ولا تتخذوا له صاحبة ولا ولدا، ولا تتخذوا معه آلهة أخرى، وأن كل شيء يعبده الناس دونه فهو خلقه، وأمرنا فقال: إذا أتيتم المشركين فادعوهم إلى الإيمان بالله

---

(١) انظر ص ٤٧ .

(٢) سبق التعريف بها ص ٥ .

(٣) سبق التعريف به ص ٧٢ .

وبـــرسوله، وبـــالإقـــرار بـــمـــا جاء مـــن عنـــد الله عز وجل، فمـــن آمـــن وصدّق فهو أخوكـــم في ديـــنـــكـــم، له مـــا لكـــم وعليـــه مـــا عليـــكـــم، ومـــن أبـــى فاعرضوا عليه الجزية حتى يؤدوها عـــن يـــد وهم صاغرون، فإن أبـــوا أن يـــؤمـــنـــوا أو يـــؤدوا الجزيـــة فاقـــتـــلوهم وقـــاتـــلوهم، فإن قـــتـــيـــلكـــم المحتـــسب بـــنـــفسه شهيـــد عنـــد الله، وهو في جنات النعيم، وقتيل عدوكم في النـــار، فإن قـــبـــلتـــم مـــا سمـــعتـــم مـــنـــي فهو لكـــم، وإن أبـــيـــتـــم ذلك فابـــرزوا إلـــيـــنـــا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فقال الرسول الرومي: قد أبيتم إلا هذا ؟

قال أبو عبيدة : نعم .

فقـــال الرومـــي : أمـــا والله، إنـــي لأراكـــم تـــتـــمـــنـــون أنـــكـــم قـــبـــلتـــم مـــنـــا دون ما عـــرضـــنـــا عـــلـــيـــكـــم، فانـــصرف، فأمـــر أبـــو عبـــيـــدة النـــاس أن يـــصبـــحوا تـــحت رايـــاتـــهم للجهاد. (٢)

وقـــبـــل وقـــعة اليـــرمـــوك أرسل مـــاهان رجلا إلى أبـــي عبـــيـــدة رضي الله عنـــه، فلمـــا وصل وحضرت الصلاة جعل يـــنـــظر إلـــيـــهم، وبـــعدها سأل أبـــا عبـــيـــدة رضي الله عنـــه، فقـــال: أيها الرجل، متى دخلتم في هذا الدين؟ ومتى دعوتم الناس إليه؟

قـــال أبـــو عبـــيـــدة: دعيـــنـــا إلـــيـــه مـــنـــذ بـــضع وعشريـــن سنة، فمنا من أسلم حين أتاه الرسول، ومنا من أسلم بعد ذلك.

- هل أخبركم رسولكم أنه يأتي بعده رسول؟

---

(٢) انـــظر: كـــتـــاب الفتـــوح للكـــوفي، ١٨٥/١، وتـــاريـــخ فتـــوح الشام للأزدي ص١٢٣-١٢٥، والطريق الى دمشق، لأحمد عادل كمال ص٣٢٤-٣٢٦ .

- لا، ولكنه أخبرنا أنه لا نبي بعده، وأخبرنا أن عيسى بن مريم قد بشر به قومه.

- أنا على ذلك من الشاهدين، أن عيسى بن مريم قد بشرنا براكب الجمل، وما أظنه إلا صاحبكم، ثم قال: أخبروني عن قول صاحبكم في عيسى بن مريم ما كان؟ وما قولكم أنتم فيه؟

- قول صاحبنا قول الله تعالى، وهو أصدق القول وأبره، قال في عيسى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)(١)، وقال: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) ... إلى قوله: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون).(٢)

- أشهد أن هذه صفة عيسى نَفْسِه، وأشهد أن نبيكم صادق، وأنه الذي بشرنا به عيسى، وأنكم قوم صِدّق، ثم قال: ادع لي رجلين من أول أصحابك إسلاما، وهما فيما ترى أفضل من معك، فدعا له معاذ بن جبل، وسعيد بن زيد(٣) - رضي الله عنهما - فقال: أتضمنون لي الجنة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم؟ قالوا: نعم، إن أنت

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٥٩ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٧٠-١٧٢ .

(٣) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، أسلم قبل دخول الرسول - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم، وهاجر وشهد أحدا، والمشاهد بعدها، ولم يكن بالمدينة زمان بدر، توفي بالعقيق سنة خمسين. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة ٣/١٠٣-١٠٥ .

أسلمت ولم تغير حتى تموت وأنت على ذلك فإنك من أهل الجنة، قال: فإني أشهدكم أني من المسلمين.

فأسلم وفرح المسلمون بإسلامه.(١)

وهكذا رأينا كيف كانت المجادلة بالحسنى أسلوبا في دعوة الروم، أنتج إسلام بعضهم، أو يئس الروم من النصر فعقدو الصلح، أو أنتج فهمهم الإسلام وهدف المسلمين فهما صحيحا.

فالمجادلة معهم صححت مفاهيم الرومين وتصوراتهم تجاه المسلمين، إذ أنهم أهل الحرب والدهاء والحكمة والذكاء، وأهل الصبر والوفاء، فلا غدر ولا جزع، ولا ذلة أمام القادة الرومين، فأثمرت جهودهم كل هذه النتائج التي استفادوا منها في دعوتهم، ونستفيد منها إذا أردنا السير بدعوتنا نحو أسلوب أمثل.

---

(١) انظر: الفتوح، للكوفي ٢٣٧/١-٢٣٩، وتاريخ فتوح الشام للأزدي ص١٩٦-١٩٨ .

المبحث الثالث : الدعـــــوة بالقـــــدوة

إن مـــن أهـم أســاليـــب الدعـوة الإسلامـيـة التي استـخدمـها الدعاة في هذه البـلاد القـدوة الحسنـة، إذ عملت في انـتـشار الدعوة بـيـن الرومـيـيـن عملا سريـعا مقنعا لم يـستـطع الروم جحد تـأثـيـر هذا الأسلوب، فكـانـوا يـعتـرفون بـه بـيـن الفينة والفينة، إذ أن مـن حكـمـة الله تـعالى أن "حاجة النـاس إلى القـدوة نـابـعة مـن غريـزة تـكـمـن فـي نـفوس البـشر أجمـع هي التـقـليـد"(١)، فعرف الدعاة هذه الحاجة فاستـخدمـوها في أصح وجوهها.

لذا كـان لهـا تـأثـيـر بـيـن أهل الشام أحدثـه الدعاة في مـراكـبـهم ومـلابـسهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وبيعهم وشرائهم.

وقـد قـسّمـت هذا المـبـحث إلى ثـلاث فئات، بـدأتـها بـالقـدوة في القادة، ثم ثنيت بالقدوة بالرسل، ثم ثلثت بما أنطق الله به ألسنة الكفرة الفجرة.

أولا : القدوة في القادة خارج حصون الروم :

أ - القدوة في أمير المؤمنين رضي الله عنه :

- <u>رحلة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى بيت المقدس</u>(٢) :

لمـا وقـف المـسلمـون على حدود بـيـت المـقـدس طلب الروم حضور أمـيـر المـؤمـنـين عمـر - رضي الله عنـه - فكـتـب إليـه أبـو عبـيـدة رضي الله عنـه، فخرج على بعير له

---

(١) أصول التربية الاسلامية وأساليبها، لعبد الرحمن النحلاوي، ص٢٣١ .

(٢) سبق التعريف ص ٩٢

أحمر، وعليه غرارتان(١) في احداهما سويق، وفي الأخرى تمر، وبين يديه قربة فيها ماء، وخرج ومعه جماعة من الصحابة قد شهدوا اليرموك، وعادوا إلى المدينة، فكان إذا نزل منزلا لا يبرح منه حتى يصلي الصبح، فإذا انفتل من الصلاة أقبل على المسلمين، فحمد الله وأثنى عليه، ونصح المسلمين، فسار وهو يصلح ما يراه من مفاسد في طريقه، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، وكان طعامه السويق والتمر.

فلما وصل إلى بيت المقدس(٢) خطب الناس، وجمع أهل المنازل، وفرض لكل أهل بيت ما يجزيهم من البر والشعير والعسل والزيت وما يحتاجون إليه، وقال: هذا لكم من أمرائكم، فإن قطعت عنكم أمراؤكم فأمروني حتى أعزلهم عنكم، ثم أمرهم بالرحيل، فهمّ بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف، وفيها أربع عشرة رقعة، بعضها من أدم، فقال له المسلمون: يا أمير المؤمنين، لو ركبت بدل بعيرك جوادا، أو لبست ثيابا بيضا، ففعل، ولبس من ثياب مصر ثيابا تساوي خمسة عشر درهما، وطرح على عاتقه منديلا من كتان ليس جديدا، ولا بالخلق، دفعه إليه أبو عبيدة، وقُدّم إليه برذون أشهب من براذين الروم، فلما صار على ظهره جعل يهملج(٣) به، فنزل عنه مسرعا، وقال: أقيلوا عثرتي، أقال الله عثراتكم يوم القيامة، فقد كاد أميركم أن يهلك مما دخله من العجب والكبر، ولقد كاد

---

(١) جاء في ترتيب القاموس للطاهر أحمد الزاوي ٣/٣٨٠ : (الاسم الغرر محركة، والقربة ملأها).

(٢) سبق التعريف به. ص ٩٢

(٣) سار بسرعة وبخترة. لسان العرب لابن منظور ٣/٣٩٣، ٣٩٤ .

أن يهلكني ثوبكم الأبيض، وبرذونكم المهملج، ثم نزع ما عليه ولبس مرقعته.

ثم سار بعد ذلك يريد العقبة(١) ليبعد منها إلى بيت المقدس، فلقيه قوم من المسلمين وعليهم ثياب الديباج، فأمر عمر أن يحثوا التراب في وجوههم، وأن تمزق عليهم.

ثم واصل مسيره، فاستقبلته العشائر والقبائل بهذا الموكب المتواضع الرفيع، فنزل، وضربت له خيمة من شعر، وجلس فيها على التراب، ثم قام يصلي أربع ركعات.

فخرج أبو عبيدة للروم، وقال: يا أهل الكتاب، هذا أمير المؤمنين عمر، وليس عليه أمير، قد أتى، فاخرجوا إليه، واعقدوا معه الأمان والذمة وأداء الجزية.

فقال البترك : ياذا الرجل، إن كان صاحبك ليس عليه أمير، فدعه يدن منا، فإنا نعرفه بنعته وصفته، وأفردوه من بينكم.

فخرج عمر - رضي الله عنه - فقال له الصحابة: تخرج يا أمير المؤمنين منفردا، وليس معك آلة حرب؟

قال: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون). (٢)

---

(١) العقبة: بالتحريك، وهو الجبل الطويل يعرض للطريق، محطة ببغداد، وراء نهر عيسى، قريبة من دجلة. انظر: معجم البلدان ١٣٤/٤، والمشترك وضعا والمفترق صقعا لياقوت الحموي ص٣١١ .

(٢) سورة التوبة، الآية ٥١ .

ثم أمر ببعيره فركب وليس معه غير أبي عبيدة - رضي الله عنهما - فسار حتى قرب من المور، فزعج البترك، وقال: هذا والله الذي نجد صفته في كتبنا، ومن يكون فتح بلادنا على يديه.

فخرج إليه الروم فخر لله ساجدا متواضعا على قتب بعيره، ثم نزل إليهم، وقال: ارجعوا إلى بلادكم، ولكم الذمة والعهد، فرجع القوم ولم يغلقوا الأبواب.(١)

فسبحان الله، هذا موكب أمير المؤمنين يسير إلى أكبر دولتين في ذلك الزمان يخرج هذا الموكب على بعير، بثياب بالية، ولا يرى للدنيا قيمة غير أنها متاع زائل، وأن العزة بالإسلام لا بالحطام كما يراها الكافرون الجاهلون.

ويمر هذا الموكب بالمدن والقرى الشامية على هذه الهيئة المتواضعة، معلنا أن القوة بالإيمان، وأن ما يملكه الروم من ذهب وعتاد لا يساوي بجانب إيمان المؤمنين شيئا، ويقول لأهل الأمصار : إن قطعت عنكم أمراؤكم فأمروني حتى أعزلهم.

فأمير المؤمنين يستقبل الأوامر من الشعوب على عكس ما عرفوه من ظلم الحكام الروميين، ويجلس أمامهم على الأرض من غير فرش حرير، ولا حتى حصير.

فهذا أبلغ درس يتلقاه المدعوون في الدعوة إلى الإسلام.

وقد جاء وصفه عند ابن كثير رحمه الله، قال: حينما قدم عمر - رضي الله عنه - الجابية، خرج على جمل له، أورق، تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحل بلا ركاب، وطاؤه كساء انبجاني ذو صوف، هو وطاؤه إذا ركب، وفراشه إذا نزل، حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفا، هي

---

(١) تاريخ فتوح الشام للأزدي، ٢٥٠-٢٥٩ .

حقيبته إذا ركب، ووسادته إذا نزل، وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جيبه.

ولما وصل قال: ادعوا لي رأس القوم، فدعوا له الجلوميس، فقال: اغسلوا قميصي وخيطوه، وأعيروني ثوبا أو قميصا، فأتي بقميص كتان، فقال: ما هذا؟ قالوا: كتان، قال: وما الكتان؟ فأخبروه، فنزع قميصه، فغسل ورقع وأتي به، فنزع قميصهم، ولبس قميصه.

فقال له الجلوميس: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئا غير هذا، وركبت برذونا لكان ذلك أعظم في أعين الروم.

فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلا .

وفي طريقه عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره، ونزع خفيه، وجعلهما على عاتقه، وأمسك زمام بعيره، وخاض الماء، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض.

فمك في صدره، وقال: أو لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله.(١)

فعمر - رضي الله عنه - "يرى العزة فيما اشتملت عليه النفوس، وضمت عليه القلوب من إيمان بالله، والاعتزاز بعزته سبحانه، أما تلك المظاهر من زخرف وزينة، فهي قشور لا تغني المتزينين بها شيئا".(٢)

---

(١) انظر: تاريخ فتوح الشام، للأزدي، ص٢٥٢، ٢٥٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٥٩، ٦٠.

(٢) عمر بن الخطاب، لعبد الكريم الخطيب، ص٢٢٢ .

ب - **القدوة في أبي عبيدة، القائد العام :**

بعد محاصرة المسلمين لفحل(١) أرسل أهلها رجلا طويلا أحمر لطلب الصلح، فلما جاء الرجل إلى معسكر المسلمين لم يعرف أبا عبيدة - رضي الله عنه - من أصحابه، ولم يدر أفيهم هو أم لا، فقال: يا معشر العرب! أين أميركم؟

فقالوا: هاهو ذا، فنظر، فإذا هو بأبي عبيدة جالس على الأرض، وهو متنكب القوس وفي يده أسهم يقلبها، فقال: أنت أمير هؤلاء القوم؟

قال : نعم .

قال : فما يجسلك على الأرض؟ أرأيت لو كنت جالسا على وسادة أو كان تحتك بساط، أوكان ذلك واضعك عند الله، أو مانعك من الإحسان؟

قال أبو عبيدة: إن الله لا يستحيي من الحق، ولأصدقنك عما قلت. ما أصبحت أملك دينارا ولا درهما، وما أملك إلا فرسي وسلاحي وسيفي، ولقد احتجت أمس إلى نفقة فلم يكن عندي حتى استقرضت من أخي هذا نفقة كانت عنده - يعني معاذا - فأقرضنيها، ولو كان عندي بساط أو وسادة ما كنت لأجلس عليه دون إخواني وأصحابي، وأجلِسُ أخي - الذي لا أدري لعله عند الله خير مني - على الأرض، ونحن عباد الله نمشي على أرض الله، ونجلس على الأرض، ونأكل على الأرض، ونضطجع على الأرض، وليس ذلك بناقصنا عند الله شيئا، بل يعظم الله به أجورنا، ويرفع درجاتنا، ونتواضع بذلك لربنا، هات حاجتك التي جئت بها.(٢)

---

(١) سبق التعريف به، ص٤٧ .

(٢) انظر : كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي، ١/١٨٤-١٨٩، وتاريخ فتوح الشام للأزدي ١٢٢،١٢٣، والطريق الى دمشق، لأحمد عادل كمال ص٣٢٤،٣٢٥ .

ولما جاء عمر في بيت المقدس زار عمر أمراء الأجناد، فقال لأبي عبيدة: لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزار عمر غيرك.

فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين! إني أخاف أن أستزيرك ، فتعصر عينيك في بيتي.

قال : فاستزرني.

قال : فزرني .

فأتاه عمر في بيته - رضي الله عنهما - فإذا ليس فيه شيء إلا لبد فرسه، وإذا هو فراشه وسرجه، وإذا هو وسادته، وإذا كسر يابسة في كوة بيته، فجاء بها فوضعها على الأرض بين يديه، وأتاه بملح جريش، وكوز فيه ماء.

فلما نظر عمر إلى ذلك بكى، ثم التزمه إليه، وقال: ما من أحد من أصحابي إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه، غيرك.

فقال له: ألم أخبرك أنك ستعصر عينيك في بيتي.(١)

ومن معرفة عمر - رضي الله عنه - بأهمية مراكز القادة والسلاطين كان إذا عين رجلا على بلد من البلدان المفتوحة يشترط عليه أربعا: ألا يركب البراذين، ولا يلبس الرقيق، ولا يأكل النقي، ولا يتخذ بوابا(٢)، وكان أبو عبيدة والي عمر - رضي الله عنهما - مطبقا لهذه الشروط كما تقدم.

---

(١) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢٥٥،٢٥٦، وفضائل بيت المقدس، لمحمد ابراهيم ص٢٢٣ .

(٢) انظر: عيون الأخبار، لابن قتيبة ٥٣/١ .

- القدوة في عامة الجيش :

لما أرسل ماهان رجلا من الروم يطلب إرسال رجل من المسلمين ليجادله جاء الرجل إلى معسكر المسلمين، فأرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد رضي الله عنهما، وكان مجيء الرومي عند غروب الشمس، فلم يمكث إلا يسيرا حتى حضرت الصلاة، فقام المسلمون يصلون صلاتهم، فلما قضوا صلاتهم قال خالد للرومي: هذا الليل قد غشينا، ولكن إذا أصبحت غدوت إلى صاحبك إن شاء الله، فارجع إليه فأعلمه ذلك.

وجعل المسلمون ينتظرون الرومي أن يقوم إلى صاحبه، فيرجع إليه، فيخبره بما ردوا عليه، وأخذ الرومي لا يبرح، وجعل ينظر إلى رجال المسلمين يصلون، وهم يدعون الله ويتضرعون اليه.

فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: إن رسولكم هذا الذي أرسل إليكم لمجنون.

فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: كلا، أوما تفطن إلى نظره للمسلمين.

وجعل الرومي ما يفيق ولا يطرف بصره عنهم.

فقال أبو عبيدة: والله إني لأرجو أن يكون الله قد قذف في قلبه الإيمان، وحببه إليه، وعرفه فضله.

فلبث الرومي قليلا، ثم أقبل على أبي عبيدة، فسأله عدة أسئلة(١)، فأجاب عليها، وانتهت هذه الجلسة الصامتة إلى بعث النور في قلبه حتى صار من المسلمين.(٢)

---

(١) انظر ص٨٥،٨٦، في فصل المجادلة بالحسنى.

(٢) انظر: كتاب الفتوح للكوفي، ١/٢٣٦،٢٣٧، وتاريخ فتوح الشام للأزدي ١٩٦،١٩٧.

ثانيا : القدوة في الرسل من الدعاة :

كان في بداية وقعة اليرموك ذهاب وفد عليه أبو عبيدة رضي الله عنه، ونادوا الروم، وقالوا: إنما نريد أميركم لنجتمع به، فأذن لهم في الدخول على تذارق، وإذا هو جالس في خيمة حرير، فقال الصحابة: لا نستحل دخولها، فأمر لهم بفرش بسط من حرير، فقالوا: ولا نجلس على هذه، فجلس معهم حيث أحبوا.(١)

ولما طلب معاهان خالد بن الوليد رضي الله عنه، ذهب إليه خالد وهو يقرأ آية من القرآن، ودموعه جارية على خده، وكان معه مائة فارس.

فلما أشرف على عساكر الروم ترجلوا عن خيلهم، وجعلوا يتبختررون في مسيرهم ويجرون حمائل سيوفهم، ويخترقون صفوف الحجاب والبطارقة ولا يهابون أحدا، إلى أن وصلوا إلى النمارق والفرش والديباج، ولاح لهم معاهان وهو جالس على سريره، فلما نظر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ما ظهر من نيته وملكه عظموا الله تعالى وكبروه، وطرحت لهم الكراسي فلم يجلسوا عليها، بل رفع كل واحد منهم ما تحته وجلسوا على الأرض.

فلما نظر معاهان إلى فعلهم تبسم، وقال: يا معاشر العرب! لِمَ تأبون كرامتنا، ولم أزلتم ما تحتكم من الكراسي، وجلستم على الأرض، ولم تستعملوا الأدب معنا، ودستم على فراشنا؟

قال خالد: إن الأدب مع الله تعالى أفضل من الأدب معكم، وبساط الله أطهر

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/٩، ١٠، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ٣/٤٠٣ .

من فرشكم، لأن نبينا - صلى الله عليه وسلم - قال: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"(١)، ثم قرأ قوله تعالى: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى). (٢)

ولما ذهب معاذ - رضي الله عنه - إلى أهل فحل لم يطأ على فرش وبسط الروم، ولم يجلس مع رؤسائهم على مجالسهم، وبين لهم أن وقوفه تعظيم لأمر الله ونبيه صلى الله عليه وسلم، وبين لهم حقارة هذه الدنيا، وأن بسطهم وأموالهم وملكهم كله لا يساوي عند الله شيئا. (٣)

---

(١) رواه البخاري، ٣٤٧/١، كتاب التيمم .

(٢) سورة طه، الآية ٥٥ .

وانظر: تاريخ فتوح الشام، للأزدي ص ١٩٩ .

(٣) انظر: تاريخ فتوح الشام، للأزدي ص١١٦، والطريق الى دمشق، لأحمد عادل كمال ص٣١٩ .

ثالثا : شهادة الكافريـــن :

لما حاصر المسلمون مدينة دمشق (١)، أخذوا يغيرون على من كان خارجا منهم من المدينة، فكل ما أصاب رجل منهم نفلا جاء بنفله، فيلقيه في القبض، ولا يستحل أن يأخذ منه شيئا حتى ان الرجل ليجيء بالجبة الغزل، أو الجبة الصوف والشعر، فيلقيه في القبض لا يستحل أن يأخذ منه قليلا ولا كثيرا.

فسأل صاحب دمشق بعض عيونه عن أعمالهم وسيرتهم، فوصفهم له بهذه الصفة في الأمانة، ووصفهم بالصلاة في الليل وطول القيام، فقال: هؤلاء رهبان بالليل، أسد بالنهار، لا والله ما لي بهؤلاء طاقة، وما لي في قتالهم من خير.(٢)

ولما سأل هرقل من عنده، فقال: أخبروني، ويلكم، من هؤلاء القوم الذين تلقونهم، أليسوا بشرا مثلكم؟

قالوا : بلى .

- فأنتم أكثر أم هم ؟

- نحن أكثر منهم أضعافا، وما لقيناهم في موطن إلا ونحن أكثر منهم.

- ويلكم، فما بالكم تنهزمون إذا لقيتموهم؟

فسكتوا، فقام شيخ منهم، فقال: أنا أخبرك أيها الملك من أين يؤتون.

قال : فأخبرني .

- إنا إذا حملنا عليهم صبروا، وإذا حملوا علينا لم يكذبوا، ومن حيث أنا نحمل عليهم فنكذب، ويحملون علينا فلا نصبر.

---

(١) دمشق : انظر ص ٧ .

(٢) انظر تاريخ فتوح الشام للأزدي ص٩٧ .

- ويلكم، فما بالكم كما تصنعون، وهم كما تزعمون؟

- ما أراه إلا وقد علمت من أين هذا .

- من أين هذا ؟

- من أجل أن القوم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يظلمون أحدا، ويتناصفون فيما بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمور، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب، ونظلم، ونأمن سخط الله، ونفسد في الأرض.

- صدقتني والله، والله لأخرجن، وما لي في صحبتكم من خير وأنتم هكذا.(١)

فهذه الصفات جعلت الروم يوصون بعضهم بالتمسك بصفات المسلمين الحميدة التي كانت سببا في نصرهم .

وسيأتي كثير(٢) من وصف الروم للمسلمين بحسن حالهم، وأنهم متمسكون بدينهم، وأصحاب وفاء وعهد وإحسان حتى لعدوهم، وأصحاب أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وكل هذا - بفضل الله تعالى - كفيل بأن يفتح القلوب لهؤلاء الدعاة ولما يدعون اليه .

بهذا الأسلوب المؤثر العجيب دعا المسلمون الرومييين إلى الإسلام، فأمير المؤمنين يخرج متخليا من الدنيا، طائعا متواضعا لله جل وعلا.

---

(١) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي، ص١٥٠، ١٥١ .

(٢) انظر ص١٧٧-١٨٠ .

والقائد العام للمسلمين لا يوجد في بيته غير كسر من الخبز اليابس، ولا يملك إلا سلاحه وليد فرسه، بل إنه يقترض من جنود المسلمين بعض الدراهم، والرسل يذهبون إلى الروم يعلنون إخلاص عملهم لله تعالى بأفعالهم قبل مقالهم.

والكل يجلس على الأرض من غير بساط، ولا فراش، حتى أمير المؤمنين الذي أذل الدولتين العظميين في وقته في آن واحد، كلهم يجلسون على التراب، ويعترفون بنعم الله عليهم، وذلتهم لله تعالى.

والروم يرون هذه المشاهد العالية العظيمة، ويرون تكبر القادة الروميين، وبطشهم بالجنود وجورهم وظلمهم، فلا مقارنة عند الشعب بين القادة الروميين والقادة المسلمين.

فهذه المواقف أعظم من أي خطبة أو محاضرة أو ندوة، فلا بد للدعاة أن ينتبهوا لهذا الأسلوب المؤثر الصامت العظيم، فيجعلون أقوالهم تبعا لأفعالهم من غير أن يشعر المدعوون بالاختلاف بينهما، وقد جاء عن ابن القيم قوله: "علماء السوء جلسوا على أبواب الجنة يدعون الناس إليها بأقوالهم ويدعون إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم: لاتسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق".(١)

---

(١) الفوائد، لابن القيم، ص٦١ .

المبحث الرابـــع : المعاملـــة الحسنـــة

دخل الإسلام هذه البلاد، وكان هدفه نشر الحق، وإنارة العقول، ولم "يحكم بالفناء على جميع العناصر التي تعيش داخله، وهي تدين بدين آخر غير الإسلام، كلا، إنه يقيم العلاقة بين أبنائه المسلمين، وبين مواطنيهم من غير المسلمين على أسس وطيدة من التسامح، والعدالة، والبر، والرحمة، وهي أسس لم تعرفها البشرية قبل الإسلام". (١)

ولم يقف الاحترام لأهل البلاد بأجناسهم وأصنافهم، بل تعداهم إلى جميع الممتلكات والأموال، فلم تمتد إليها أيدي التخريب والعبث، لأنهم جيش إصلاح للبلاد والعباد، وهذا ما سنراه - بعون الله تعالى - في هذا المبحث، وهو ما شهد به أهل البلاد وغيرهم.

أولا : التحري في اختيار الولاة :

كان المسلمون إذا استولوا على البلد عنوة ولّوا عليها رجلا منهم، تحروا في اختياره تحريا شديدا، لذا عمل عمر - رضي الله عنه - على اختيار الولاة اختيارا دقيقا لمعرفته أنهم يمثلون الإسلام في هذه البلاد، فإن كانوا من أهل الصلاح وأهل الآخرة، فسيعطون الصورة الحسنة للإسلام، وإن كان بهم لوث من حب الدنيا وزخرفها فسيجعلون الولاية سبيلا لجمع حطامها.

لذا فقد كان يكتب على الوالي إذا استعمله كتابا، ويشهد عليه رهطا من المهاجرين والأنصار بأنه لا يظلم أحدا في جسده ولا ماله، ولا يستغل منصبه لفائدة.

---

(١) غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، يوسف القرضاوي، ص ٥ .

وكان يقول للعامل بعد ذلك محددا سلطته: إني لم أستعملك على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم، ولكن استعملك لتقيم فيهم الصلاة، وتقسم بينهم، وتحكم فيهم بالعدل.

ثم يشترط عليه أربعة شروط: ألا يركب برذونا، ولا يلبس ثوبا رقيقا، ولا يأكل نقيا، ولا يغلق بابه دون حوائج الناس.(١)

وحينما هلك عامل حمص(٢) أرسل عمر إلى ابن عباس - رضي الله عنهم - قال: هلك عامل حمص، وكان من أهل الخير، والخير قليل، وقد رجوت أن تكون منهم، فدعوتك لأستعملك عليها، فرفض ابن عباس، وقال: أشير عليك أن تستعمل صحيحا منك صحيحا عليك.(٣)

فالشاهد تحريه أهل الخير والصلاح لتولي الولايات.

ثانيا : احترام المعابد :

نحن نعلم أن المسلمين ينطلقون في قتالهم من عقيدة صافية، فهم كذلك يدركون مدى خطورة هدم المعابد، والكنائس، إذ يزرع هذا الحقد في قلوب أهل البلاد على هذا الجيش الفاتح، فعملوا على هدمها من قلوبهم، وإن كانت شَامِخَةَ البنيان بين مساكنهم، فهذا أسرع لقبولهم، وأمان منهم على سير هؤلاء الدعاة الفاتحين.

فحينما كتب أهل دمشق(٤) لأبي عبيدة كتابا طويلا، يطلبون فيه الصلح من أبي

---

(١) انظر: الخراج لأبي يوسف، ص١٢٥،١٢٦، وأخبار عمر للطنطاويين ١٤١،١٤٢ .

(٢) انظر ص ١٨ .

(٣) انظر: الخراج لأبي يوسف، ص١٢٢،١٢٣، وأخبار عمر للطنطاويين ص١٧٢ .

(٤) سبقت الترجمة ص ٧ .

عبيدة - رضي الله عنه - وقالوا: إنا نريد منكم أن تتركوا كنائسنا، ولا تنقضوا علينا منها كنيسة يمضي أبو عبيدة ما كتبوه، وكتب لهم كتابَ الصلح(١)، وأبقى لهم نصف كنيسة يوحنا، لأن فتح دمشق كان من جهة صلحا ومن جهة أخرى عنوة، فصار نصفها غنيمة وأبقى لهم النصف الباقي، فأخذ المسلمون نصفها الشرقي، وهو مسجد دمشق(٢)، كما أبقى لهم أربع عشرة كنيسة أخرى.(٣)

وقد كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كتابا لأهل إيلياء(٤) جاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقض منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم".(٥)

---

(١) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢٤٥/١ .

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢١/٧ .

(٣) انظر: المصدر السابق، ٢١/٧ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦٠٩/٣، واتمام الوفاء في سيرة الخلفاء لمحمد الخضري بك ص١٠١، وأشهر المساجد لعبد المجيد بكر، ص٢٩٨، والخلفاء الراشدون للنجار ص٥٦، وأخبار عمر للطنطاويين ص٢٥٢، وتاريخ الشعوب الاسلامية، لكارل بروكلمان ٩٨ .

(٥) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦٠٩/٣ .

ومثل هذا أعطى عمر - رضي الله عنه - لأهل لُدّ.(١)

ومثله كذلك أعطى أبو عبيدة - رضي الله عنه - أهل بعلبك(٢)، وأهل حمص.(٣)

وهذا الإبقاء على الكنائس والمعابد دليل على احترامهم لمشاعر أهل البلاد المفتوحة، وأنهم ما جاءوا حاقدين على الأديان والشعوب، بل جاءوا لنشر العدل والاسلام بأفضل طريق.

ثالثا : حماية الأبدان والأعراض :

وكما شملت الحماية أموالهم وممتلكاتهم فقد شملت أبدانهم وأعراضهم، لأنهم في جوارنا وفي حضارتنا، وذمتنا وذمة الله تعالى، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وذمة دين الإسلام".(٤)

---

(١) لد : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/٢٥ .

(٢) انظر: فتوح البلدان، للبلاذري ص١٣٦ .

(٣) انظر: كتاب الفتوح للكوفي، ص٢١٦، وانظر العرب والاسلام والخلافة العربية، تأليف ي - أربلياييف ١٨٧ . وانظر التعريف بحمص ص١٨ .

(٤) الفروق للقرافي، ٣/١٤ .

رابعا : الحرية الاقتصاديـــة :

إن حماية أموال أهل الكتاب مسألة اتفق عليها المسلمون، وجاء ذلك في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل نجران.(١)

وجاء كذلك في عهد عمر إلى أبي عبيدة - رضي الله عنه - أن "امنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم، وأكل أموالهم إلا بحلها".(٢)

ففي مجال التجارة ينقل يوسف القرضاوي عن آدم ميتز قوله: "ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكانت قدمهم راسخة في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة، ... ويتحدث عنهم بعد زمن من الفتح بقوله: بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة في الشام مثلا يهودا، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى".(٣)

هذا وإن كان بعد زمن الفتح، إلا أنه هو التشريع الإسلامي كما جاء في كلامه وكما هو معلوم من سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة الأخيار رضوان الله عليهم، وهم أولى بتطبيق هذا ممن لحقهم.

---

(١) الخراج لأبي يوسف، ص٧٧، ٧٨ .

ونجران: في مخاليف اليمن، من ناحية مكة، سمي بنجران بن زيدان بن سبأ، لأنه كان أول من عمرها. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٦٦/٥ .

(٢) غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، ليوسف القرضاوي ص١٤، ١٥ .

(٣) المرجع السابق، ص٢٢، نقلا عن آدم ميتز .

خامسا : حماية الممتلكـــات :

وكـــمـا حفظ الدعاة أمـوال أهل الكـتـاب وخففوا عليـهم الجزيـة - كـمـا سيـأتـي - فقـد عمـلوا على نـشر هذا الديـن مـن غيـر ضرّ لإنـسان أو حيـوان أو نـبـات أو عمـران أو تـجارة، إلا مـن وقـف حجر عشـرة في سبـيـل نـورها، وهذا مـا رأيـناه في وصية أبي بكر - رضي الله عنـه - للجنـد عنـد مـسيـرهم، قـال: "لا تـهدمـوا بـيـعة، ولا تـعرقوا نخلا (تـقـشروه وتـفسدوه)، ولا تـحرقـوا زرعا، ولا تـقـطعوا شجرة مـثـمـرة، ولا تعقروا بهيمة إلا لمأكلة". (١)

سادسا : التخفيف في فرض الجزيـــة :

لم تـكـن الجزيـة التـي فرضها المـسلمـون على أهل البـلاد مـرهقـة لهم، بـل كـانـت خفيـفة مـنـاسبـة لأحوالهم، فقـد جاء في كـتـاب عمـر لأبـي عبـيـدة رضي الله عنـهمـا: "واجـعـل الجـزيـة عـليـهم بـقـدر طاقـتـهم ... فإذا أخذت مـنـهم الجزيـة فلا شيء لك عليهم، ولا سبيل ... فاضرب عليهم الجزية، وكف عنهم السبي". (٢)

وقـد فـرضـها الإسلام على كـل قـادر على حمـل السلاح مـن الرجال، فلا تـجب على امـرأة، ولا صبـي، ولا الشيـخ الكـبـيـر، ولا الأعمـى، ولا المعتوه، وكـل مـن ليـس مـن أهل السلاح(٣)، كـمـا تـسقـط عن الذيـن يدخلون في خدمة

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٢٢٤/١، والطريق الى دمشق، لأحمد عادل كمال ص١٧٧ .

(٢) أخبار عمر، للطنطاويين ص٩٨ .

(٣) انـظر: الأمـول، لابـن سلام ص٤٥، تـحقـيـق مـحمـد خليـل هراس، وغيـر المسلمين في المجتمع الاسلامي، ليوسف القرضاوي ص٣٤ .

الجيش.(١)

وهذا ما شهد به المؤرخ الغربي آدم ميتز كما سيأتي(٢)، وهو أيضا ما شهد به أهل البلاد أنفسهم، فقد أرسلوا إلى هراكليوس بقولهم: "إن كان لك فينا حاجة فامددنا وأغثنا، وعجل علينا فإنا في ضيق وجهد، وإلا فانا قد أعذرنا واجتهدنا، والقوم قد أعطونا الأمان، ورضوا منا من الجزية باليسير".(٣)

وقد أتي عمر - رضي الله عنه - مرة بمال كثير من مال الجزية، فقال: إني لأظنكم قد أهلتكم الناس، قالوا: لا والله، ما أخذنا إلا عفوا صفوا، قال: بلا سوط ولا نوط - أي تعليق - قالوا: نعم. قال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك علي ولا في سلطاني.(٤)

وقد تجاوز تسامحهم حد التخفيف إلى رد الجزية التي كانوا قد أخذوها لما انتفت شروطها، كما فعل أبو عبيدة - رضي الله عنه - مع أهل حمص(٥)، إذ قال لهم: "نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح، لانرجع فيه إلا أن ترجعوا عنه، وإنما ردنا عليكم أموالكم أنا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم" فأخذ أهل البلد يقولون: "ردكم الله إلينا، ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا، بل غصبونا

---

(١) انظر: الدعوة الى الاسلام، لتوماس آرنولد، ص٨٠، وغير المسلمين في المجتمع الاسلامي ليوسف القرضاوي ص٥٧ .

(٢) انظر ص ١١٠ .

(٣) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص١٠٦، والطريق الى دمشق لأحمد كمال ص٣٦٩ .

(٤) انظر: كتاب الأموال، لابن سلام، ص٥٤، تحقيق محمد خليل هراس.

(٥) انظر: ص١٨ .

وأخذوا ما قدروا عليه من أموالنا". (١)

وإذا تأخر المحصول، فإن الأمير يؤخر استلام الجزية، ولا يقول: إما أن تسلموا الآن أو نزيد عند نضج المحصول، و"وجه التأخير إلى الغلة للرفق بهم". (٢)

سابعا : التسامح :

لم يكن المسلمون مع أهل الشام - بعد الفتح - لا قساة ولا عتاة، وهم الذين جابهوهم بالحرب، لأنهم لا يريدون عداوتهم ما دام غرضهم البعيد أن يتألفوهم في دعوتهم، وأن يضموهم إلى فكرتهم، وأن يطووهم في دينهم، فقد حققوا معاني التحرير التي جاءوا بها.

ولذلك فإنهم لم يخرجوهم من سورية أسرى مقيدين، ولم يدعوهم أرقاء مستعبدين، وإنما تركوا لمن شاء منهم الخروج أن يخرج، يحمل صورة للحرب والسياسة والخصومات لم يعهدها العالم من قبل في مثل هذا التسامح. (٣)

شهادة الكافرين بحسن معاملة المسلمين :

تقدم الكلام عن حسن معاملة المسلمين لأهل البلاد، وهو ما ذكره بعض الكتاب

---

(١) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص١٥٥، ١٥٦، وانظر: من روائع حضارتنا لمصطفى السباعي، ص١٠٢، والدعوة الى الاسلام لتوماس آرنولد ص٧٩ .

(٢) الأموال، لابن سلام، ص٥٥ .

(٣) انظر: المجتمعات الاسلامية، لشكري فيصل ص٦١ .

من المسلمين.. وفي هذه الفقرة سوف أورد ثناء الكافرين من أهل البلاد والمعاصرين على حسن معاملة المسلمين لأعدائهم، وحق ما شهدت به الأعداء.

فقد أشاد بهذا التسامح الديني كثيرٌ من الكتاب من الكافرين، كأمثال درابر، وولز، والسير مارك سايس، وترتون، ورينو، وغيرهم.(١)

وقد أشاد المستشرق توماس آرنولد بهذا التسامح، فقال: أما ولايات الدولة البيزنطية التي استولى عليها المسلمون ببسالتهم، فقد وجدت أنها بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة، بسبب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبية والنسطورية.

فقد سمح لهم أن يؤدوا شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد اللهم إلا إذا استثنينا ما يؤذي الشعور الإسلامي.

ويمكن الحكم على مدى هذا التسامح - الذي يلفت النظر - من هذه العهود التي أعطوها لأهالي المدن، فتعهدوا لهم بحماية أرواحهم وممتلكاتهم، وإطلاق الحرية الدينية لهم في مقابل الإذعان ودفع الجزية..

ثم يقول: ومما يتفق مع هذه الروح التي تنطوي على حسن معاملة عمر - رضي الله عنه - لرعاياه من أصحاب الديانات الأخرى ما أثر عن عمر - رضي الله عنه - من أنه أمر أن يعطى قوم مجذومون من النصارى من الصدقات، وأن يجرى عليهم القوت.

وهو لا ينسى الذميين حتى في أخرى وصاياه لعثمان - رضي الله عنهما -

---

(١) انظر: من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي ص٩١،٩٢ .

"وأوصية بذمة الله، وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم، وألا يكلفوا الا طاقاتهم". (١)

وعندما طلب أهل فحل الصلح من أبي عبيدة - رضي الله عنه - أرسلوا إليه بقولهم: "أنتم أحب الينا من الروم، وان كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا". (٢)

ويقول آرنولد: إن المسيحيين كانوا يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم، ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني، تمتعوا - وخاصة في المدن - بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة. (٣)

ويقول المؤرخ الغربي آدم ميتز: "كان أهل الذمة - بحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم، ومن حمايتهم لهم - يدفعون الجزية، كل منهم بحسب قدرته .. فكان لايدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلام، فلا يدفعها ذوو العاهات، ولا المترهبون، وأهل الصوامع إلا إذا كان لهم يسار". (٤)

---

(١) الدعوة الى الاسلام، لتوماس آرنولد، ص٧٤، ٧٥ .

(٢) تاريخ فتوح الشام، للأزدي ص٩٧، وفتوح البلدان للبلاذري ص١٤٣، ١٤٤، والدعوة الى الاسلام، توماس آرنولد ص٧٣، وتاريخ الدعوة الاسلامية لجميل المصري، ص٣٠١ .

(٣) انظر: الدعوة الى الاسلام، توماس آرنولد ص٨١ .

(٤) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم ميتز ٩٦/١ .

وأما عن الجزية فيقول توماس آرنولد: لم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسلمين - كما يريدنا بعض الباحثين على الظن - لونا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين، ثم يورد ثناء أهل البلاد على المسلمين.(١)

ونخلص في ختام هذا الفصل إلى أن المسلمين لم يستغلوا قوتهم، لأنهم يعلمون أنه لا اكراه في الدين.

ثامنا : الفرق بين المعاملة الحسنة والموالاة:

لابد أن نعلم "أن الموالاة المتمثلة في الحب والنصرة شيء، والنفقة والصلة والإحسان للأقارب الكفار شيء آخر.

وسماحة الإسلام أيضا تتضح في معاملة الأسرى والشيوخ والأطفال، والنساء في الحرب، كما هو معلوم من صفحاته المشرقة".(٢)

---

(١) انظر: الدعوة الى الاسلام، لتوماس آرنولد ص٧٩ .

(٢) الولاء والبراء في الاسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد القحطاني ص٣٥٣ .

الفصل الرابع

أشهر الدعاة

تمهيـــــــد :

إن الله تعالى سخر لهذه الدعوة رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فجاهدوا في الله حق جهاده، فهو تعالى اجتباهم لهذه المهمة العظمى، وأيدهم بنصر من عنده وتثبيت، فبلغوا الدعوة، وقدموا أغلى ما يملكون لهذه الدعوة الحبيبة إلى قلوبهم، فأثمرت تضحيتهم ورزقهم الله الفتح القريب، وما عند الله خير للأبرار .

وقد جمعت في هذا الفصل نماذج من هؤلاء الدعاة الذين يمثلون الدعوة بأقوالهم وأفعالهم الصادقة، وقسمت هذه النماذج إلى ثلاث فئات، وكل فئة تحت مبحث مستقل، وليس معنى هذا أن هذه الفئة اختصت بهذه الصفة، بل انها برزت فيها، والا فان كثيرا من الدعاة قد جمعوا هذه الصفات جميعها.

وهذه المباحث هي :

١ - أشهر الدعاة من القادة .

٢ - أشهر الدعاة من العلماء .

٣ - أشهر الدعاة من الخطباء .

المبحث الأول: أشهر الدعاة من القادة

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

التعريف به :

"هو عامر بن عبد الله بن هلال بن أهيب القرشي الفهري المكي"(١)، يجتمع نسبه مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في فهر، شهد له النبي - صلى الله عليه وسلم - بالجنة.(٢)

"كان أبو عبيدة - رضي الله عنه - رجلا نحيفا، معروق الوجه، خفيف اللحية، طوالا، أحنى، أثرم الثنيتين"(٣)، وسبب الثرمة أنه نزع الحلقتين اللتين دخلتا في المغفر في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - فحسن ثغرة بذهابها، حتى قيل: "وما رؤي هشم قط أحسن من هشم أبي عبيدة".(٤)

كان إسلامه قبل دخول النبي - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم(٥)، وكان ممن هاجر إلى الحبشة(٦)، وقد قال فيه صلى الله عليه وسلم: "إن لكل أمة أمينا، وإن أمينا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح".(٧)

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/١ .

(٢) المرجع السابق ٦/١، والمعارف لابن قتيبة ص١٠٨ .

(٣) المرجع السابق ٧/١، والحاكم ٢٦٤/٣ .

(٤) الاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٥٨٦/٣ .

(٥) أشهر مشاهير الاسلام رفيق العظم ص٤٩٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥٨/١، واللفظ له.

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/١ .

(٧) رواه البخاري ٧٥/٧ في الفضائل.

أبو عبيدة في الشام

تولى أبو عبيدة - رضي الله عنه - قيادة الجيش في الشام، فكان أول فتح له هو فتح دمشق بعد حصارها سبعين ليلة.

ثم سار إلى فحل وفل - بفضل الله تعالى - جيوش الروم، وأتى بيسان وطبرية، وحاصرهما فصالحهما على صلح دمشق، ثم سار إلى حمص فافتتحها، ثم رجع إلى اليرموك لنجدة عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ثم سار إلى حماة فصالحه أهلها، ثم إلى حلب، ثم تركها إلى أنطاكية، فكتب إليه عمر بالرجوع إلى حلب، فرجع وفتحها، ثم رجع إلى أنطاكية فحاصرها وفتحها صلحا، ثم سير جيوشه حتى أتم فتح سورية، وجعل على كل كورة عاملا.(١)

وقد كان في فتوحه هذه كمثل الغيث على هذه البلاد، فأظلها بسحب الرأفة والرحمة، فلم يضر أرضا ولا شجرا ولا بشرا إلا من وقف في سبيل الدعوة، فإنه يزيحه حتى تصل الدعوة إلى كل الناس، فقد حذر العبيد من أن يمسوا شجرة مثمرة بأذى(٢)، وكذلك كان يأمر ولاته بانصاف أهل البلاد، والإحسان إليهم، وكان يرسل الرسائل لدعوة الروم، ونشر مبادىء الدعوة بينهم، فقد أرسل رسالة إلى أهل إيلياء(٣)، وأهل فحل، وأرسل الرسل إليهم، فأرسل إلى أهل فحل بعض

---

(١) انظر: أشهر مشاهير الاسلام لرفيق العظم ص٤٩٣، ٤٩٤ .

(٢) انظر ص ١٠٦ .

(٣) ذكرت في فصل الرسائل، ص٣٩ .

الرسل(١)، وكان يجادل أهل الباطل بالتي هي أحسن(٢)، وكل هذا رجاء أن يصل الإيمان إلى قلوبهم، فهذه حاله مع المدعوين.

أما حاله مع الدعاة فقد كان معلما لهم، ومثبتا وقائدا ومشاورا، فلما اجتمعت الجيوش عند حمص بدأ بأخذ مشورة الصحابة ولم يستبد برأية.(٣)

ولما وقع الطاعون وزل بعض الصحابة أخذ يعلمهم ويقومهم بأن هذا المرض بشارة وليس عذابا من عند الله تعالى(٤)، وكذلك عند بدء الحرب كان يثبت الجند بالخطب بتهوين أمر الكافرين.(٥)

وقد أرسل إليه عمر - رضي الله عنه - أربعة آلاف أو أربع مائة دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع بها، قال: فقسمها أبو عبيدة، فلما أخبر الرسول عمر، قال: الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا.(٦)

وكان قدوة صالحة للمؤمنين يقودهم بأفعاله قبل أقواله إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

وأما حاله مع الدعوة فقد خدمها في أرض الشام وغيرها أجل خدمة، فقد جاهد في سبيلها، وبذل نفسه وماله ووطنه وراحته، وأخذ ينشر كلمة الله في شتى

---

(١) ذكروا في فصل الرسل، ص٤٣-٥٢ .

(٢) كما تقدم في فصل المجادلة ص٧٨-٨٨ .

(٣) انظر ص ٥٩ .

(٤) كما في ص٢١ .

(٥) ذكر هذا في ص٥٦ .

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/١ .

الوسائل والأساليب، فلا نرى أسلوبا أو سيلة إلا وله أمثلة منها، وكان من أهمها بناء المساجد، فقد بنى مسجدا بإيلياء، ومسجدا بحمص، وآخر بحلب، ومثلها في قنسرين.(١)

إذا كانت هذه صفاته وهو "أمير البلاد، والقابض على زمام السلطة فيها، ولي الولاية لا لدنيا يصيبها، ولا لجاه يرغب فيه، ولا لمال يدخره، بل لمطلق خدمة الأمة، ورجاء رضى الله.

هذا الأمير الذي مات في ولايته، ولم يملك من حطام الدنيا الا سيفه وترسه، ولم يك في بيته ما يأكل الا كسيرات من الخبز، فالى أية درجة من السعادة يصل أهل ولايته؟ وكيف تكون دولة هذا حال رجالها، وتلك أخلاق عمالها؟".(٢)

وفاته :

انطلق أبو عبيدة من الجابية الى بيت المقدس للصلاة، فاستخلف على الناس معاذ بن جبل، فأدركه أجله بفحل، فتوفي بها بقرب بيسان(٣)، وكانت وفاته سنة ثمان عشرة، وله ثمان وخمسون سنة، وكان يخضب بالحناء(٤)، وكانت وفاته بالطاعون.

---

(١) انظر مبحث المسجد ص٣٠-٣٢ .

(٢) أشهر مشاهير الاسلام لرفيق العظم ص٤٩٩ .

(٣) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣/٥٩٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١/٢٣، وأبو عبيدة بن الجراح، القائد الفذ لمحمد ابراهيم نصر ومحمد مصطفى سلام ص٥٢،٥٣ .

خـــالد بن الوليـــــــد رضي الله عنه

التعريف بـه :

هو خالد بـن الوليـد بـن المـغيـرة بـن عبـد الله بـن عمـرو بـن مـخزوم بن يقظة بن كعب(١)، كنيته أبو سليمان، وقيل : أبو الوليد.(٢)

وقـــد لقـــبـــه رسول الله - صلى الله عليـه وسلم - بـسيـف الله، فقـال: "خالد بـن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين".(٣)

هـاجر مـسلمـا في صفر سنـة ثـمـان أو سبـع، هو وعمـرو بـن العاص وطلحة بـن أبـي طـلحـة العـبـــدري، فـلمـــا رآهـم رسـول الله - صـلى الله عليـه وسلم - قـال لأصحابـه: "رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها".(٤)

خدمته للدعوة :

وقـد تـمـثـلت تـضحيـتـه في صبـره عنـد الشدائد، فقـد قال: لقد رأيتني يوم مؤتة، اندق في يدي تسعة أسياف، وصبرت بيدي صحيفة يمانية".(٥)

ولقـــد عـادى البـــاطل بـجمـيـع أشكـاله، فكـسر العزى(٦)، وأعاد المـرتـديـن إلى

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦٦/١ .

(٢) انظر: أشهر مشاهير الاسلام لرفيق العظم ص١٤٧ .

(٣) رواه أحمـد في مـسنـده انـظر: الفتـح الربـانـي ٢٢٦/٢٢، والحاكـم ٢٩٨/٣، وذكـره الهيثمي في المجمع ٣٤٨/٩ .

(٤) أشهر مشاهير الاسلام لرفيق العظم ص١٤٨ .

(٥) رواه البخاري، فتح الباري ٤١٦/٧ ، وانظر: المصنف لابن أبي شيبة ٣٢٣/٥.

(٦) سيرة ابن هشام ٤٣٦/٢ .

الإسلام، وقتل مسيلمة(١)، وقاتل في العراق.(٢)

وأما في الشام فقد كانت مشاركته في الدعوة من بداية مسيرات الدعاة إلى الشام، فقد كان حصنا للإسلام، وسيفا يقطع رؤوس أعدائه منذ أن أسلم، وإلى أن توفاه الله على فراشه رضي الله عنه.

وقد كان مثالا للجندي المطيع لقادته، ومثالا للقائد المشفق على جنده، فقد أطاع أبا بكر - رضي الله عنه - بالمسير من العراق إلى الشام(٣)، وأطاع عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - لما عزله عن القيادة.(٤)

وكانت أولى مشاركاته في الشام مسيرته إلى مؤتة، وقتاله فيها، ثم انسحابه - بتوفيق من الله - بعبقرية ودهاء.(٥)

ولما سارت الجيوش إلى الشام، ثم طلبوا المدد من الخليفة أرسل إليهم خالدا، فسار في ربيع الآخر، سنة ١٣هـ، فقطع المفازة بطريقة سريعة سرية، فنزل الجابية، وساعده البطريق، وكتب له كتابا، ثم نزل بصرى، فافتتحها، وذهب إلى اليرموك، وأمره المسلمون عليهم، فانتصر فيها بفضل الله تعالى، ثم تتابعت فتوحاته وانتصاراته.(٦)

---

(١) انظر: أشهر مشاهير الاسلام لرفيق العظم ١٥١-١٥٧ .

(٢) انظر: المرجع السابق ١٥٧-١٦١ .

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣٤٣/٣ .

(٤) انظر: المصدر السابق ٦٦/٤ .

(٥) انظر: البخاري (فتح الباري) ٤١٣/٧، والبداية والنهاية ٢٤٣/٤،٢٤٥، الفتح الرباني ٢١٤/٢٢ .

(٦) انظر: أشهر مشاهير الاسلام لرفيق العظم ١٦٤-١٧٠ .

وكان مع هذا يملك فطنة المؤمن، ومعرفته، بما أمده الله من البصيرة النافذة، والحجة الناصعة، فقد رأينا كيف رد على من جاء ليهد من عزيمة المؤمنين، ويخوفهم بالروم.(١)

ورأينا كيف كان يقنع كبار قادة الروم بالحجة الداحضة، فما يملك أحدهم إلا الإسلام، والآخر إلا المسالمة أو الفرار، فقد أسلم علي يديه جرجه(٢)، واستطاع خالد أن ينهي المجادلة مع ماهان لصالحه، إذ انصرف ماهان وقد علم قوة المسلمين النفسية، فأخذ يعد العدة فهزمه خالد بن الوليد رضي الله عنه.(٣)

وقد كان قدوة للجند بأقواله وأفعاله، فكان كثيرا ما يخطب فيهم معلما ومثبتا.(٤)

هكذا كان خالد - رضي الله عنه - مع المسلمين ومع الروم ومع الدعوة الإسلامية، وقد ألقى نفسه في المهالك، ثم مات على فراشه رضي الله عنه وأرضاه.

وفاته :

توفي - رضي الله عنه - بحمص، سنة احدى وعشرين، ولم يدع بعد فتوحه كلها إلا فرسه وسلاحه وغلامه.

---

(١) انظر ص١٨ .

(٢) تاريخ الأمم والموك، الطبري ٣٩٩/٣ .

(٣) تاريخ فتوح الشام، الأزدي ص٢٠٢-٢٠٧ ، وحروب الاسلام في الشام لباشميل ١٨٧، ١٨٨ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك، الطبري ٣٩٥/٣ .

وكما يقول لما حضرته الوفاة: "لقد طلبت القتل مظانه، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بتّها وأنا مترس، والسماء تهلني، ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار"، ثم قال: "إذا مت فانظروا إلى سلاحي وفرسي، فاجعلوه عدة في سبيل الله".(١)

فمع كثرة انتصاراته لو أخذ غنيمته من المعركة لملك ملكا عظيما، ولكنه تركها لله حتى بعد وفاته، هاهو يوصي بفرسه وسلاحه في سبيل الله.

وقال: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة، وها أنا أموت على فراشي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء، وما من عمل أرجى من لا اله إلا الله، وأنا مترس بها".(٢)

الله أكبر، إنه يقاتل بعقيدته، ويترس بلا اله إلا الله، فلا يعتمد على قوة جسدية أو عدة حربية.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٨١/١ .

(٢) انظر: أشهر مشاهير الاسلام لرفيق العظم ص١٧٨ .

جعفـر بن أبي طالب رضي الله عنه

التعريف به:

هو جعفر بـن أبـي طالب بـن عبـد المـطلب بـن هاشم بـن عبـد مـناف، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخو علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.(١)

هـاجر الهجرتـيـن، وهاجر مـن الحبـشة إلى المـديـنـة، فأقـام بـها أشهرا، ثـم أمـره رسـول الله - صـلى الله عـليـه وسـلم - على جيـش مـؤتـة(٢)، وقـال لمـا بـعث جيـش الأمراء: عليكم زيد(٣)، فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب فابن رواحة.(٤)

ولما التقى الجمعان عقر جعفر فرسه(٥)، وكان أول من عقر في الإسلام، وقال:

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٤٨٥/١ .

(٢) سبق التعريف بمؤتة ص٤ .

وانـظـر: عـقـود اللؤلؤ والمـرجان فيـمـا اتـفق عليـه الشيـخان، وضعه مـحمـد فؤاد عبد الباقي، ٣٠٢/٢، ٣٠٣ .

(٣) هو زيـد بـن حارثـة بـن شراحيـل بـن عبـدالعزيـز بـن زيـد بـن امـرىء القيس، كان يـدعى زيـد بـن مـحمـد - كـمـا قـال ابـن عمـر - اذ أغارت خيـل في الجاهلية على قـوم أمـه فأخذوه فاشتـراه حكـيـم بـن حزام، وأعطاه عمـتـه خديـجة، فلمـا تـزوجها رسـول الله - صـلى الله عـليـه وسلم - وهبـتـه له. انـظر: الاصابـة في تـمـيـيـز الصحابة ٥٩٨/٢ .

(٤) هو عبد الله بن رواحة . انظر : ص ٥ .

وانـظر: الفتـح الربـانـي في تـرتـيـب مـسنـد الامـام أحمـد بن حنبل الشيباني، لأحمد عبد الرحمن البنا ٢١٤/٢٢ .

(٥) أبو داود ٢٥٧٣ في الجهاد ٦٢/٣ .

يا حبذا الجنة واقترابها　　طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها　　عليّ إن لاقيتها ضرابها.(١)

وقد أخذ اللواء بعد زيد بن حارثة رضي الله عنهما، فقطعت يمينه، فأخذه بشماله، فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة(٢)، فأثابه الله جناحين في الجنة(٣) لما بذله من الإخلاص والتضحية في سبيل الدعوة.

وفاته :

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فقدنا جعفرا يوم مؤتة، فوجدناه ووجدنا بين طعنة ورمية بضعا وتسعين، وجدنا ذلك فيما أقبل من جسده.(٤)

وقالت عائشة رضي الله عنها : لما جاءت وفاة جعفر عرفنا في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - الحزن.(٥)

وعن البراء قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي.(٦)

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير ٢٤٤/٤ .

(٢) المصدر السابق ٢٤٤/٤ .

(٣) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٢٧٢/٩، ٢٧٤، والحاكم ٢١٠/٣، ٢١١، والسيرة النبوية لابن هشام ٢٠٦/٣ .

(٤) البخاري ٤١٢/٧ في المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني ١١٧/١، ١١٨ .

(٥) الحاكم ٢٠٩/٣ .

(٦) البخاري ٤٠٩/٧ في المغازي، باب عمرة القضاء، والفتح الرباني ٢١٤/٢٢ .

عمـرو بن العـاص رضي الله عنه

التعريف به :

هـو عمـرو بـن العاص بـن وائل بـن هاشم بـن سعيـد - بـالتـصغيـر - بـن سهم بـن عمـرو بـن هصيـص بـن كـعب بـن لؤي بـن هصيص(١) القرشي، أمير مصر، ويكنى بأبي عبد الله ، وبأبي محمد.(٢)

لمـا ارتـفـع أمـر النـبـي - صلى الله عليـه وسلم - عمـد عمـرو إلى حيـلة؛ إذ تـوجه إلى النـجاشي - رضي الله عنـه - وقـال لأصحابـه: إن انـتـصر مـحمـد فإنـا عنـد النـجاشي، فإنـا أن نـكـون تـحت يـديـه أحب إلـيـنـا مـن أن نـكـون تحت يدي محمد، وإن ظـهـر قـومـنـا فنـحن مـن قـد عرفوا، فلن يـأتـيـنـا مـنـهم إلا خيـر، فلمـا وصلوا إلى النـجـاشـي دعاه النـجاشي إلى الإسلام، فبـايـعه على الاسلام، فقـدم المـديـنـة، فبـايـع النبي - صلى الله عليه وسلم - على الإسلام.(٣)

عمرو - رضي الله عنه - في الشام :

تـقـدم ذكـر الكـتـاب الذي أرسله عمـرو - يـمـثـل الطاعة التـامـة المـبـصرة لولي الأمـر - ردا مـنـه على كـتـاب أبـي بـكـر - رضي الله عنـه - الذي أرسله إليـه يـأمره

---

(١) وهنا يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم .

انـظر: الاصابـة في تـمـيـيـز الصحابـة، ابـن حجر٦٥٠/٤، والاستـيـعاب بحاشية الاصابة ٥٠٨/٢، ونسب قريش، لمصعب الزبيري ص٤٠٩ .

(٢) انظر: الاعلام ٧٩/٧ .

(٣) رواه مسلم ١٣٧/٢ في الايمان، باب كون الايمان يهدم ما قبله.

فيه بالجهاد، ويبين رغبة الخليفة في انضمامه إلى جيش الشام، فرد عليه عمرو - رضي الله عنه - مبينا طاعته التامة، ورغبته في خدمة الدعوة في أي أرض، وفي مجابهة أي خطر.

فأرسله الخليفة إلى فلسطين تحت امرة أبي عبيدة رضي الله عنهم، فسار عمرو حتى نزل بغمر العربات(١)، فأرسل هرقل جيشه لمنع المسلمين من التقدم، فاقتتل الفريقان وانتصر المسلمون.(٢)

ثم اجتمعت الجيوش الأربعة في اليرموك(٣)، وانتصر المسلمون انتصارا عظيما.(٤)

وكان له بعد اجتماع الجند أثر عظيم في صلاح الجيوش، إذ كان يعظهم، ويحذرهم من المعاصي، ويحثهم على إخلاص النية لله تعالى، والتضرع إليه بالدعاء والخوف منه جل وعلا.(٥)

وكان يبشر المؤمنين بالنصر الموعود، ويحثهم على الثبات، ويقلل من قيمة الروم وعددهم في أعين المؤمنين فيقول: "فلا يهولنكم جموعهم، ولا عددهم، فإنكم ولو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل".(٦)

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣،٢/٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ٤/٧ .

(٣) سبق التعريف بها ص ٤٠ .

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٤/٧-١٦ .

(٥) انظر: كتاب الفتوح للكوفي ٢٩٥/١، وتاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢٥٣ .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٩/٧ .

واشترك بعد اليرموك بمعارك دمشق(١)، وفحل(٢)، وبيسان(٣)، ثم توجه قائدا مرة أخرى إلى فلسطين.

وقد أرسل رسالة يدعو أهل ايلياء(٤) إلى الإسلام، ويبين لهم مبادىء الدين والمثل العليا للدعوة الاسلامية، ويبين وجوه النقص عندهم، ثم ختم رسالته بالترهيب الشديد، جاء منه: "وأسبي الذرية، وتكونون كأمة كانت فأصبحت كأنها لم تكن". (٥)

ولما تحصن الأرطبون أرسل إليه عمرو عدة رسل فلم يصلوا معه إلى شيء، وسأله عدة أسئلة أخذ منها معلومات جيش الأرطبون، ثم انصرف، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لله در عمرو! هزم عمرو أرطبون إيلياء.

وفاته :

توفي - رضي الله عنه - ليلة عيد الفطر، سنة ثلاث وأربعين، وله نحو مائة سنة. (٦)

---

(١) سبق التعريف بها ص ٧ .

(٢) سبق التعريف بها ص٤٧ .

(٣) بيسان: مدينة بالأردن، بالغور الشامي. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥٢٧/١ .

(٤) سبق التعريف بها ص ٢٩ .

(٥) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص١٦٦ .

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٧٧/٣ .

الفصل الثاني : أشهر الدعاة من العلماء

أبو الدرداء رضي الله عنه

التعريف به :

هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، قاضي دمشق وسيد قرائها، وحكيم هذه الأمة.(١)

أسلم يوم بدر، ثم شهد أحدا، وكان قد تأخر إسلامه قليلا.(٢)

أبو الدرداء في الشام :

لما تقدم طلب يزيد بن أبي سفيان(٣) من عمر - رضي الله عنهم - أن يزوده بعلماء يعلمون الناس، ويفقهونهم في الدين، أرسل إليه عبادة، وأبا الدرداء، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم أجمعين.(٤)

ولما سار أبو الدرداء إلى الشام، سكن في حمص(٥) ابتنى له كنيفا، فأرسل إليه عمر رضي الله عنهما: "يا عويمر بن أم عويمر، أما كان لك في بنيان فارس ما يكفيك حتى تبني الساحات، وإنما أنتم أصحاب محمد قدوة".(٦)

فانتقل إلى دمشق(٧)، وكان - رضي الله عنه - يقول لأهلها: "يا أهل دمشق،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣٥/٢ .

(٢) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر ٧٣٧/١٣ .

(٣) سبق التعريف به ص٤٤ .

(٤) انظر ص ١٣٥ .

(٥) سبقت الترجمة ص ١٨ .

(٦) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٧٣٥/١٣ .

(٧) سبق التعريف بها ص ٧ .

ألا تسمعون من أخ لكم ناصح، إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيرا، ويبنون شديدا، ويأملون بعيدا، فأصبح جمعهم بورا، وبنيانهم قبورا، وأملهم غرورا". (١)

"مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون! تعلموا فإن العالم والمتعلم شريكان في الأجر". (٢)

وقال مثله لأهل حمص. (٣)

وكان يقول: "لولا ثلاث ما أحببت البقاء: ساعة ظمأ الهواجر، والسجود في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام، كما ينتقى أطايب الثمر". (٤)

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول: حدثونا عن العَاقِلَيْنِ، فيقال: من العاقلان؟ فيقول: معاذ، وأبو الدرداء. (٥)

ولما فتحت قبرص مُرَّ بالسبي على أبي الدرداء، فبكى، فقيل له: تبكي في مثل هذا اليوم الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: بينا هذه الأمة قاهرة ظاهرة، إذ عصوا الله، فلقوا ما ترى، ما أهون العباد على الله إذا هم عصوه. (٦)

---

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٧٧٠/١٣ .

(٢) المصدر السابق ٧٣٥/١٣ .

(٣) المصدر السابق ٧٦٤/١٣ .

(٤) المصدر السابق ٧٥٨/١٣ .

(٥) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣٥٠/٢ .

(٦) ابن عساكر ٧٧٦/١٣، والصحابة الأعلام من دفن منهم في الشام، لمحمد رياض خورشيد ص٣٤ .

وكـــان "الذي في حلقـة إقـراء أبـي الدرداء أزيـد مـن ألف رجل، ولكـل عشرة مـنـهم منقـن، وكـان أبـو الدرداء يـطوف عليـهم قـائمـا، فإذا أحكـم الرجل مـنـهم، تـحول إلى أبي الدرداء، يعني يعرض عليه". (١)

وفـــاتـــه :

لقـد استـمـرت دعوتـه - رضي الله عنـه - حتـى آخر ساعة مـن حياته، إذ جعل يقول وهو يحتضر: "من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟". (٢)

فـفـي سـكـــرات المـــوت المـــؤلمـة لم ينـنـس أن يـستـغل حيـاتـه، ويـوجه النـاس ويبصرهم.

علمه وروايتـه :

لمـــا حضـرت مـــعـاذ بـــن جبـــل - رضي الله عنـه - الوفاة في الشام، سأله أهل الشام، فقـالوا: أوصنـا، فقـال: العلم والإيـمـان مكـانـهمـا، مـن ابـتـغاهمـا وجدهمـا - قـــالهـا ثـــلاثـا - فالتـمـسوا العلم عنـد أربـعة، عنـد عويـمـر أبـي الدرداء، وسلمـان، وابن مسعود، وعبد الله بن سلام، الذي كان يهوديا فأسلم. (٣)

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٥٣/٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٥٢/٢ .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ٧٤٤/١٣ .

معـــاذ بن جبـل رضي الله عنه

التعريف بـه :

هـو مـعـاذ بـن جـبـل بـن عمـرو بـن أوس بـن عائذ بـن عدي بـن كـعب الخزرجي الأنصاري(١)، ولد سنة ٢٠ ق هـ(٢)، وكنيته أبو عبد الرحمن.(٣)

"أسلم وله ثـمـان عشرة سنـة"(٤)، "وآخى النـبـي - صلى الله عليـه وسلم - بـيـنه وبـيـن جعفر بـن أبـي طالب"، "شهد العقـبـة، وشهد بـدرا، وأحدا، والمـشاهد كـلها مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم".(٥)

كـان أبـيـض، وضيء الوجه، بـراق الثـنـايـا، أكـحل العيـنـين، وقال كعب بن مالك: كان شابا جميلا، سمحا من خير شباب قومه، وكان من أجمل الرجال.(٦)

عـن عـبـد الله بـن عمـرو - رضي الله عنـه - أن النـبـي - صلى الله عليـه وسلم - قـال: "خذوا القـرآن مـن أربـعة: مـن عبـد الله بـن مـسعود، وأبـي، ومـعاذ بـن جبـل، وسالم مولى أبي حذيفة".(٧)

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٤٣/١، والاعلام للزركلي ١٦٦/٨ .

(٢) الأعلام للزركلي ١٦٦/٨ .

(٣) سـيـر أعـلام النـبـلاء للذهبـي ٤٤٥/١، وتـذكـرة الحفاظ للذهبـي ١٩/١، والأعلام للزركلي ١٦٦/٨ .

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ١٨٦/١٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤٤٥/١ .

(٥) الأعلام للزركلي ١٦٦/٨، والتهذيب لابن حجر ١٨٦/١ .

(٦) انظر: الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤٠٦/٣ .

(٧) صـحـيـح البـخاري ٣٨/٩، في فضائل القـرآن، بـاب القـراء مـن أصحاب النـبـي صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس مرفوعا: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر .. وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ....".(١)

محل الثقة :

أرسله النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن للقضاء(٢)، فذهب إليهم معلما وقاضيا.

وكان عمر - رضي الله عنه - المؤيد من التنزيل يستشيره(٣)، وقد استخلفه أبو عبيدة - رضي الله عنه - لما أصيب، وأقره عمر، رضي الله عنهم.(٤)

معاذ - رضي الله عنه - في الشام :

خرج - رضي الله عنه - إلى الشام، داعيا إلى الله تعالى، وممتثلا أمره، وأمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - ومجاهدا ومعلما، فشارك في الجهاد، وكان من الأمراء، فقد كان على الميمنة يوم اليرموك(٥)، يقود الناس وينظم صفوفهم، وكان أحد الخطباء البارزين في اليرموك.(٦)

---

(١) أخرجه أحمد في الفتح الرباني ٣٥٢/٢٢، وابن ماجه ١٥٤ في المقدمة، باب فضائل خباب .

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي، تحقيق وتخريج شعيب الأرناؤوط ١١٦٠/١٠، واعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية ٢٠٢/١ .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٥٢/١ .

(٤) الأعلام للزركلي ١٦٦/٨ .

(٥) انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير ٨/٧ .

(٦) انظر: المصدر السابق ٨/٧، ٩ .

ولما منعه أبو عبيدة - رضي الله عنه - من المبارزة قدم ولده ليبارز لأنه يريد أن يقدم لهذه الدعوة ما يستطيع تقديمه، ولو كان أغلى شيء عنده.(١)

وكان قدوة للمسلمين ومعلما لهم، كما كان قدوة للروم أنفسهم، وداعيا لهم بسيرته، فقد روى أبو مسلم الخولاني أنه دخل مسجد حمص، فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلا من الصحابة، فإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الثنايا، ساكت، فإذا امترى القوم أقبلوا عليه فسألوه، يقول أبو مسلم: فقلت: من هذا؟ قيل: معاذ بن جبل، فوقعت محبته في قلبي.(٢)

ولما ذهب إلى أهل فحل(٣) كان السفير الإسلامي المثالي، الذي يبرز عزة المسلم وقوته، فكان لكلامه بين الرومييين أكثر الأثر، إذ خافوا منه، وصار لديهم تصور أن هذا هو مثال الجندي المسلم.(٤)

ووقف في اليرموك(٥) يعظ الجند ويقول: "يا أهل القرآن، ومتحفظي الكتاب، وأنصار الهدى والحق، إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق، ألم تسمعوا لقول الله: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما

---

(١) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢٥٩/١ .

(٢) أخرجه الحاكم ٢٦٩/٣، وأبو نعيم في الحلية ٢٣٠/١، والطبقات لابن سعد ٥٨٦/٣ .

(٣) سبق التعريف ص٤٧ .

(٤) انظر ص ٤٧-٥٠ .

(٥) سبق التعريف بها ص ٤٠ .

استخلف الذين من قبلهم"(١)، فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فرارا من عدوكم وأنتم في قبضته، وليس لكم ملتحد من دونه ولا عز بغيره".(٢)

وحينما وقع الطاعون صرخ الناس إليه فقالوا: "ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز، قال: إنه ليس برجز، ولكن دعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وشهادة يخص الله من يشاء منكم، أيها الناس أربع خلال، من استطاع أن لا تدركه، قالوا: ما هي؟ قال: يأتي زمان يظهر فيه الباطل، ويأتي زمان يقول الرجل: والله ما أدري ما أنا، لا يعيش على بصيرة، ولا يموت على بصيرة.(٣)

وقال عند موته: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا، لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكني كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، وطول الساعات في النهار، وإظماء الهواجر في الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر.(٤)

وفاته :

توفي بقيصر خالد(٥) من الأردن، سنة ثمان عشرة، وهو ابن خمس وثلاثين

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٩،٨/٧ .

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٥٨٨/٣، والفتح الرباني لأحمد البنا ٣٥٤/٢٢ .

(٤) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢٧١ .

(٥) قصير خالد : لم أجد ترجمة لقصير خالد تخصيصا لخالد، وانما وجدت أن قصير يطلق على عدة مواضع منها: قصير الدين، بالغور من أعمال الأردن، يكثر فيه قصب السكر، والقصير ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق، وكلها في الشام. انظر: معج البلدان لياقوت الحموي ٣٦٧/٤ .

سنة(١)، وكان استشهاده بالطاعون.(٢)

---

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي ٢١/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٥٨/١، معاذ بن جبل امام العلماء، د. ابراهيم نصر، ومحمد مصطفى سلام ٩٠،٩١ .

عبـــادة بن الصـامت رضي الله عنه

التعريف بـه :

هو عبـادة بـن الصامـت بـن قـيـس بـن أصرم بـن فهر بـن ثـعلبـة بن الخزرج، الإمام القـدوة، أبـو الوليـد الأنـصـاري(١)، شـهـد المـشاهد كـلها مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٢)

عبـادة في الشـام :

"قـال مـحمـد بـن كـعب القـرظي: جمـع القـرآن في زمـن النـبـي - صلى الله عليـه وسـلم - خمـسة مـن الأنـصار: مـعاذ، وعبـادة، وأبـي، وأبـو أيـوب، وأبـو الدرداء، فلمـا كـان عمـر، كـتـب يـزيـد بـن أبـي سفيـان إليـه: إن أهل الشام كـثير، وقد احتاجوا إلى مـن يـعلمـهم القـرآن ويـفقـههم. فقـال: أعيـنـونـي بـثـلاثـة، فقالوا: هذا شيخ كبير - لأبـي أيـوب - وهذا سقـيـم - لأبـي - فخرج الثـلاثـة إلى الشام، فقـال: ابـدءوا بـحمص، فإذا رضيتم منهم، فليخرج واحد إلى دمشق، وآخر إلى فلسطين".(٣)

ولمـا قـام خطيـب بـيـن يـدي مـعاويـة - رضي الله عنـه - يـمدحه، قام إليه عبادة وحـثـا فـي فـمـه التـراب، وقـال: قـال رسول الله صلى الله عليـه وسلم: "إذا رأيـتـم المداحين فاحثوا في أفواههم التراب".(٤)

---

(١) كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي ٣١٦/١، وأحمد ٢٧٥/٢٢ الفتح الرباني.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/٢ .

(٣) سيـر أعلام النـبـلاء للذهبـي ٦/٢، ومـعاذ بـن جبـل امـام العلمـاء، ابـراهيـم نـصر ومحمد مصطفى سلام ص٩٨، ٩٩ .

(٤) النسائي ١٣٧/٧، ١٣٨ في أول البيعة.

وعن اسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه، أن عبادة بن الصامت مرت عليه قطارة(١) وهو بالشام تحمل الخمر، فقال: ما هذه؟ أزيت؟ قيل: لا، بل خمر يباع لفلان، فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بقرها.(٢)

وعن عثمان بن أبي العاتكة: أن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - مر بقرية دمر(٣) فأمر غلامه أن يقطع له سواكا من ضفاف على نهر بردى، فمضى ليفعل، ثم قال له: ارجع، فإنه ان لا يكن بثمن، فإنه يبيبس فيعود حطبا بثمن.(٤)

وعن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه قال: كان عبادة رجلا طوالا جسيما جميلا، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.(٥)

ساق له بقي في مسنده مائة وواحدا وثمانين حديثا، له في البخاري ومسلم ستة، وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بحديثين.(٦)

---

(١) القطارة والقطار : أن تشد الابل الى نسق واحد. انظر: ترتيب القاموس المحيط، الطاهر أحمد الزاوي ٦٤٤/٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠،٩/٢ .

(٣) عقبة دمر : مشرفة على غوطة دمشق، وهي من جهة الشمال في طريق بعلبك. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٦٣/٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/٢ .

(٥) المرجع السابق ١٠/٢ .

(٦) المرجع السابق ١١/٢ .

المبحث الثالث : أشهر الدعاة من الخطباء

أبو هريرة رضي الله عنه

التعريف به :

اختلف في اسمه على أقوال جمة، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر.(١)

نشأ يتيما، وهاجر مسكينا، وكان أجيرا لابنة غزوان بطعام بطنه(٢)، فقدم المدينة مهاجرا ليالي فتح خيبر.(٣)

عن سعيد بن أبي الحسن قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكثر حديثا من أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم(٤)، ويعد من أهل الفتوى.(٥)

أبو هريرة في الشام :

كانت أول مشاركاته - رضي الله عنه - هي قتاله في مؤتة(٦)، ثم شارك في اليرموك، وقام فجعل يعظ الناس ويقول: "سارعوا إلى الحور العين، وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم".(٧)

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٧٨/٢ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٧٢/١، وجاء نحوه في الحلية لأبي نعيم ٣٧٩/١ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٣٢/١ .

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٩٨/٢ .

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٢/٢ .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٤/٤ .

(٧) البداية والنهاية لابن كثير ٩/٧ .

وفاتـــه :

"دخـل مـــروان عـلى أبـــي هريـرة - رضي الله عنـه - في شكـواه، فقـال: شفاك الله يـــا أبـــا هريـرة، فقـال: اللهم إنـــي أحب لقـاءك فأحب لقـائي. قـال: فمـا بـلغ مـروان أصحاب القطا حتى مات.(١)

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣٣٩/٤ .

أبو سفيـــان رضي الله عنه

التعريف به :

هو أبـو سفيـان صخر بـن حرب بـن أمـيـة بـن عبـد شمـس بـن عبد مناف بن قصي بن كلاب، رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق.(١)

كـان مـن دهـاة العـرب، شـهد حنـيـنـا، وأعطاه رسول الله - صلى الله عليـه وسلم - من الغنائم مائة من الإبل.(٢)

أبو سفيان في الشام :

لقـد كـان أبـو سفيـان - رضي الله عنـه - في أول جهاد المـسلمـيـن في الشام هو صاحب المشورة المشهورة في اجتماع الجند.(٣)

وفي اليـرمـوك كـان يـحرّض المـؤمـنـيـن على القـتـال، وكـان تـحت راية ولده يزيد فكان يصيح: يا نصر الله اقترب.(٤)

وكـان يـقـف على الكـراديـس يـذكـر ويـقـول: الله الله، إنـكـم أنـصار الإسلام، ودارة العـرب، وهـؤلاء أنـصـار الشـرك، ودارة الروم، اللهـم هـذا يـوم مـن أيـامـك، اللهم أنزل نصرك.(٥)

---

(١) كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي ١٦٧/٣ .

(٢) مـسلم، ١٥٥/٧ فـي الزكـاة، بـاب اعـطـاء المـؤلفة قـلوبـهم على الاسلام، وزاد المعاد ٤٧٣/٣ .

(٣) انظر ص ٥٩ .

(٤) الاصابة في تمييز الصحابة ٤١٤/٣ .

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٦/٢ .

وكان يقول أيضا: "يا معشر المسلمين، أنتم العرب، وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل منابذين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بازاء عدد كثير مدده شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجينكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غدا الا بصدق اللقاء، والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنها لازمة، وإن الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبراري، ليس لأحد فيها مقيل ولا معدل إلا الصبر، ورجاء ما وعد الله، فهو خير معول، فامتنعوا بسيوفكم، وتعاونوا، ولتكن هي الحصون، ثم ذهب إلى النساء فوصاهن، ثم عاد فنادى : يا معاشر أهل الإسلام حضر ما ترون، فهذا رسول الله، والجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم، ثم سار إلى موقفه رحمه الله".(١)

وقد قلعت عينه في هذه المعركة.(٢)

وفاته :

ولم يمت حتى رأى ولديه: يزيد ومعاوية أميرين على دمشق.(٣)

توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين وله نحو تسعين سنة.(٤)

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٩/٧ .

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤١٤/٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٧/٢ .

(٤) المرجع السابق ١٠٧/٢ .

عكرمـــة بن أبي جهـــل رضي الله عنه

التعريف بـه :

هو عكـرمـة بـن أبـي جهل بـن عمـرو بـن هشام بـن المـغيرة بن عبد الله بن عمر بن مـخزوم بـن يـقـظه بـن مـرة المـخزومـي القـرشي(١)، وكنيته أبو عثمان(٢)، وقد كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم". (٣)

أسلم بـعد فتـح مـكـة بـقـليـل، فلمـا جاءت الحرب هرب مـنـها ولحق بـاليمن، وكان الرسـول - صـلى الله عليـه وسلم - لمـا سار إلى مـكـة أمـر بـقـتـل عكـرمـة لأنـه أمـن النـاس إلا أربـعة وامـرأتـيـن، وقـال: اقـتـلوهم وإن وجدتـمـوهم مـتـعلقـيـن بـأستـار الكـعـبـة، فركـب عكـرمـة البـحر، فأصابـتـهم عاصف، فقـال أصحاب السفيـنـة: أخلصوا، فإن آلهتـكـم لا تـغنـي عنـكـم شيـئا هاهنـا، فقـال عكـرمـة: إن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص، مـا يـنـجيـنـي في البـر غيـره، اللهم لك علي عهد إن أنـت عافيـتـنـي مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده، فلأجدنه عفوّا كريما، فجاء فأسلم. (٤)

وعـنـد وصـوله قـال له النـبـي صلى الله عليـه وسلم: مـرحبـا بـالراكـب المـهاجر، قـال: فقـلت: يـا رسول الله! والله لا أدع نـفقـة أنـفقـتـها عليـك، إلا أنـفقـت مـثـلها في سبيل الله. (٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٣/١، والأعلام للزركلي ٤٤/٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٣/١ .

(٣) الأعلام للزركلي ٤٤/٥ .

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥،٤/٤ .

(٥) أخرجه الترمذي ١٧٥/٤ في الاستئذان.

عكرمة في الشام :

لما فرغ عكرمة من قتال أهل الردة سار الى الشام مجاهدا أيام أبي بكر - رضي الله عنه - فخرج أبو بكر وجزاه خيرا، وعرض عليه المعونة، فقال: لا حاجة لي فيها، معي ألفا دينار. فدعا له بخير، فسار الى الشام.

وكان يخطب في الجند محمسا له، وداعيا الى الاقدام.

ففي معركة اليرموك بايع مبايعة الموت المشهورة.(١)

وفي فحل كان أعظم الناس بلاء، وكان يركب الأسنة حتى جرحت صدره ووجهه، فقيل له: اتق الله وارفق بنفسك، فقال: كنت أجاهد بنفسي عن اللات والعزى فأبذلها لها، أفأستبقيها الآن عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لا والله أبدا، قالوا: فلم يزدد إلا اقداما حتى قتل رحمه الله تعالى.(٢)

استشهاده :

استشهد - رضي الله عنه - في اليرموك، أو يوم مرج الصفر، وعمره ٦٢ سنة.(٣)

---

(١) انظر مبحث الجهود الدعوية ص١٨٩ .

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٦/٤، وجاء نحوه في المصنف لابن أبي شيبة ٣٤٥/٥.

(٣) الأعلام للزركلي ٤٤/٥ .

الفصل الخامس

نتائج الدعوة وعوامل نجاحها

الفصل الخامس: نتائج الدعوة وعوامل نجاحها

تمهيـــــد :

أرسل الله تعالى الدعاة إلى هذه البلاد، ولم يتركهم يسيرون وحدهم من غير تسديد ولا تيسير، فإذا فقد التيسير جاء التسديد حتى يتخطى الدعاة تلك الصعوبات.

وقد يسر الله تعالى للدعوة والدعاة أسبابا ساعدت - بفضل الله تعالى - على انتشار الدعوة.

وكان من أهم هذه الأسباب ما وضعه الله تعالى قبل مجيء الدعوة إلى هذه البلاد، إذ كان الميدان الشامي ميدان فوضى وسفك دماء ونهب سهّل لقبول الدعوة، وقد جاء الكلام عنه في التمهيد للرسالة.

ثم أوردت في هذا الفصل الأسباب التي أراها معينة للدعوة والدعاة، فلِمَحاسن الإسلام الأثرُ البالغ في قبول أهل الشام الذين يعيشون في المجتمع الشامي لهذه الدعوة؛ لأنهم رأوا في هذا الإسلام المنقذ لهم مما يعيشون فيه.

كما كان للصفات التي توفرت في الجيشين، وعرضت أمام المجتمع الشامي النتائج الحسنة في اقتناعهم بسيرة هذا الجيش، وبالتالي باعتناقهم لدعوته.

ثم جاءت الجهود الدعوية المساندة لهذه الأسباب لتحقق بقية النتائج المرجوة، ولذا أنتجت الدعوة - بفضل الله تعالى - هذا الإنتاج العظيم، ولله الفضل من قبل ومن بعد.

المبحث الأول

نتائج الدعـــوة هنـاك

تمهيـــد :

لمـا سار الدعـاة المـخلصـون إلى هذه البـلاد كـانـوا يـحمـلون أهدافا نـبـيـلة، فعمـلوا على تـحقـيـقـها، وأثـمـرت جهودهم أطيـب الثـمـر، ولا تـزال هذه الثـمار يقطفها أهل هذه البلاد إلى يومنا الحاضر، مع تعاقبهم على هذه الأرض.

وهذا ما سنراه في هذا المبحث بمشيئة الله تعالى .

أولا : اتساع رقعة الإسلام

لقد تحولت هذه الأراضي المغبرة بظلم الكفرة الفجرة إلى أراض ناعمة بالعدل والأمان لجميع أفراد المجتمع، فصار القطر قطرا إسلاميا يرفع راية الإسلام، وتنطلق منه الدعوة الإسلامية إلى البلاد المجاورة من غير أن يعترض سبيلها آثم.

واتسعت رقعة البلاد التي يحكمهما الإسلام، فشملت الجزيرة العربية بكاملها، وجثت تحت قدم الدعاة أعظم دولة في ذلك الزمان. في حين كانت الدولة العظمى الثانية تنحني لتلثم القدم الأخرى، وانتصر الدعاة على هاتين الدولتين - أمام مرأى من الناس - لا بعدّتهم المتقدمة، ولا بجيوشهم الجرّارة، وإنما بتوفيق الله لهم، ثم بإيمانهم وصلاحهم وإصلاحهم وحسن سيرتهم.

ثانيا : اقتناع أهل الشام بسياسة المسلمين

يقول توماس آرنولد: "ما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة - رضي الله عنه - في فحل(١)، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون: "يا معشر المسلمين، أنتم أحب الينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا".

وهكذا كانت حالة الشعور في بلاد الشام ... ولما ضربت دمشق(٢) المثل في عقد الصلح مع العرب ... وأَمِنَتْ بذلك السلب والنهب، كما ضمنت شروطا أخرى

---

(١) سبق التعريف بها ص ٤٧ .

(٢) سبق التعريف بها ص ٧ .

ملائمة، لم تتوان سائر مدن الشام في أن تنسج على منوالها، فأبرمت حمص(١) ومنبج(٢) وبعض المدن الأخرى معاهدات أصبحت بمقتضاها تابعة للعرب، بل سلم بطريق بيت المقدس(٣) هذه المدينة بشروط مماثلة".(٤)

وكتب أهل حمص الى المسلمين بعد ما ردوا عليهم ما أخذوا منهم: "ولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم"، بل وحتى اليهود أغلقوا الأبواب وحرسوها، وقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا أن نغلب ونجهد، وقالوا: ان ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه، والا فانا على أمرنا مابقي للمسلمين عدد".(٥)

فأصبح اليهود والنصارى يقاتلون جند هرقل للحفاظ على حكم المسلمين بينهم.

---

(١) سبق التعريف بحمص ص١٨.

(٢) منبج : هو بلد قديم رومي، أول من بناها كسرى لما غلب على الشام، فسماها من به، أي: أنا أجود، فعربت فقيل له: منبج. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/٢٠٥ .

(٣) بيت المقدس: انظر ص ٢٩ .

(٤) الدعوة الى الاسلام لتوماس آرنولد ص٧٣ .

(٥) فتوح البلدان للبلاذري ص١٤٣ .

وقال التنوخي: كنت نصرانيا فنصرت النصرانية على العرب، وأقبلت مع الروم فجعلنا لا نمر بأحد من أهل البلد إلا وجدناهم أحسن شيء ثناء على العرب في كل شيء من أمرهم، وفي سيرتهم.(١)

ولا شك أن انتشار هذه السمعة الحسنة قد نشرت بعض مبادىء الدعوة بين الناس، ولذا أعجبوا بها، وصاروا يتتبعون أخبار الدعاة حتى يصلوا إليهم سرا وجهارا يدعونهم إلى بلادهم ويرحبون بهم.

ثالثا : إسلام بعض السكان اختيارا

لقد كان دخول المسيحيين الإسلام عن إرادة تامة من غير اضطهادات ولا تعذيب(٢)، فدخلوا الإسلام قادة وجندا إذ أسلم مفوض الروم وأحد قادتهم جرجه كما سبقت القصة.(٣)

وبالجملة فإننا نستطيع أن نقول: "إن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وارادة حرة".(٤)

---

(١) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي ص١٧٥ .

(٢) انظر: تاريخ الدولة العربية فلهوزن ، ص١٢٧ .

(٣) انظر ص٨١ .

(٤) الدعوة الى الاسلام، لتوماس آرنولد ص٧٠ .

رابعـــا : مشاركة الروم المسلمين في مسيرة الدعـوة

إن من حكمة الله تعالى أن الإسلام إذا وقر في قلب امرئ أشعل لهيب الحماس فيه.

ولما وقر الإسلام في قلوب بعض الروم عملوا لتيسير السبل للدعوة والدعاة، بل إنهم قدموا أنفسهم في سبيلها، فلما أسلم جرجه(١)، ودخل في جيش المسلمين زحف خالد - رضي الله عنه - حتى تصافحوا بالسيوف، "فضرب فيهم خالد وجرجه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، ثم أصيب جرجه، ولم يصل صلاة سجد فيها إلا ركعتين اللتين أسلم عليهما". (٢)

وفي معركة اليرموك(٣) جاء رجل من العرب المتنصرة الذين أسلموا، فقال لهم أبو عبيدة وخالد رضي الله عنهما: "ادخلوا في عسكر الروم فاكتموهم إسلامكم، والقونا بأخبارهم، فإن في هذا لكم أجرا، والله حاسبه لكم جهادا، فإنكم تدفعون بذلك حرمة الإسلام، وتدلون على عورة أهل الشرك"(٤) فذهبوا وأتوا بأخبار الكفار.

خامســا : انتشـار اللغة العربيـة

وكان من أهم النتائج أيضا انتشار لغة الكتاب والسنة التي شرفها الله بأن تكون لغة خاتمة الرسالات.

---

(١) سبقت ترجمة في ص ٥٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٠٠/٣ .

(٣) سبقت التعريف بها ص ٤٠ .

(٤) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢١٢ .

وكـــان ظفر الجيـش الإسلامـي وتـمـكـنـه مـن غلبـة الروم سبـبـا في انـتـشار اللغة العربـيـة بـيـن أهل الشام، فقـد كـان للقـرابـة القـديـمية دور في انـتـشارها، وقد جاء الدعاة يـحمـلون اللغة، وحيـنـمـا تـحدثـوا بـها إلى سكـان البـلاد بـعد النـصر لم يـكـن وَقْـعُ هذه اللغة ولا مـعنـاها غريـبـا على بـعض السكـان، إذ أن بـيـنـهم وبـيـن الفاتحين صلات لغويـة تـمـثـل قـرابـة الفكـر، كـمـا أن بـيـنـهم قـرابـة الدم، ولم يكن هناك إلا الروم وحـدهـم لايـتـمـثـلون هذه اللغة - وهم قـلة حاكـمـة - وكـان هنـاك صراع بـيـن اللغة الرومـيـة القـلـيـلة والـلغة العربـيـة الفاتـحة، وكـان طبـيـعيـا أن يـنـتـهي بتغلب العربية، فقد كانت لغة الدين والدولة معا.(١)

سـادســا : الغنائـم

انـــطـلق الدعاة وغايـتـهم هي نـشر الدعوة، ولم يـفكـروا في أمـر الدنـيـا، ولكـن الله تـعـالى بـفـضـله آتـاهم الدنـيـا وحسن ثـواب الآخرة - بـإذن الله تـعالى - فأسلم بـعـض المـدعـويـن، وسـالم الآخـرون، ومـع هـذا أخـذوا الغنـائم الكـثـيـرة، وأولها الأرض، ثم أملاك القياصرة وأتباعهم .

---

(١) انظر: المجتمعات الاسلامية، شكري فيصل ص٦٦-٦٩ .

المبحث الثاني : عوامل النجاح

تمهيد :

لقد اجتمعت عوامل النجاح في الدعوة والدعاة والمدعوين، بل وحتى ميدان الدعوة كما تقدم .

اجتمعت فيها صفات ساعدت - بفضل الله تعالى - على نشر هذا الدين العظيم بين أهل الشام، وهذا ما سنراه - بعون الله تعالى - في هذا المبحث، تحت أربعة مطالب

المطلب الأول : محاسن الاسلام .

المطلب الثاني : الصفات البارزة في الجيش الإسلامي .

المطلب الثالث : الصفات البارزة في الجيش الرومي .

المطلب الرابع : الجهود الدعوية الأخرى .

المطلب الأول : محاسن الاسلام

إن من أهم عوامل نجاح الدعوة الإسلامية هي محاسن الإسلام التي لها أثرها العظيم، فقد جاءت هذه المحاسن في وقت كان الناس بأمسّ الحاجة إليها، فجاءت بالعدل والمساواة والرفق والسهولة، والوضوح التام، حتى يفهم الإسلام كل فرد من أفراده، فلا تعقيد فيه ولا خيال، بل هو موافق لفطرة الإنسان السليمة لا يناقضها، وموافق لطاقاته فلا يثقلها.

وسنرى هذه المحاسن - بالتفصيل - التي دخلت مع دعاة الإسلام إلى هذه البلاد فصارت - بعون الله تعالى - عاملا من عوامل نجاح الدعوة، فما زال الدعاة يبيّنون هذه المحاسن للمدعوين حتى دخل جزء كبير منهم في الإسلام، ومن لم يدخل فقد أخذ الصورة الحسنة عن الإسلام، فصار البلد بلد إسلام، حتى كان يوما من الأيام دار العلوم الإسلامية، وتخرج فيه من كبار العلماء والقضاة الذين يذودون عن الإسلام بعلمهم وعملهم.

أولا : لا إكراه في الدين

إن من الاعتقادات لدى المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى الذي يقول: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)(١)، (وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله)(٢)، (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة يونس ، الآية ١٠٠ .

وانظر: غير المسلمين في المجتمع الاسلامي د. يوسف القرضاوي، ص٤٩ .

تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين).(١)

وقد جاء في الكشاف: أي لم يُجْرِ الله أمر الايمان على الإجبار والقسر، ولكن على التمكين والاختيار.(٢)

وقد رأينا كيف أعطى عمر - رضي الله عنه - عهده لأهل إيلياء(٣) الذي يضمن حريتهم الدينية وسلامة كنائسهم(٤)، وفي عهد خالد بن الوليد - رضي الله عنه - لأهل عانات(٥): "ولهم أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاؤوا من ليل أو نهار، إلا في أوقات الصلاة، وأن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم".(٦)

والإسلام يمنع المسلم أن يماري ويجادل غيره من أهل الأديان الأخرى إلا بالحسنى وللين، وذلك "حتى لا يوغر المراء الصدور، ويوقد الجدل واللددُ نارَ العصبية والبغضاء في القلوب"(٧)، فقال تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم).(٨)

---

(١) سورة يونس، الآية ٤٩ .

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري ٢٥٤/٢ .

(٣) انظر ص ٢٩

(٤) انظر ص ١٠٣ .

(٥) عانات : سميت بثلاثة اخوة من قوم عاد خرجوا هربا فنزلوها، فسميت بأسمائهم فلما نظرت العرب اليها قالت: كأنها عانات، أي قطع من الظباء. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٧٢/٤ .

(٦) الخراج، لأبي يوسف ص١٥٨ .

(٧) غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، ليوسف القرضاوي، ص٦ .

(٨) سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

ولكن مع عدم الإكراه فإن أهل الكتاب يدفعون الجزية، وليس لونا من ألوان العقاب، بل هو مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين(١)، وكذلك مقابل انتفاعهم بالمرافق العامة التي يتمتع بها الجميع كالقضاء والشرطة(٢)، فمن لم يستطع دفعها فإنه يعفى من غير تعذيب ..

وقد رأى حكيم بن هشام(٣) - رضي الله عنه - وهو على حمص(٤) رجلا يشمس ناسا من النبط في أداء الجزية، فقال: ما هذا؟ سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا". (٥)

فقد كان همّ الدعاة أن يصلوا إلى القلوب بأقرب طريق وأسلمه، وهو طريق الإقناع بالحجة والقدوة لا طريق العنف والقسوة الذي يجعل أهل البلد يحقدون على المسلمين، ومن أسلم أسلم خائفا من سياط المسلمين.

ثانيا : الشمول

نحن نعلم أن الإسلام لم يترك أمرا من شئون الإنسانية لم يرشد إليه على خلاف

---

(١) انظر: الدعوة الى الاسلام لتوماس آرنولد ص٧٩ .

(٢) انظر: غير المسلمين في المجتمع الاسلامي ليوسف القرضاوي ص٣٤ .

(٣) حكيم بن هشام، لم أعثر على ترجمته.

(٤) سبق التعريف بها ص ١٨ .

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٢٠٥/٩ .

الأديان الأخرى.(١)

إذ شموله يستوعب المعاني الآتية :

١ - شمول في المبادىء والقواعد .

٢ - شمول المدعوين، وهم الناس جميعا .

٣ - شمول الزمن، لأن الدعوة دائمة إلى يوم القيامة.(٢)

٤ - شمول في القدوة، لأن سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - تعطي القدوة في جميع الشؤون التي يرغب الناس اتخاذ النبي - صلى الله عليه وسلم - قدوة فيها، فسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - تشمل حياة الإنسان كلها، وصفات الكمال التي توزعت على الأنبياء جميعا، التقت أطرافها في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم.(٣) -

فمنهج الدعوة الإسلامية هو المنهج الوحيد الذي يعرف طريقه إلى النفس البشرية منذ اللمسة الأولى يعرف دروبها، فيتدسس إليها بلطف، ويعرف مداخلها ومخارجها فيسلك إليها على استقامة، ويعرف قواها ومقدراتها فلا يتجاوزها أبدا، ويعرف حاجاتها فيلبيها تماما، ويعرف طاقاتها الأصلية فيطلقها للعمل والبناء(٤) بخلاف ما يعتقده البعض ممن انحرفوا.(٥)

---

(١) انظر: مرشد الدعاة، تأليف محمد نمر الخطيب ص٤٢ .

(٢) انظر: أسباب نجاح الدعوة، لعبدالله بن محمد آل موسى ص٢٠٥ .

(٣) انظر: معالم الثقافة الاسلامية، لعبد الكريم عثمان ، ص٥١ .

(٤) انظر: كتاب هذا الدين، لسيد قطب، ص٢٨ .

(٥) انظر: المرجع السابق ص٢٩ .

ثالثا : العدل والمساواة

إن من ثمار الدعوة الإسلامية أن جاءت بالعدل والمساواة بعد ما افتقدتها الإنسانية، وأثقل ظلالها البشر بالظلم والقهر والتسلط الطبقي والجور، فجاءت هذه الشريعة بالعدل الذي هو مطلب فطري لكل البشر في كل الأحوال، لأن الله تعالى لم يقم هذا الكون بما فيه من قوة هائلة إلا على أساس العدل.(١)

فقد جاء الإسلام ليقرر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير، وفي المحيا والممات، وفي الحقوق والواجبات، أمام الله والقانون، وفي الدنيا والآخرة، لا فضل إلا للعمل الصالح، ولا كرامة إلا للأتقى، وكان تقرير الإسلام هذا وثبة للإنسانية لم يعرف التاريخ لها نظيرا.(٢)

فقد تبرأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - ممن دعا إلى عصبية، فقال صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية".(٣)

وأقام شعار "أنصر أخاك ظالما أو مظلوما"(٤)، كما أقام مبدأ مساواة الناس بالحدود حكاما ومحكومين، فقال صلى الله عليه وسلم: "والله لو أن

---

(١) انظر: أسباب نجاح الدعوة لعبدالله بن محمد الموسى ص١٦٣، ١٦٤ .

(٢) انظر: العدالة الاجتماعية، لسيد قطب، ص٥٢ .

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في العصبية ٣٤٢/٥، رقم الحديث ٥١٢١.

(٤) رواه البخاري، كتاب الاكراه، ٧٤/٨ .

فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". (١)

رابعا : اليسر والسهولة

إن سمة الإسلام بين الأديان الأخرى اليسر والسهول، إذ القاعدة الأساسية أن الله تعالى لايكلف نفسا إلا وسعها، وهو الذي يقول: (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج). (٢)

فمثلا نجد أن الحكم الذي يشق أداؤه على المكلف يسقط إلى بدل كالصيام للمريض والمسافر، والمرأة في زمن الحيض، يفطرون رمضان، ويصومون بدلا منه، وكالتدرج في أحكام الكفارات، وقصر الصلاة للمسافر، ورفع الحرج عن المريض حتى يبرأ، والمجنون حتى يفيق، والصغير حتى يبلغ، والنائم حتى يستيقظ .. وقد يسقط الحكم بتاتا إذا وجد سبب شرعي لذلك، كإسقاط صيام رمضان عن الشيخ الفاني، إذا لم يجد كفارة، وإسقاط الصلاة عند الحيض والنفاس، وعدم المؤاخذة بالخطأ والنسيان". (٣)

وهكذا رأينا أن هذا النظام يتسم بالسهولة والدقة، "حيث لا يكلف الإنسان أن يطيع أمرا يتعذر عليه تنفيذه أو ادراكه". (٤)

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري، كتاب الحدود، باب اقامة الحدود على الشريف والوضيع ٧٢/١٢، ومسلم كتاب الحدود ١٨٦/١١ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٦ .

(٣) أسباب نجاح الدعوة، لعبدالله بن محمد آل موسى ١٦٣ .

(٤) الدعوة الاسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية د. محي الدين الألوائي ص٣٣٦ .

خامسا : الوضوح

ينقل توماس آرنولد عن تايلور، بعد ما تكلم عن مُعَمّيات المسيحية، وخرافات النصارى والتعقيدات في العقيدة المسيحية المحرفة، فيقول تايلور: لقد كان الإسلام ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى. ولقد بين أصول الدين التي تقول بوحدانية الله وعظمته، كما بين أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره، والإيمان به، وتفويض الأمر إليه، وأعلن أن المرء مسئول، وأن هناك حياة آخرة، ويوما للحساب، وأعد للأشرار عقابا أليما، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير، ونبذ الفضائل الكاذبة، والدجل الديني، والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة، وسفسطة المتنازعين في الدين، وأحل الشجاعة محل الرهبنة، ومنح العبد رجاء، والإنسانية اخاء، ووهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية.(١)

"وأما حقيقة وضوحها وشمولها فلأنها قامت بتفسير القضايا الكبرى التي شغلت العقول البشرية على مَرّ الدهور، كقضية الألوهية، وقضية الكون، وقضية الإنسان وخلقه ومصيره، وقضية المصير والنهاية التي تؤول هذه الدنيا إليها.

حيث تناولت كل قضية من هذه القضايا بأسلوب واضح وظاهر لكل الناس".(٢)

وينقل الأستاذ محمد النقيرة عن هوبير ديشان قوله: "والإسلام دين فطرة بطبيعته، سهل المتناول، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه، وسهل التكليف والتطبيق

---

(١) انظر: الدعوة الى الاسلام، لتوماس آرنولد ص٩٠ .

(٢) رسالة القدوة، لعلي حسن القرني، ص٢٩، رسالة ماجستير .

على مختلف الظروف ... ووسائل الانتساب إليه أيسر وأيسر، إذ لا يتطلب من الشخص لإعلان إسلامه سوى النطق بالشهادتين، حتى يصبح في عداد المسلمين، ولم يفرض الإسلام على الزنوج أن يغيروا من نظام معيشتهم".(١)

سادسا : الموافقة لفطرة الإنسان

يبين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الإنسان يولد على الإسلام، فيقول: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه، واقرأوا إن شئتم: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله)".(٢)

نقل القرطبي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وابن شهاب الزهري - رحمه الله - وغيرهما قولهم: إن الفطرة هي الإسلام .(٣)

ويقول الأستاذ سيد قطب عن موافقتها للفطرة: إن الفطرة والنفس البشرية كلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه، والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه

---

(١) انتشار الاسلام في شرقي أفريقية ومناهضة الغرب له، لمحمد النقيرة ص١١٦ .

(٢) سورة الروم، الآية ٣٠ .

والحديث رواه البخاري في كتاب الجنائز، ١٩٢/٣-١٩٤، ورواه مسلم في كتاب القدر ٢٠٧/١٦ واللفظ له .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥/١٤ .

ويقومه من الانحراف، وهو أعلم بمن خلق.(١)

لهذا جاء الإسلام مصدقا لما اقتضته الفطرة السليمة، ولم يزد في الاستدلال شيئا سوى أن أيقظ العقول ونبهها إلى النظر في آثار الله تعالى".(٢)

سابعا : اعتقاد كرامة الإنسان

إن لدى المسلم اعتقادا بكرامة الإنسان أيا كان دينه أو جنسه أو لونه. قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم)(٣)، وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

ومن الأمثلة العملية ما رواه مسلم عن قيس بن سعد - رضي الله عنه - أن جنازة مرت على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقام لها واقفا، فقيل له: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال: أليست نفسا؟! قالوا: بلى.(٤)

فلكل نفس في الإسلام حرمة ومكان، فما أروع الموقف، وما أروع التفسير والتعليل!.(٥)

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب، ٢٧٦٧/٥ .

(٢) الدعوة الاسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية. د/ محيي الدين الألوائي ص٣١٦ .

(٣) سورة الاسراء، الآية ٧٠ .

(٤) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، ٢٩/٧ .

(٥) انظر: غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، ليوسف القرضاوي ص٤٩ .

ثامنا : أقوال الكافرين في محاسن الإسلام

قول يانوس عن مقارنته الأديان :

يقول يانوس (الوزير الفرنسي): "جاء الإسلام مخالفا لكثير من الأديان التي ضاعت حقيقتها، ولكنه جاء منزها عمّا لا يقبل من الخرافات والأباطيل. ومن عجيب أمره ... أنه كرم المسيح وعظمه، وإن خالف المسيحيين في تقرير أن المسيح بشر لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا بإذن الله.

والإسلام مكمل للإنسانية، لا غموض فيه، وهو يقرر الواحدانية، فسلم من التناقض والمعارضة العقلية.

الإسلام أمر بالمساواة والاشتغال بالعمل، وتنزه الإسلام عن الرهبانية. أما تأخر أهله، فناشىء من أنهم انحرفوا عن أصوله وقواعده، وتوجهوا لغير مراده". (١)

قول غوستاف لوبون عن تعاليم الإسلام وآدابه :

يقول غوستاف لوبون: إن التعاليم الأخلاقية التي جاء به القرآن هي صفوة الآداب العالمية، وخلاصة المبادىء الخلقية الكريمة، فقد حض على الصدق والإحسان والكرم والعفة والاعتدال، ودعا إلى الاستمساك بالميثاق والوعد، والوفاء بالذمة والعهود، وأمر بحب الجار، وصلة الرحم، وإيتاء ذي القربى، ورعي الأرامل، والقيام على اليتامى، ووصى في عدة مواضع من آياته أن تقابل السيئة بالحسنة - تلك هي الآداب السامية التي دعا إليها القرآن - وهي أسمى بكثير من آداب الانجيل. (٢)

---

(١) انظر: كتاب مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، ص٤٧، نقلا عنا يانوس .

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٤٩ .

قوله في تهذيبه للأمم :

ويقول أيضا "فما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب، فللدين أثر كبير في تهذيب الأمم وتربية مشاعرها ووجدانها، وترقية عواطفها".(١)

فهذه كلمات الحق خرجت من أفواه الكفر التي أنطقها الله بالصدق، فالإسلام قد اشتمل على خصائص موائمة لكل نفس سليمة، يجد الإنسان حاجته في هذا الإسلام، مما يجيب على التساؤلات التي تَعِنُّ له من داخله، ويقدم له الحلول للمشكلات التي تواجهه.

---

(١) انظر: كتاب مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، ص٥٢ .

المطلب الثاني : الصفات البارزة في الجيش الإسلامي

تمهيد :

لقد اجتمعت عدة صفات في الجيش الإسلامي، صارت - بفضل الله تعالى - سببا في قبول أهل هذه البلاد لما يدعو إليه هذا الجيش الفاتح، ولا غرابة في ذلك فقد تربى هذا الجيش في مدرسة واحدة، ونهلوا من معين فريد. وسأعرض هذه الصفات التي آتت أكلها - بفضل الله تعالى - فنتج مجتمع إسلامي من أعظم المجتمعات في ذلك الزمان.

أولا : القيادة الموفقة الذكية :

في مقدمة هذه الصفات، توفيق الله لهذه القيادة، ثم ذكاؤها، ومعرفتها بمعاملة الجيش المعترض في سبيل دعوتها، وإشعاع نورها.

فمن ذكاء هذه القيادة أن عملت على "وحدة القوات الإسلامية وتجانسها، وهذه ميزة ميزتهم عن أعدائهم واختصوا بها، فقد وحد الإيمان قلوبهم، فكانوا صفوفا متراصة، كثمرة من ثمار عقيدة الإسلام، فطبقوا قوله سبحانه وتعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)".(١)

ينطلقون من غاية واحدة، وفي طريق واحد، يرى فيهم عدوهم صدقهم وحسن نيتهم، فجاء الجيش الإسلامي، واحدا في صفه ووصفه، يضرب الأمثال للمجتمعات المتناحرة على الدنيا وزخارفها، فهو مخلص في خروجه، متجهز للدار الآخرة، يدعو عدوه للنجاة والسعادة، والتخلي عن الكفر والفجور.

---

(١) سورة الصف، الآية ٤ .

والنص من كتاب: تاريخ الدعوة الاسلامية، لجميل المصري ، ص٢٧٨ .

ثانيا : احترام الجند وتطهيرهم من المعاصي :

وكما حفظت القيادة الجندي في أهله قامت بحفظه في نفسه، فقد أوصى الخليفة أبو بكر يزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنهم - بقوله: "إذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك، ولا تغضب على قومك ولا على اصحابك، وشاورهم في الأمر، واستعمل العدل، وباعد عنك الظلم والجور، فانه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم .... واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا، ولا تعقروا بهيمة المأكول، ولا تغدروا إذا عاهدتم، ولا تنقضوا إذا صالحتم".(١)

فهذه التعليمات تجعل وحدة الجيش تستمر أمام عدوه، فلا يثقل عليهم بالسير، ولا ينفرد عنهم، بل حتى عدوه يجب أن يتق الله فيه، فليست الغاية قتل الأنفس وسلب الأموال، بل هو إنارة هذا المجتمع لا إبادته.

كما حرصت القيادة أن يظهر الجيش الإسلامي بأكمل صورة حتى تكون سيرته داعية قبل مسيرته، وحتى لاتكون المعاصي عونا لأعدائهم، فهم يعلمون أن المعاصي تهلك الجيش، وتسبب هزيمته، فقد وعظ عمرو بن العاص - رضي الله عنه - الجند، وحذرهم من المعاصي، فقال: "يا أيها الناس غضوا أبصاركم، واجشوا على الركب، وأشرعوا الرماح".(٢)

وعند مجيء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى بيت المقدس، ثم رحيله

---

(١) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص١٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٣/٧، والمصنف لابن أبي شيبة ٣٨٣/١٢، والمصنف لعبدالرزاق الصنعاني ص١٩٩/٥، ٢٠٠ .

(٢) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢١٩، الطريق ص٤٧٢، ٤٧٣ .

إلى إيلياء استقبله الناس وفرسان المسلمين عليهم الديباج، فأنزلهم عن دوابهم، وحثاهم بالتراب، ومزق الديباج عليهم، وحذر الناس من الخيل الهماليج؛ لأنها تغير نفس المسلم فيحل العجب محل التواضع الذي عرف به المسلم.(١)

وقام في الناس خطيبا، فقال: "يا أهل الإسلام، إن الله قد صدقكم الوعد ... وإياكم والعمل بالمعاصي، فإن العمل بالمعاصي كفر بالنعم، وقَلَّ ما كفر قوم بما أنعم الله عليهم، ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم، وسلط عليهم عدوهم".(٢)

وحفاظا على جسد الجيش من الأمراض أرسل أبو بكر لخالد بن سعيد بن العاص - رضي الله عنهما - بأن لا يقبل الاشتراك في المعارك من مرتد(٣)، فهو يعلم أن من ارتد أو اتصف ببعض المعاصي يفسد سمعة الجيش، بل يفسد كثيرا من الجنود الذين ذهبوا سفراء عن الإسلام، ليبلغوه الناس.

ثالثا : ثقة الجنود بالقيادة :

لقد جاءت ثقة الجنود التامة بقيادتهم ثمرة لوجود هذه القيادة الحكيمة، فأصبحوا يطيعون القائد مهما كان طلبه شاقا متعبا، ولكن بشرط أن يكون موافقا لشرع الله تعالى؛ فهم يعلمون أن القائد المسلم يعامل الجنود وكأنهم أفضل منه، ولكنهم لايخرجون عن أمره.

---

(١) انظر: كتاب الفتوح للكوفي ص٢٩٥، وتاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢٥٣ .

(٢) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢٥٦ .

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٣٨٨/٣ .

وكـــمـا حصل لجنـود خالد - رضي الله عنـه - حيـنـمـا استـشارهم في قـطع مـفازة المـــوت فـقـالوا جمـيـعا: أنـت رجل قـد جمـع الله لك الخيـر، فشأنـك. فوافقيـوه ونـووا جميعا، وعبروا المفازة.(١)

رابعا : وجود فضلاء الصحابة وأثره على الجيش :

لقـــد كـــان لوجـود فـضلاء الصحابـة - على رؤوس الجنـد - أثـره الذي جعل الجيـش بـــهـذه الصـورة، فـقـد: "كـان القـاضي أبـو(٢) الدرداء، وكـان القـاص أبـو سفيـان بـن حـرب، وكـــان عـلى الطـلائـع قـــبـــاث بـــن أشيـم، وكـان على الأقـبـاض عبـدالله بـن مـسعود"(٣)، ويـكـفي دليـلا على صلاح الجنـد أنـه "قـد شهد اليـرموك ألف رجل من أصحاب رسـول الله - صـلى الله عليـه وسلم - فيـهم نـحو مـائة مـن أصحاب بـدر.(٤)، [أي ثـلث أصحاب بدر تقريبا].

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٤٠٩/٣، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣٠/١.

(٢) هكذا في الكتاب، وكذلك "أبو سفيان"، والقياس: أبا الدرداء.

وقـــد جـاء فـي أوضـح المـسالك أن العلم يـنـقـسم الى ثـلاثـة أقـسام، مـركـب اسـنـادي، ومـركـب مـزجي، ومـركـب اضافي، وهو الغالب، "وهو: كـل اسمـيـن نـزل ثـانـيـهمـا مـنـزل التـنـويـن مـمـا قـبله، كـ(عبدالله)، و(أبي قحافة)، وحكمه أن يـــجـرى الأول بـــحـسب العـوامـــل الثـلاثـة، رفعا ونـصبـا وجرا، ويـجر الثـانـي بالاضافة". أوضح المسالك لابن هشام ١٢٦/١ .

وقـد نـجري هذا على جواز تـقـدم خبـر كـان على اسمـها، اذ لم يـجب تقدم الاسم ولا التوسط، فجاز التوسط. انظر: أوضح المسالك ٢٤٢/١ الحاشية .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، للطبري ٣٩٧/٣ .

(٤) المصدر السابق، ٣٩٧/٣ .

وقد كان الأمراء يومئذ أربعة: أبا عبيدة، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، ... وعلى الميمنة معاذ.(١)

خامسا : الأخوّة :

وقد ضرب هؤلاء الصحابة أروع الأمثلة في الأخوّة بين أفراد الجيش، فقد أورد الحافظ ابن كثير - رحمه الله - قصة فريدة، تبيّن مقدار التفاهم والإيثار بين المسلمين. فحينما قاتل المسلمون كان من بينهم جماعة "لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء، فجيء إليهم بشربة ماء، فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعا، ولم يشربها أحد منهم رضي الله عنهم".(٢)

فهذا الموقف وأمثاله جعلت أعداء الإسلام يعلنون أن الأخوّة الإسلامية أخوّة فريدة قادت المسلمين إلى النصر والعز، وجعلتهم قدوة لغيرهم، فـ"كان المثل الأعلى الذي يهدف إلى أخوة المؤمنين كافة في الإسلام من العوامل القوية التي جذبت الناس بقوة نحو هذه العقيدة.

ومع أن اعتداد العرب بنسبهم قد عمل مدة أجيال كثيرة على ألا ينال المسلمون المحدثون تلك المزايا التي يتمتع بها الجنس الحاكم، فإنهم قد حصلوا على مكانة مرموقة في المجتمع، وهم لايزالون موالي للقبائل العربية المختلفة، التي كانوا قد تعودوا بادىء الأمر أن ينضووا تحت لوائها، وفي

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٨/٧ .

(٢) المصدر السابق ١٢/٧ .

نهاية القرن الهجري الأول حققوا لهذا المثل الأعلى مكانه الصادق من العقيدة الإسلامية، كما حققوا له في الدولة اعترافا نظريا على أقل تقدير".(١)

سادسا : اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء :

لقد تعود المسلمون إذا حزبهم أمر أن يلجأوا إلى الله تعالى إذعانا منهم لقوله: (ادعوا ربكم تضرعا وخفية)(٢)، وعلما منهم أن النصر من الله لامن تدبيرهم وذكائهم، وامتثالا لقوله: (واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)(٣)، فهم "يطلبون إجابة الله سبحانه لدعائهم باستجابتهم له".(٤)

أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: فليستجيبوا لي، أي: فليطيعوا لي.(٥)

فقد استجابوا له، وهجروا المعاصي، وجاهدوا في سبيله، فحري أن يستجاب لهم إذا دعوا، ولذا كان أبو بكر - رضي الله عنه - "يدعو في كل غدوة وعشية، في دبر صلاة الغداة وبعد العصر، يقول: اللهم خلقتنا ولم نك شيئا، ثم بعثت إلينا رسولا، رحمة منك لنا وفضلا منك علينا ... وقويتنا وكنا ضعافا، ثم فرضت علينا الجهاد، وأمرتنا بقتال المشركين، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، أو

---

(١) الدعوة الى الاسلام، لتوماس آرنولد، ص٩٤ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٥ .

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٦ .

(٤) فتح القدير، للشوكاني ١٨٥/١ .

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٩٣/٢ .

يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، اللهم إنا نطلب رضاك، ونجاهد أعداك، من عدل بك وعبد معك إلها غيرك ... اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين". (١)

وكان أبو سفيان - رضي الله عنه - يقف على الكراديس في معركة اليرموك، ويحثهم، ثم يدعو ويقول: "اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك". (٢)

كما كان معاذ بن جبل - رضي الله عنه - يدعو قبل معركة اليرموك، ويقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، وأرضنا بالقضاء". (٣)

فنخلص من هذا أن الجيش لا يعتمد على قوته وجبروته وسمعته، كما يفعل الجيش المنتصر غالبا، بل يعتمد على خالقه ومسيّره ومسدده، فيلجأ إليه في الشدة كما لا ينساه في الرخاء.

سابعا : الإخلاص :

إن من أهم عوامل انتصارات المسلمين السريعة الإخلاص، الذي هو "روح هذا الوجود، وسر هذا العالم، فإن حل في أمر من الأمور حلت فيه الحياة، ودبت فيه الحركة، فكان شيئا نافعا مباركا في هذا الوجود". (٤)

---

(١) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص١٣ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٩/٧ .

(٣) المصدر السابق ٩/٧ .

(٤) مرشد الدعاة، لمحمد الخطيب ص٢٠٤ .

وسبب هذا الإخلاص "قوة العقيدة في نفس الجندي المسلم، وتمتعه بمعنوية عالية، فقد كان يخوض المعامع وقلبه متأثر بأمرين:

الأول : ثقته بأن العاقبة له في الدنيا كما قرأه في الكتاب الكريم، وما سمعه من الرسول - صلى الله عليه وسلم - من التبشير بهذه الفتوح العظيمة، وهذه الثقة في قلبه بمنزلة مدد من الله يؤيده".(١)

وانطلاقا من معرفة عمر - رضي الله عنه - بأهمية الإخلاص وأنه لا نصر إلا بتحققه، فقد أرسل كتابه إلى أبي عبيدة - رضي الله عنه - وأمره أن يقرأه على الناس. وقال لعبدالله بن قرط الذي حمل الكتاب: "إذا قدمت على المسلمين فسر في صفوفهم، وقف على أهل كل راية منهم، وأخبرهم أنك رسولي إليهم، وقل لهم: عمر يقرئكم السلام، ويقول لكم: يا أهل الإسلام اصدقوا اللقاء، وشدوا عليهم شد الليوث، واضربوا هامتهم بالسيوف، وليكونوا أهون عليكم من الذر، فانا قد كنا علمنا أنكم منصورون، فلا تهولنكم كثرة عدوكم، ولا تستوحشوا لمن لم يلحق بكم منكم".(٢)

وهذه الثقة هي التي جعلت خالد بن الوليد - رضي الله عنه - يقول لأهل قنسرين: "إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم، أو لأنزلكم إلينا"(٣)، ويقول لأهل تدمر: "لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم بإذن الله عز وجل، وأظهرنا

---

(١) تاريخ الدعوة الاسلامية، لجميل المصري، ص٢٧٦ .

(٢) تاريخ فتوح الشام للأزدي، ١٨٤، والطريق الى دمشق، لأحمد عادل كمال ص٤٢٧.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٥٣/٧، الخلفاء الراشدون، أبو زيد شلبي ص١٣٤.

عليكم".(١)

الثـــانـــي : "أن هذا الجنـدي المـسلم واثـق بـالعاقبـة في الأخرى، فهو إن قـتـل كـان شهيـدا ... وإن ظفر كـان ذلك خيـرا، فهو يـرجو إحدى الحسنـيـيـن"(٢)، وقـد تمثل هذا الإخلاص وقوة العقيدة في الخطب والمواقف التي قدمها الجيش قادة وجندا.

١ - الإخلاص في الخطب :

قـــام خـالد بـن الوليـد - رضي الله عنـه - يـخطب في الجنـد "فحمـد الله وأثـنـى عـليـــه، وقـال: إن هذا يـوم مـن أيـام الله، لا يـنـبـغي فيـه الفخر ولا البـغي، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده".(٣)

كـمـا قـال مـعاذ بـن جبـل رضي الله عنـه: "يـا أهل القـرآن، ومـتـحفظي الكتاب، وأنـــصار الهدى والحق، إن رحمـة الله لا تـنـال وجنـتـه لاتـدخل بـالأمـانـي، ولا يـؤتـي الله المـــغـفـرة والرحـمـــة الواسـعـة إلا الصـادق المـــصـدق. ألم تـــسمـعوا لقـول الله: (وعـد الله الذيـــن آمـــنـــوا مـــنـــكـم وعمـلوا الصالحات ليـستـخلفـنـهم في الأرض كـمـا استـخلف الذيـن مـن قـبـلهم)(٤) فاستـحيـوا - رحمـكـم الله - مـن ربـكم أن يراكم فرارا من عدوكم، وأنتم في قبضته، وليس بكم ملتحد من دونه، ولا عز بغيره".(٥)

وقـال أبـو سفيـان رضي الله عنـه: "ولا يـنـجيـنـكـم مـن هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم

---

(١) كتاب الفتوح، لأحمد الكوفي ص١٤١ .

(٢) تاريخ الدعوة الاسلامية، لجميل المصري ص٢٧٧ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣٩٥/٣ .

(٤) سورة النور، الآية ٥٥ .

(٥) البداية والنهاية لابن كثير، ٩،٨/٧ .

رضوان الله غدا إلا بصدق اللقاء، والصبر في المواطن المكروهة". (١)

وهذا أبو هريرة - رضي الله عنه - يذكرهم بالغنيمة الحقة، غنيمة الآخرة بقوله: "سارعوا إلى الحور العين، جوار ربكم عز وجل في جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم". (٢)

وهذا أبو عبيدة - رضي الله عنه - يقول: "كونوا عباد الله، أولياء الله، وارغبوا فيما عند الله أشد من رغبتكم في الدنيا ... وأقدموا إقدام من يريد باقدامه ثواب الله، ولا يكون من لقيكم من عدوكم أصبر على باطلهم منكم على حقكم". (٣)

فهذه أمثلة ونماذج من الخطب التي تلقى في كل مواطن الجند، وقبل كل لقاء، حتى يدخل الجندي المعركة بقلب راغب سليم، ويضرب المثل لعدوه أنه ما خرج للدنيا ومتاعها، وإنما خرج للفوز بالغنيمة العظيمة غينمة الآخرة.

ب - الإخلاص في المواقف :

إن مواقف الصحابة التي يتبين فيها الإخلاص كثيرة جدا، سواء أكانت من الرجال أم من النساء أم من الأطفال، ولكن سأستشهد على كل صنف بمثال واحد يبين هذه الصفة فيهم.

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير ٩/٧.

(٢) المصدر السابق ٩/٧ .

(٣) تاريخ فتوح الشام للأزدي، ١٣٤، ١٣٥ .

فأما أمثلة الإخلاص والتضحية من الرجال فهي كثيرة جدا، فما خرج الدعاة المخلصون إلا لإحدى الحسنيين، وقد تقدمت أمثلة هذا.(١)

وأما النساء ففي معركة اليرموك وقفت لبنى بنت جرير الحميرية(٢)، فنادت النساء: يابنا العربيات ! دونكن والرجال، فاحملن أولادكن على أيديكن، واستقبلنهم بالصياح والتحريض، فأقبلت النساء يرمين الدواب بالحجارة.

ومن الغلمان غلام(٣) أزدي كان أول من فتح باب الحرب يوم اليرموك، قال لأبي عبيدة: أيها الأمير، اني أردت أن أشفي قلبي، وأجاهد عدوي وعدو الإسلام، وأبذل نفسي في سبيل الله تعالى، لعلي أرزق الشهادة، فهل تأذن لي في ذلك؟ فأذن له، ثم دفع الغلام جواده، وحمل يريد الحرب، فخرج إليه علج من الروم قام من الرجال على فرس أشهب، فلما رآه الغلام قصد نحوه، وقد احتبس نفسه في سبيل الله، فقتل العلج وثلاثة معه، ثم قتله الخامس، فغضبت الأزد، ودنت من صفوف الروم فنشبت الحرب.(٤)

فخروج هذا الغلام أمام جيش الروم يلقنهم درسا عظيما، هو أن هذا الجيش صغيره وكبيره يبذل نفسه في سبيل عقيدته لعلمه بالفوز.

---

(١) انظر التضحية ص ٦٠ .

(٢) لم أعثر على ترجمتها .

(٣) جاء في ترتيب القاموس المحيط،٤١٣/٣ الطاهر أحمد الزاوي : "والغلام: الطار الشارب، والكهل ضد، أو من حين يولد الى أن يشب".

(٤) انظر: الفتوح للكوفي ص٢٥٧،٢٥٨، واليرموك بقيادة خالد بن الوليد، لشوقي أبو خليل ص٥٨-٦٠ .

فهذه نماذج من المواقف البطولية مما جرى في الجيش، مما لايتسع المجال لذكره، لكثرة تشابهها؛ لأن هدفهم واحد، ومعلمهم واحد، ولذا جاء اقدامهم متشابها.

ثامنا : الشجاعة :

لقد جاءت الشجاعة نتيجة للثقة التامة بالعاقبة التي يعلمها المسلم، فنجد الرجل الواحد يقدم على الروم جيمعهم ليفتح باب السور وحده(١)، ولا يولي المسلم دبره للعدو، حتى ولو خسر نفسه، (الا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة)(٢)، فيقدمون على القتال، وهم "يحبون الموت حب عدوهم الحياة، ويرجون من الله في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم، الرجل منهم عند الفتح خير من ألف رجل من المشركين".(٣)

وهذه الشجاعة النادرة لابد أن تتوفر في الداعية، لأنه " لايستطيع أن يبلّغ رسالته إلا إذا كانت له هذه الصفة الكريمة، فما أشد حاجته إليها، وما أشد التصاقها به .. ولن يكون الداعية شجاعا إلا اذا تيقن أن الأرواح والأرزاق بيد الله".(٤)

وإذا وجدت هذه الصفة فلا أثر لكثرة العدو في النصر، وهذا ما ذكره عمرو

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٠٤/٣ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ١٦ .

(٣) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي، ص٣١ .

(٤) مرشد الدعاة لمحمد الخطيب ص٢٠٨ .

ابن العاص - رضي الله عنه - للجند بقوله: "ثبوا إليهم وثبة الأسد، فوالذي يرضى الصدق، ويثيب عليه، ويمقت الكذب، ويجزي بالإحسان إحسانا، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفرا كفرا، وقصرا قصرا، فلا يهولنكم جموعهم، ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل". (١)

وحينما قال رجل لخالد رضي الله عنه: "ما أكثر الروم، وأقل المسلمين! قال خالد رضي الله عنه: ما أقل الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان؛ لا بعدد الرجال". (٢)

وهذا ما ذكره الله تعالى بقوله: (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين". (٣)

وهذه الآية نزلت في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم(٤)، وتكون هذه الصفة لمن اتصف بصفتهم.

وهذه الشجاعة فتحت أعين الروميين على هذا الجيش، لماذا ينتصر وهو الأقل عدة وعددا؟ فتردد السؤال بينهم حتى سألهم هرقل - كما سيأتي - وفتشوا في هذا الجيش، وفي أنفسهم فوجدوا الجواب، فصارت هذه الصفات سببا في معرفة أهل هذه البلاد لهذه الدعوة .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٩/٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٣٩٧/٣، ٣٩٨ .

(٣) سورة الأنفال، الآية ٦٥ .

(٤) انظر: مختصر تفسير ابن كثير لمحمد بن علي الصابوني ١١٧/٢ .

تاسعا : نصرهم بالرعب :

عدّد النبي - صلى الله عليه وسلم - خصائصه، فقال منها: "ونصرت بالرعب"(١)، فهذه خاصة له ولأمته باحتمال(٢)، إذ أننا إذا نظرنا إلى باقي الخصائص كجعل الأرض مسجدا وطهورا، وإحلال الغنائم، نجد أنها عامة له ولأمته.

وهذا ما نلمسه في هذه الحادثة من نصرهم بالرعب، فحينما انتصر المسلمون على الفرس، وشاعت أخبارهم بين الأقطار المجاورة توجهوا إلى الشام، فأفزع ذلك الروم، وخافوا خوفا شديدا، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر ... فلما انتهى إليه الأمر قال لهم: أرى من الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم، وأن تصالحوهم، فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام، وتأخذوا نصفا، وتقر لكم جبال الروم، خير لكم من أن يبلغوكم على الشام، ويشاركوكم في جبال الروم". (٣)

سبحان الله! ما الذي جعل ملك الروم يخاف هؤلاء الذي يعبر عنهم الروم بقولهم: "كيف تستطيع حفنة من البدو شبه العراة قهر امبراطورية عجزت امبراطوية كسرى العظيمة النيل منها، وركعت أمامها في الحروب الأخيرة القريبة"؟(٤)، ما هو إلا أمر قد وضعه الله لهذه الحفنة المباركة في قلوب هؤلاء الكفرة المتجبرين.

---

(١) رواه البخاري، ٣٤٧/١، كتاب التيمم .

(٢) فتح الباري، لابن حجر ٣٧٠/١، كتاب التيمم .

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري، ٤٠٢/٣ .

(٤) حروب الاسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين، لأحمد باشميل ص٣٧ .

وقد كتب أبو بكر - رضي الله عنه - إلى يزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنه - كتابا ذكر فيه الرعب، فقال: "أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحويل ملك الروم إلى أنطاكية، وألقى الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين، فإن الله - وله الحمد - قد نصرنا بالرعب، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمدنا بملائكته الكرام، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله به وبالرعب هو هذا الدين الذي تدعو الناس إليه اليوم، فوربك لايجعل الله المسلمين كالمجرمين". (١)

فلما شاع أمرهم، وخاف الناس منهم أرسل الروم ليعرفوا هذا الجيش من داخله، وسألوا علماءهم ليهتدوا إلى أسباب نصرهم، فجاءت الأخبار إليهم بصفات هذا الجيش كما سيأتي في الفقرة التالية.

عاشرا: الصفات التي شهد بها الأعداء :

ومن أهم العوامل التي ساعدت على نشر الدعوة هي تلك الدعاية الحسنة التي ترددت بين الروميين من عقلائهم ومشايخهم وقسيسيهم، فهذه الدعاية جعلت أرضية طيبة لأصحاب الدعوة الذين يتصفون بهذه الصفات، وبالتالي للدعوة نفسها، فكثير ما يرجع العيون الذين يرسلهم هرقل وأمراؤه إليهم، فيصفون الجيش الإسلامي صفات تزلزل كيان الحكم الرومي قبل أن يروا هذا الجيش بأعينهم، فقد "بعث القبقلار رجلا عربيا ... فقال: ادخل في هؤلاء القوم، فأقم فيهم يوما وليلة، ثم ائتني بخبرهم، قال: فدخل في الناس، رجل عربي لا يُنكَر؛ فأقام فيهم يوما وليلة، ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان، وبالنهار فرسان،ولو

---

(١) تاريخ فتوح الشام للأزدي، ص٣١، ٣٢ .

سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رجم، لإقامة الحق فيهم، فقال القبقلار: لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيني وبينهم، فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي".(١)

ولما سأل هرقل أحد الأسرى الذين أطلقهم المسلمون عن وصف هؤلاء الدعاة، قال الرومي: "أحدثك كأنك تنظر اليهم، فرسان بالنهار، ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه، فقال: لئن صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين".(٢)

ولما رأى الدينجار - كبير قادة الروم - أن المسلمين قد وصلوا اليه في معركة اليرموك، قال: "الفوني في الثياب، فلف في الثياب، وقال: وددت أن الله كان عافاني من حرب هؤلاء القوم فلم أرهم ولم يرون، ولم أنصر عليهم ولم ينتصروا علي، وهذا يوم شر، ولم يقاتل حتى غشيه القوم فقتلوه".(٣)

وحينما أرسل بطريق دمشق رجلين، ليتجسسا على المسلمين، فجاء أحدهما يقول له: "جئتك من عند رجال دقاق، يركبون خيولا عتاقا. أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويثقفون القنا، لو حدثت جليسك حديثا ما فهمه عنك، لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر، قال: فالتفت إلى أصحابه، وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به".(٤)

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤١٨/٣، وورد نحوه في تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣٥/١ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦٠٢/٣ .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦١/١ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١٦/٧، وجاء نحوه في تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣٦/١ .

لهذا، ولوجود هذه الصفات في الجيش الإسلامي، انتصروا - بفضل الله تعالى - وانتشر الإسلام في هذه البلاد حتى أصبح أهل هذه البلاد أنفسهم عامتهم وخاصتهم يثنون على الجيش الفاتح الغالب، على عكس ما عرفت البشرية من أن الجيش الغالب ممقوت من أهل البلاد، ولكن هذه الصفات أكسبت المسلمين حبهم، حتى أن رجلا من تنوخ قال: كنت نصرانيا، فأقبلت مع الروم، "فجعلنا لا نمر بأحد من أهل البلد إلا وجدناهم أحسن شيء ثناء على العرب، في كل شيء من أمرهم، وفي سيرتهم". (١)

ولذا "ظهر نجاح المسلمين دليلا على صدق دينهم". (٢)

وهذا ما شهد به عدو الاسلام توماس آرنولد، إذ أنطقه الحق الأبلج، ولو ظهرت هذه الصفات في الجيوش الإسلامية المعاصرة لما آل العالم الإسلامي إلى ما آل إليه الآن من انتهاك المقدسات، وهتك الأمهات والأخوات في دورهن، والله المستعان .

---

(١) تاريخ فتوح الشام للأزدي ١٦٦ .

(٢) الدعوة الى الاسلام، لتوماس آرنولد ص٩٤ .

المطلب الثالث : الصفات البارزة في الجيش الرومي

تقدم في المبحث السابق الصفات التي جعلت أهل البلاد يرحبون بالجيش الإسلامي، وفي هذا المبحث نذكر عاملا من عوامل انتشار الدعوة الإسلامية هناك، وهو الصفات التي وجدت في الجيش الرومي نفسه، والتي جعلت أهل البلاد يكرهون هذا الجيش ومبادئه، ويرحبون بالجيش العادل الجديد، ومن أهم هذه الصفات :

أولا : الضياع بالأهداف والغايات، والخلاف إثر ذلك :

إن أي جيش يقاتل بأهداف شتى، وغايات متناثرة لابد أن يدب الخلاف في جنباته وجبهاته، ولن يستطيع صد جيش واحد في عقيدته وهدفه وغايته، إذ كل فرد من هذا الجيش الواحد يعمل بإخلاصه كأن الملك يراه، ولذا صار في الجيش الإسلامي رجال، الواحد منهم بأمة على عكس الجيش الرومي الذي ما إن يرى الرجل فيه الفزع حتى يسلم كل ما لديه، ويتخلى عن أهم شيء في جيشه لعدوه، وإن كان أحد القادة.

يقول الاستاد شكري فيصل، عن اختلاف البواعث والأغراض: إن الإسلام لقي مقاومة العرب، كما لقي مقاومة النصارى، ولعله أن يكون قد وجد منفذا لحيويته وصلاحيته من خلال اختلافهم وتباينهم. فالحقيقة تكمن في أنه كان في حركة الإسلام دعوة، وكان يتنفس بروح معنوية رفيعة، على حين لم يكن لدى القوى التي واجهته مجتمعة مثل هذه الروح، فالروم يوقنون أن الأرض لم تكن أرضهم، والعرب يظنون أن المهاجرين سيقاسمونهم نعمة العيش، فإذا جدّ الجدّ فسيلتقون معهم بحبل من قرابتهم لهم، والنصارى بين أن يكونوا عربا أو روما ضاعت حماستهم الدينية في ثنايا هذه الأغراض الملتوية الأخرى ...

ولذلك لم يكن عجبا أن يؤول الأمر إلى ما آل إليه.(١)

كما يعزو المستشرق اجليابييف أسباب الهزيمة إلى الاختلاف، فيقول: "وكان من أسباب هزيمة الروم ما وقع من شقاق بين البيزنطيين والأرمن".(٢)

ولا غرابة أن يوجد الشقاق بين هذا الجيش ويهزم إذا كان خاويا من العقيدة، فقد "استمرت الحروب دائرة بين الفرس والروم أربعمائة سنة، وكانت حروب أطماع ودنيا، ولكن البدو بسلاح العقيدة فَلّ سلاحهم كل سلاح، وتهاوت جيوش الفرس والروم تحت أقدامهم".(٣)

لذا قال هرقل بعد أن عرف هذا الجيش تمام المعرفة: "أرى من الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم، وأن تصالحوهم، فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام، وتأخذوا نصفا، وسقر لكم جبال الروم خير لكم من أن يبلغوكم على الشام، ويشاركوكم في جبال الروم".(٤)

فقد كان هرقل "أكثرهم تقديرا لخطر المسلمين على ملكه ودولته، وكان أكثرهم ذعرا وخوفا، حتى إنه رحل عن فلسطين لا إلى دمشق، ولا إلى حمص، ولكن إلى أنطاكية".(٥)

---

(١) انظر: حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول، لشكري فيصل ص٥٤، ٥٥ .

(٢) العرب والاسلام والخلافة العربية، تأليف ي - أ - بلياييف، ١٧٩ .

(٣) موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، لأحمد شلبي ص٢٨٧ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٠٢/٣ .

(٥) الطريق الى دمشق، لأحمد عادل كمال ص٢٠٨ .

ولما لم يستطع هرقل إقناع بطارقة الروم - قبل خروجه - بالتسليم للمسلمين - الحفنة من البدو حسب تعبيرهم - أبلغ من يظنهم عقلاء متزنين مثقفين أن حرب المسلمين تختلف عن حربهم مع الفرس، فالفرس مثل الرومان تماما، يحاربون من أجل الأرض، فلا عقيدة، ولا دين مكين يدفعهم للقتال، وإنما هو التوسع لإضافة أرض جديدة لحساب تاج بيزنطا. فهم يحاربون بروح استعمارية هدفها استغلال الأراضي التي يستولون عليها فيتمتعون بخيراتها، مثل الشام وأرمينيا ومصر وافريقيا.

أما المسلمون فهم في حربهم ينطلقون من مفهوم آخر، وهو أنهم يحملون عقيدة كلفوا بإشهار السلاح في وجه من يحاول حرمانها حرية الانطلاق بين شعوب الأرض، ولهذا فان النصر سيكون حليفهم .

هكذا كان فهم الامبراطور هرقل لأبعاد رسالة الإسلام، وهكذا حاول اقناعهم، فإذا لم يرق لهم قبول الإسلام كدين يحل محل المسيحية المحرفة، فلا أقل من أن يتحاشوا الصدام مع حملة لواء هذا الدين الجديد، لأن النتيجة معروفة سلفا لديه.(١)

وهكذا رأينا ضياع الأهداف والغايات بين القادة الروميين، فمنهم من يخاف على أرضه وملكه، فهو يقصد الإنتقام للأرض والمال، ومنهم من له أغراض ملتوية، ولا يجمعهم هدف واحد، وما ذاك إلا لغياب العقيدة في نفوسهم.

أما أصحاب العقيدة فهم يعملون، ويعلمون أن جهد واحد منهم لن يضيع، لأن الله يرى صدقه، ولن يَترهُ عمله .

---

(١) انظر: حروب الاسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين، لمحمد باشميل ص٣٨.

ثانيـــا : ظلم الجيـــش للشعب :

لمـــا أقـبـلت الروم جعلوا يُـفسدون في الأرض، ويـسيـئون السيـرة، ويـعصون أمـيـرهم حتـى ضج النـاس مـنـهم وشكـاهم أهل القـرى، ولا تـزال جمـاعة مـن أهل الذمـة يـجيـئون إلى ملكهم ومعه الجارية قد افتضت، وجماعة يشكون أنهم خربوا أو سلبوا.(١)

ونـزل بـطريـق على بـيـت رجل مـن أهل الذمـة، وكـان عظيما من عظمائهم وأشدائهم، فوقـع على امـرأة الذمـي فنـكـحها، فجاء زوجها ليـمـنـعه، فقـتـله، فخرج أخوه فاستعدى عـليـه أمـيـرهم الأعظم مـاهان، وأخبـره خبـره، فدعاه مـاهان، وقـال: الحق أن أقـتـلك بـه، وأن أمـنـع نـساءهم مـن أشبـاهك، فمـنـعه كـثـيـر من سفهاء الروم وشرارهم من أهل وزارته.(٢)

كما "كان المسيحيون يعانون المتاعب من حكم الروم".(٣)

وأختم الكلام عن سوء معاملتهم لهم بهذه الحادثة:

دخل رجل رومـي على مـاهان، فقـال: أيـها المـلك، عشت الدهر، إنـي امـرؤ مـن أهل البـلد، مـن أهل الذمـة، وكـانـت لي غنـم، أظنـها مـائة شاة أو تـنـقـص قـلـيـلا، وكـان فيـها إبـن لي يـرعاها، فمـرّ بـها عظيـم مـن عظمـاء أصحابـك، فضرب خبـاءه إلى جنبها، ثـم أخذ حاجتـه مـنـها، ثـم أنـهب بـقـيـتـها أصحابـه، فجاءتـه امـرأتي وابنتي، فشكت إليـه انـتـهاب أصحابـه غنـمـي، وقـالت: أمـا مـا أخذت لنـفسك فهو لك، وأمـا مـا أخذ أصحابك فابعث إليهم فليردوا علينا غنمنا.

---

(١) انـظر: تـاريـخ فتـوح الشام للأزدي ص١٧٥، والطريـق الى دمـشق لأحمـد عادل كـمـال ص٤٣٦ .

(٢) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢١٦ .

(٣) موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية لأحمد شلبي ص٤٠٤ .

فلما رآها أمر بها، فأدخلت بناءه، فطال مكثها عنده، فلما رأى ذلك ابنها دنا من البناء، فطالع، فإذا هو بصاحبه ينكح أمه أو أخته، وهي تبكي، فصاح الغلام، فأمر به، فقتل.

فأخبروني بذلك، فأقبلت إلى إبني، فأمر ببعض أصحابه، فشدوا عليه بالسيف ليضربوني، فاتقيتهم بيدي فقطعوها.

فقال له ماهان : أفتعرفه ؟

قال : نعم .

قال : وأين هو ؟

قال : هو هذا العظيم من عظمائكم .

قال : فغضب ذلك العظيم، وغضب له الناس من أصحابه، وكان فيهم ذا شأن وشرف. فأقبل ناس من أصحابه أكثر من مائتي رجل، فشدوا على المستعدي، فضربوه بأسيافهم حتى مات، ثم رجعوا، وماهان ينظر ما صنعوا، فما زاد أن وعظهم، ثم تركهم في غيهم يعمهون.(١)

والنتيجة أنه لما خرج هرقل من الرها واستتبع أهلها، قالوا: نحن هاهنا خير منا معك، وأبوا أن يتبعوه.(٢)

ثالثا : الفجور :

لقد عمد الجيش الرومي إلى إبطال عقله في أيام الحرب، فشربوا الخمور،

---

(١) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي، ص١٧٦، ١٧٧ .

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦٠٢/٣ .

فصار سببا في فتح مدينة دمشق(١)، ومدينة الرقة.(٢)

رابعا : الجبن والغدر :

"لم يتمتع جند الروم بشجاعة العرب، ولا بإقدامهم في الحرب، فما من مرة التقى فيها الجيشان حتى كانت الهزيمة من نصيب جند الروم الذين كانوا يفرون ليحتموا وراء أسوارها المحصنة"(٣)، وما ذلك إلا لأنهم اعتقدوا أن الغنيمة في النصر، على عكس الجيش الإسلامي الذي يرى الغنيمة بالشهادة قبل النصر.

خامسا : صفة الجيش بلسانهم :

وأختم هذا الفصل بما جمعه عقلاء الروم من صفات الجيش الرومي، محذرين لجيشهم، فقد قام شيخ رومي، وقال لهرقل مجيبا لسؤاله: كيف يهزمكم هؤلاء؟ قال: نحن إذا حملنا عليهم نكذب، ونظلم الناس، وننقض العهد، ونشرب الخمر، ونركب الحرام، ونعمل بالمعاصي، ونفسد بالأرض، ونأمر بما يسخط الله عز وجل، وننهى عما يرضي الله عز وجل، فقال هرقل: لعمري يا شيخ ! وإنه لعلى ما تقول، وما

---

(١) سبق التعريف بها ص ٧ .

وانظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٣٩/٣، واتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص٩٧.

(٢) الرقة مدينة مشهورة على الفرات، أرسل اليهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنتم بين العراق والشام، وقد استولى عليها المسلمون، فما بقاؤكم مع هؤلاء، فصالحوا. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥٥/٣، ٥٦ .

وانظر: كتاب الفتوح للكوفي ٣٢٦/١ .

(٣) العرب والاسلام والخلافة العربية، تأليف : ي - أ - بلياييف ص١٧٧ .

صدقني أحد سواك.(١)

وقال ماهان: يا معشر أهل هذا الدين، هذا حجة الله عليكم عظيمة، إنه قد بعث إليكم رسولا، وأنزل عليكم كتابا، وكان رسولكم لا يريد الدنيا، وزهدكم فيها، وأمركم ألا ترغبوا فيها، ولا تظلموا أحدا، فإن الله لا يحب الظالمين، وأنتم الآن تظلمون، فما عذركم غدا عند الله، وقد تركتم أمره وأمر نبيكم؟ وما آتاكم به من كتاب ربكم، وهذا عدوكم قد نزل بكم.

وقال : للعجب كل العجب، كيف لا تهد الجبال وتتفجر البحار، وتزول الأرض، وترعد السماء لهذه الخطيئة(٢)، وأنا أنظر لأعمالكم العظام التي تعملونها، وأنا أرى وأسمع.(٣).

---

(١) انظر : كتاب الفتوح للكوفي، ٢١٩/١ .

(٢) يعني قتل الرجل الذمي صاحب الغنم .

(٣) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدي، ص١٧٦، ١٧٧ .

المطلب الرابـــع : الجهود الدعويـة الأخـــرى

انـتـقـال الدعـاة إلى بلاد الشام، وعملوا على نشر الدعوة بالوسائل والأساليب السابـقـة الذكـر، وقـد آتـت جهودهم - بـفضل الله تـعالى - أكـلها، وأثـمـرت أطيـب الثـمـر، وكـان هنـاك جهود أخرى قـام بـها الدعاة لنـشر دعوتـهم بـيـن الرومـيين، وهذه الجهود من الأسباب الرئيسية لنشر الدعوة.

أولا : تقديم الأنفس والأموال في سبيل الدعوة :

لمـا نـزل قـول الله تـعالى: (إن الله اشتـرى مـن المـؤمـنـيـن أنـفسهم وأمـوالهم بـأن لهم الجنـة يـقـاتـلون في سبـيـل الله فيـقـتـلون ويـقـتـلون وعدا عليـه حقا)(١)، لمـا نـزلت هذه الآيـة تـسابـق الدعاة إلى بـيـع نـفوسهم وأمـوالهم لله تـعالى، طمـعا بوعده لهم بأن لهم الجنة.

وكـان تـقـديـم الأنـفس والأمـوال مـن أهم الأسبـاب المـؤديـة لنـجاح الدعوة - بـعد تـوفيـق الله تـعالى - فكـمـا تـقـدم(٢) مـن تـقـديـم الأمـوال في جيـش العسرة، ومـن تجهيز الجيوش من تبرعات المسلمين.

وأمـا تـقـديـم الأنـفس فأمـثـلتـه كـثـيـرة، فما خرجت الآلاف إلا رجاء نيل الشهادة، والشهادة لا تأتي إلا بتقديم الأنفس.

وقـد تـقـدم بـعض المـواقـف كـمـوقـف قـبـابـة، وخولة، والغلام الأزدي رضي الله عنهم(٣)، وسأتعرض في هذا الفصل لبعض المواقف المماثلة.

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١١ .

(٢) انظر: ص ٩ .

(٣) انظر: ص ٦٠-١٧٣ .

فقد وقف قباث بن أشيم(١) في اليرموك يرتجز، ويقاتل الروم "فكسر في ذلك اليوم ثلاثة أرماح وقطع سيفين، وأخذ يقول: من يمين بسيف أو برمح في سبيل الله رجلا، قد حبس نفسه مع أولياء الله، وقد عاهد الله لا يفر ولا يبرح يقاتل المشركين حتى يظهر الله المسلمين أو يموت، وكان من أحسن الناس بلاء يومئذ". (٢)

وفي المعركة نفسها "أقبل يومئذ عمرو بن الطفيل(٣) بن عمرو، وهو يقول: يا معشر الأزد، لا يؤتين المسلمون من قبلكم، وأخذ يضرب بسيفه متقدما عليهم ... وقاتل قتالا شديدا، وقتل من أشدائهم تسعة، ثم قتل رحمه الله". (٤)

وفي المعركة كذلك وقف عكرمة بن أبي جهل - رضي الله عنه - وصاح بمبايعة الموت - التي لم تزل تطبق في المعارك الإسلامية إلى اليوم(٥) - وأخذ يقول: قاتلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كل موطن، وأفر منكم اليوم؟ من يبايع على الموت؟ فبايعة أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فاستبسلوا أمام فسطاط خالد بن الوليد حتى أصيبوا جميعا بجراح خطيرة. (٦)

---

(١) سبقت ترجمته، ص٦٠ .

(٢) تاريخ فتوح الشام للأزدي ص٢٢٨ .

(٣) عمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي، استشهد باليرموك. انظر: أسد الغابة ١١٥/٣، دار احياء التراث.

(٤) تاريخ فتوح الشام للأزدي، ص٢٢٤ .

(٥) في أفغانستان .

(٦) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٠١/٣، وأبو بكر، لهيكل ص٨٣، والطريق الى دمشق ص٤٨٦، وعكرمة بن أبي جهل، قائد الفرقة الانتحارية في اليرموك، لمحمد ابراهيم، ومحمد مصطفى سلام، ص٨٤،٨٥ .

وفي وقعة حمص، حاصرها الدعاة "وذلك في زمن البرد الشديد، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد، وصبر الصحابة صبرا عظيما، بحيث انه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع وقد سقطت رجله وهي في الخف، والصحابة ليس في أرجلهم شيء سوى النعال، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا إصبع أيضا". (١)

"لقد غاب عن فطنة الروم أن نبيا قضى ثلاثة وعشرين عاما يعد هؤلاء الناس لهذه الدعوة، وأن هذا الاعداد هو العدة التي كانت تنقص الروم، وتزخر بها جيوش المسلمين". (٢)

وقرأ ابن أبي طلحة قوله: (انفروا خفافا وثقالا) فقال: كهولا وشبابا، ما أرى الله عذر أحدا، فخرج مجاهدا. (٣)

ثانيا : نشر العلم بين المدعوين :

لقد عمل الدعاة على نشر تعاليم الدين وأسس الإيمان وقواعد العقيدة الصحيحة، فقد روى أبو عبيد صاحب كتاب الأموال أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خطب الناس بالجابية، فقال عمر: "أيها الناس من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله تبارك وتعالى جعلني له خازنا

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣/٥٩٩، ٦٠٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٥٢.

(٢) حركة الفتح الاسلامي، شكري فيصل ص٥١ .

(٣) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٥/٣٤١ .

وقاسما". (١)

وقد تقدم قول أبي مسلم الخولاني عندما دخل مسجد حمص، ووجد فيه معاذ بن جبل - رضي الله عنه - يعلم الناس .(٢)

وكان أبو الدرداء في مسجد دمشق يجتمع إليه الناس.(٣)

ثالثا : الهجـــرة :

"كان لانتصار الجيوش العربية على الروم في بلاد الشام وما تبع ذلك من فتح دمشق(٤) أكبر الأثر في إحياء الصلات القديمة التي كانت تربط بين العرب المقيمين في دمشق، والعرب الفاتحين ... كما أدى الاتصال الاجتماعي بينهما إلى تكوين مجتمع جديد في دمشق.

كان طبيعيا ألا يتخذ هذا المجتمع الجديد شكله النهائي في بضع سنوات، ذلك لأن العرب غادروا أرضهم إلى أرض جديدة، وواجهوا في دمشق أقواما يختلفون عنهم في اللغة والدين، والتقاليد".(٥)

وقد انتشر الإسلام بين عرب الشام الذين يقطنون في دمشق ونواحيها بعد أن توطدت العلاقات بينهم وبين العرب القادمين من الجزيرة العربية، وحين وفد عمر ابن الخطاب إلى الجابية سنة ١٨هـ، كانت لخم وجذام قد دخلت في الإسلام.(٦)

---

(١) كتاب الأموال، لابن سلام ص ٢٥٤، وكتاب مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لابن الجوزيص١٩٠ .

(٢) انظر: ص١٣٢ .

(٣) انظر: المصنف لابن أبي شيبة ٣٤٥/٥ .

(٤) سبق التعريف بها ص ٧ .

(٥) الحواضر الاسلامية الكبرى ، عصام الدين عبدالرزاق، ص٢٦ .

(٦) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، ٢٦٨/١ .

ومن القبائل التي اعتنقت الإسلام بعد الفتح العربي لمدينة دمشق، قبيلة غسان، وقبيلة بني كلب .(١)

رابعا : حسن الجوار :

إذا تتبعنا سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي يمثل الإسلام بأقواله وأفعاله، والداعية الأول، فاننا نجد تعامله مع أهل الكتاب وغيرهم من جيرانه أحسن تعامل، فهو - صلى الله عليه وسلم - يزورهم ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم .

فقد روى البخاري - رحمه الله - عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عاد يهوديا، وعرض عليه الإسلام فأسلم.(٢)

وقد سار الصحابة والتابعون على السماحة مع غير المسلمين في المدينة وخارجها، كما ساروا على نفس المنهج في دعوتهم لأهل الشام.

ويذكر الفقيه القرافي - رحمه الله - في معنى البرّ الوارد في قوله تعالى: (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم)(٣) فيقول:

"الرفق بضعيفهم، وسَدّ خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة. واحتمال أذايتهم في الجوار - مع القدرة على إزالته - لطفا منا بهم، والدعاء لهم

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٣٤/١، والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٠١/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٩٨/١٠، كتاب المرضى، باب عيادة المشرك، فتح الباري.

(٣) سورة الممتحنة، الآية ٨ .

بالهداية، وحفظ غيبتهم، إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم". (١)

كما يبيح الإسلام مؤاكلتهم، والأكل من ذبائحهم، والتزوج من نسائهم المحصنات العفيفات. (٢)

وقد كانت أخلاق المسلمين الاجتماعية والأخوية التي تربوا عليها في ظل الإسلام تجلب المحبة لهم، والائتلاف لهم، واتخاذهم قدوة، وان ذلك يجعل العقيدة تسري إلى نفوس المدعوين من قلوب محبة ومحبوبة، فما كانوا يشعرون بالغلب، فكانت هذه الأخلاق مقربة مدنية، وذلك فوق ما في الحقائق الإسلامية من معان تدركها العقول، وإن البراهين لا تدني إلى الإيمان وحدها، بل لابد أن يكون معها إلف وائتلاف.

فكان أمام غير المؤمن أو المسلم أمران يجذبانه إلى الإسلام، أولهما تآلف النفوس، وثانيهما براهين العقول، فيدخل الإيمان إلى قلبه من غير تردد ولا عوج. وإن المؤمنين كانوا متمسكين بأوامر النبي - صلى الله عليه وسلم - في الرفق بالناس .

وقد أوجد الفتح جوارا بين المسلمين وغيرهم، فكانت هذه المعاملة مع العلم بأن الإسلام دعا إليها في كتابه الكريم، إذ قرن الإحسان بالجار بالإحسان بالآخرين، وقرن الإحسان بعبادة الله وحده لا يشركون به شيئا، فقال: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين

---

(١) الفروق، للقرافي ١٥/١ .

(٢) انظر: غير المسلمين في المجتمع الاسلامي ليوسف القرضاوي ص٦ .

والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل). (١)

وإن ذلك بملاريب يستقرب النفوس ويؤلفها، واذا تآلفت النفوس سهل وصول الحق إليها، ودخل إلى القلوب من أبوابها. (٢)

وقد كان لعهود الأمان التي أعطاها الدعاة لأهل البلاد أثر في قبول الدعوة إذ أدرك الدعاة أن أمان الناس على أنفسهم وأموالهم أول ما يجب أن يشيع في نفوس السكان وأن يملأ عليهم آفاقهم، فتحريرهم من الخوف وانقاذهم من هذا القلق يأتي في مقدمة ما تهدف اليه الحركة الإسلامية. (٣)

---

(١) سورة النساء، الآية ٣٦ .

(٢) انظر: الدعوة الى الاسلام لأبي زهرة، ص٧٧، ٧٨ .

(٣) انظر: المجتمعات الاسلامية، لشكري فيصل ص٦٠ .

الخاتمـــــة

أما بعد :

فقـــد انـــتـــهـــى هـذا الجهد المـتـواضع الذي أحسب أنـي أظهرت مـن خلاله تـاريـخ الدعوة الإسلامية في بلاد الشام من بدايته إلى سنة ٢٣ للهجرة.

وبـعد الانـتـهاء مـنـه وصلت إلى بـعض النـتـائج مـن دراسة هذا المـوضوع، وسأعمـل على حصرها في هذا الخاتمة.

فـي هـذا البـحـث تـهيـأ لنـا الاطلاع على جهد الدعاة المـخلصيـن في حركـة الدعوة الإسـلامـيـة في هذه البـلاد في هذه الفتـرة التـي أثـمـرت - بـفضل الله تـعالى - أن صار البلد بلد إسلام، وأهله مسلمين إلى وقتنا الحاضر.

فلا غرابـة أن يـكـون هذا النـجاح إذا علمـنـا أن هذا الجيـش كـان على قـدر كـبـير مـن العلم والحكـمـة، تـزيـنـه الصفات الحسنـة والأخلاق الحمـيـدة، وقـد جمـع بـيـن هذا وبـيـن العـبـادة الخـالصـة الدائمـة لله تـعالى، وأن هذا الجيـش قـد عمـل جهده على اسـتـخـدام الوسـائـل والأساليـب التـي وجدها في القـرآن الكـريـم في دعوة العالمـيـن، وفـي سـيـرة النـبـي - صلى الله عـليـه وسلم - المـعلم الأول لهذا الجيـش - في معاملته مع المدعوين.

وعلى الرغم مـمـا قـابـله هؤلاء الدعاة مـن عقـبـات كـثـيـرة إلا أنهم تخطوها بحكمة بـالغة، وتـضحيـة نـادرة، عرفنـا مـن خلالهمـا أن البـاطل مـهمـا كـبـر فإنـه صغير أمام الحـق، وجـنـد الصدق، فقـد تـهدهدت قـوائم دولة البـاطل - وهي العظمـى في زمـانـها - أمـام تـكـبـيـرات الجنـد المـسلم الصالح في حيـن كـان الأكـاسرة يُـكـبكبُوْن على وجوههم أمـام الجـيـش الإسـلامـي الآخـر، فهاتـان الدولتـان العظيـمـتـان تـسقـطان على أيـدي الحفاة العراة جياع الأجباد، كما عبروا عنهم.

وأخيرا أقدم هذه التوصية للدعاة، وأقول لهم: إذا أردنا أن يكون لنا ما كان لهؤلاء الدعاة من النجاح والفلاح فلا بد أن نكون كما كانوا من حيث الصفات وتطبيق مبادىء الإسلام والأخوة، والانطلاق إلى العلم الصحيح والعبادة الخالصة.

كما أقترح على الكتاب وطلبة العلم التوجه إلى هذا العلم - أعني تاريخ الدعوة الإسلامية - للكتابة فيه، وإظهار جهود الدعاة في الأقطار التي وصلوا اليها - بفضل الله تعالى - ثم بعزمهم الدائب، لأن في هذا إطلاعا للأجيال على ما فعله الأجداد، ولأن فيه أيضا تربية للكاتب نفسه، وإثراء لفكره وعلمه.

هذا، وأسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، انه القادر على ذلك، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

الفهارس

الفهـــــــارس

- فهرس الآيات .

- فهرس الأحاديث .

- فهرس الأعلام .

- فهرس الأماكن والبلدان.

- فهرس المصادر والمراجع .

- فهرس الموضوعات .

فهـــرس الآيات

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع ...	١٨٦	١٦٨
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين	١٩٠	٦١
سورة آل عمران		
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ...	٥٩	٨٦
قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم.	٦٤	٣٨
وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين	١٤١	٥٢
وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ..	١٥٩	٥٨
سورة النساء		
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ..	٣٦	١٩٣-١٩٤
يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله..	١٧١-١٧٢	٨٦
سورة المائدة		
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ..	٣	٥٣
ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ..	٦	١٥٧
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا	٨	٦٠
سورة الأعراف		
ادعوا ربكم تضرعا وخيفة انه لا يحب المعتدين	٥٥	١٦٨
ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده	١٢٨	٨١
سورة الأنفال		
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال ..	١٦	١٧٤

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ...	٦٥	١٧٥
الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ..	٦٦	٢٠
سورة التوبة		
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...	٢٩	٨-٩
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا ..	٥١	٩٠
ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ...	١١١	١٨٨
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار	١١٧	٩
سورة يونس		
وما كان لنفس أن تؤمن الا بالله ...	١٠٠	١٥٢
سورة يوسف		
فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين	٦٤	١٥
سورة النحل		
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم ..	١٢٥	٧٨
سورة الاسراء		
وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا	٣٤	٦١
ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ..	٧٠	١٦٠
سورة الكهف		
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر	٢٩	١٥٢
سورة طه		
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى	٤٤	٧٨

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ..	٥٥	٩٧
سورة الحـج		
ان الله يدافع عن الذين آمنوا	٣٨	٢٢
سورة النور		
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات	٥٥	١٣٢-١٣٣
سورة العنكبوت		
ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن	٤٦	٧٨، ١٥٣
سورة الروم		
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله	٣٠	١٥٩
سورة الممتحنة		
لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ..	٨	١٩٢
سورة الصف		
ان الله يحب الذي يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص	٤	١٦٣

فهـــرس الأحاديـــث

الحديث	الصفحة
اذا رأيتم المداحين فاحثوا في أفواههم التراب	١٣٥
أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدها في دين الله عمر	١٣١
ان جنازة مرت على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقام لها	١٦٠
أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عاد يهوديا وعرض عليه الاسلام	١٩٢
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجعفر: أشبهت خلقي ..	١٢٣
انصر أخاك ظالما أو مظلوما	١٥٦
ان لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة	١١٤
ان الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا	١٥٤
بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبدالله الى هرقل عظيم الروم	٣٨
بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبدالله الى هرقل عظيم الروم	٤٧
جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا	٩٧
خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفر والمنافقين	١٣٨
خذوا القرآن من أربعة	١٣٠
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يغزو بأم سليم	٦٥
لا ايمان لمن لا دين له	٦١
لا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة	٣٠
لما ارتفع أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - اسلام عمرو بن العاص	١٢٤
ليس منا من دعا الى عصبية	١٥٦
ما من مولود الا يولد على الفطرة	١٥٩

الحديث	الصفحة
مرحبا بالراكب المهاجر	١٤١
والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها	١٥٦، ١٥٧
ونصرت بالرعب	١٧٦

فهرس الأعـــــلام

العلم	الصفحة
حرف الألـــف	
آدم ميتز	١٠٥، ١٠٧، ١١٠
ابلياييف	١٨٢
أبي بن كعب	١٣٠، ١٣٥، ١٩٠
الأرطبون	٤٦، ١٢٦
الأرقم بن أبي الأرقم	١١٤
الأزدي	١٦
أسامة بن زيد	١٠، ١١، ٦١، ٦٣
ابن أبي سبرة الغساني	١٨
أكيد دومة الجندل	٤٢، ٤٣
أبو أمامة الباهلي	٤٤
أنس بن مالك	٥٣، ٦٥
أبو أيوب الأنصاري	١٣٥
حـــرف البـــاء	
البخاري	١٣٦، ١٩٢
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	٩، ١٠، ١١، ١٢، ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٥٣، ٥٦، ٦١، ٦٢، ١٢٤، ١١٩، ١٣١، ١٤٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٧

العلـــــــم	الصفحـــــــة
حـرف التـــاء	
تايلور	١٥٨
تذارق	٩٦
ترتون	١٠٩
التنوخي	١٤٨
توماس آرنولد	١١٠، ١١١، ١٤٦، ١٥٨، ١٨٠
حـــرف الجيـم	
جبلة بن الأيهم	١٧، ٥٧، ٤٦، ٧٤
جرجـــه	١٦، ٥٥، ٨١، ٨٢، ١٢٠، ١٤٩، ١٥٠
جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه	١٢٥، ١٢٣
حـــرف الحـــاء	
الحارث بن عمير الأزدي	١٧
الحارث الغساني	٤٤
الحارث بن هشام	٢١
حكيم بن هشام	١٥٤
حـــرف الخـــاء	
خالد بن سعيد رضي الله عنه	١٢، ١٦٥
خالد بن الوليد رضي الله عنه	١٨، ٢٠، ٥٠، ٥١، ٥٧، ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٩٥، ٩٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٤٩، ١٥٣، ١٦٦، ١٧٠، ١٧١، ١٧٥، ١٩٠
خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها	٦٥

العلـــــــم	الصفحـــــــة
	حـــرف الـــدال
داود عليه السلام	٣٠
دحية بن خليفة الكلبي	٦،٧،١٧،٣٨،٤٧
درابر	١٠٩
أبو الدرداء	٢٦،٢٨،٣٢،١٢٨،١٢٩،١٣٥
الدينجار	١٧٨،١٧٩
	حـــرف الـــراء
روبرنس	٧١
ريتون	١٠٩
	حـــرف الـــزاي
الزهري	١٥٩
زيد بن حارثة رضي الله عنه	١٢٣،١٢٤
	حـــرف الســين
سالم مولى أبي حذيفة	١٣٠
سعيد بن زيد	٨٦
أبو سفيان	٦،٧،١٥،٥٥،٥٦،١٣٩،١٦٩،١٧١
سلمان الفارسي رضي الله عنه	١٣٩
سيد قطب	١٥٩
أم سليم	٦٥
السير مارك سايس	١٠٩

العلـــــــم	الصفحـــــــة
حـــرف الشـــين	
شجاع بن وهب	٤٤،٤١،٧
شرحبيل بن حسنة	١٦٧
شرحبيل بن عمرو الغساني	١٧
شكري فيصل	١٨١
حـرف الطـــاء	
الطبري	١٦٨
طلحة بن أبي طلحة	١٢٨
حـــرف العيـــن	
عائشة بنت أبي بكر الصديق	١٢٣
عبادة بن الصامت	١٣٦،١٣٥،١٢٧،٣٢،٢٨،٢٦
عبدالله بن رواحة رضي الله عنه	١٢٣،٥
عبدالله بن سلام رضي الله عنه	١٢٩
عبدالله بن عمر رضي الله عنهما	١٢٣
عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما	١٣٠
عبدالله بن عباس رضي الله عنهما	١٠٢
عبدالله بن قرط رضي الله عنه	١٧٠
عبدالله بن مسعود رضي الله عنه	١٦٦،١٣٠،١٢٩
عبدالرحمن بن معاذ	٦٤،٦٠،٢١

العلـــــــم	الصفحـــــــة
عبدالرحمن بن عوف	٣،٤٣
أبو عبيد بن سلام	١٩٠
أبو عبيدة بن الجراح	٢١،٣١،٣٩،٤٠،٤١،٤٤،٤٧،٥٠،٥١،٥٦،٥٧،٥٩،٧٠، ٧٦،٧٩،٨١،٨٤،٨٥،٨٨،٨٩،٩٠،٩١،٩٢،٩٣،٩٤،٩٥، ٩٦،١٠٢،١٠٣،١٠٥،١٠٦،١٠٧،١١٠،١٢٥،١١٧،١١٨، ١١٩،١٢٠،١٣١،١٣٢،١٤٦،١٦٧،١٧٠،١٧٢،١٧٣
عثمان بن عفان رضي الله عنه	٩،١٠٩
عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه	١٤١،١٤٢،١٨٩
علي بن أبي طالب	١٢٢
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٩،١٠،٢٨،٢٩،٣٠،٣٢،٥٦،٦٠،٦٣،٨٨،٩٠،٩١،٩٢، ٩٤،١٠١،١٠٢،١٠٣،١٠٤،١٠٥،١٠٦،١٠٧،١٠٩،١٢٦، ١١٥،١١٦،١١٩،١٢٨،١٣١،١٥٣،١٦٤،١٧٠،١٩٠،١٩١
عمرو بن الطفيل رضي الله عنه	١٨٩
عمرو بن العاص رضي الله عنه	٧،٣٩،٤٦،٥٤،٥٦،٧١،٧٢،٧٦،٩٥،١٢٤،١٢٥،١٢٦، ١١٨،١٢١،١٦٤،١٦٧،١٧٤
عياض بن غنم الفهري	٣١
عيسى بن مريم عليه السلام	٨٦
حـــرف الغيـــن	
غوستاف لوبون	٧١،١٦١

العلـــــم	الصفحـــــة
	حـــرف الفـــاء
فروة الجذامي	٤، ١٤، ١٥، ٤١
	حـــرف القـــاف
قبابة بن أسامة	٦٠، ١٨٨
قباث بن أشيم	١٧، ١٨٩
القبقلار	١٧٧، ١٧٩
القرافي	١٩٢
القرطبي	١٥٩
قيس بن هبيرة المرادي	١١
قيصر	١٦، ٣٨
ابن القيم	١٠٠
	حـــرف الكـــاف
ابن كثير	٩١، ١٦٧
كســـرى	١٧٦
كعب الأحبـــار	٢٩
كعب بن عمير الغفاري	٣، ٤، ١٤
	حـــرف الميـــم
ماهان	٥٠، ٧٣، ٧٤، ٧٩، ٨١، ٨٥، ٩٥، ٩٦، ١٢٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧
محمد بن سلمة	٢
محمد صلى الله عليه وسلم	٣٨، ٧١، ٨٠، ٨٢، ١١٤، ١٢٣

العلـــــــم	الصفحـــــــة
محمد النقيرة	١١٨
أبو مسلم الخولاني	١٣٢،٢٨، ١٩١
مسلم	١٣٦، ١٦٠
مسيلمة	١٢٩
معاذ	٢١، ٢٧، ٢٨، ٤٧، ٥٠، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٧٢، ٧٣، ٨٣، ٨٦، ٩٣، ٩٧، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، ١٦٧، ١٦٩، ١٧١، ١٩٠، ١٩١
معاوية	٢٨، ٣٢، ١٣٥، ١٤٠
المنذر بن الحارث بن أبي شمر	٧، ٤١
حـــــرف النـــون	
النجاشي	١٢٤
حـــــرف الهـــاء	
هراكليوس	١٠٧
هرقل	٥، ٦، ٧، ٨، ١٥، ١٧، ٢٩، ٣٨، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٧٠، ٩٨، ١٢٥، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦
الهنيد بن عوض	١٧
أبو هريرة رضي الله عنه	١١، ٥٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٧٢
هشام بن العاص	٤٥، ٤٦، ٧٤
هند بنت عتبة	٦٦
هربير ديشان	١٥٨

العلـــــــم	الصفحـــــــة
	حـــرف الـلام
لبنى بنت جرير الحميرية	١٧٣
	حـــرف الـواو
ولز	١٠٩
الوليد بن عقبة	٥٤
	حـــرف اليـاء
يانوس	١٦١
يحنة بن روبه	٤١
يحيى بن زكريا	٣٠
يزيد بن أبي سفيان	١٢، ٢١، ٢٦، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٤٤، ١٢٧، ١٣٥، ١٤٠، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٧
يوحنـا	٣٠، ٣١
يوسف القرضاوي	١٠٥

فهـــرس الأماكـــن والبلـــدان

أحد ١٣٠

الأردن ٢٥، ٢٨، ٣٩، ٤٠، ١٣٣، ١٤٦

ارمينيا ١٨٣

افريقيا ١٨٣

انطاكية ١١٨، ١٢٠، ١٧٧

ايله ٤١

ايلياء ٢٩، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٧٦، ١٠٣، ١١٦، ١١، ١٢٠، ١٥٣، ١٦٥

حـــرف البـــاء

بـــدر ١٢٧، ١٣٠

بصـرى ١٧، ١٢٢

بعلبك ٣١، ٧٠، ١٠٤

البلقاء ٥، ٨، ٧٢، ٨٤

بيت المقدس ٢٩، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١٢٠، ١٤٧، ١٦٤

بيزنطـا ١٨٣

بيسـان ١١٥، ١٢٦، ١١٧

حـــرف التـــاء

تبوك ٨، ٤٧

تدمـــر ٧٥، ١٧٠

حـــرف الجيـم

الجابية ١١٧، ١١٩، ١٩٠، ١٩١

جبل طيء ١٩

الجـرف ١٠

الجزيرة العربية ١٤٦

حـــرف الحـاء

الحبشـــة ١١٤، ١٢٢

حلـب ٣١، ٣٢، ١١٥، ١١٧

حمـص ١٨، ٢٨، ٣١، ٥٩، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٧، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٠،
١٢٧، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٧، ١٥٤، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١

حـــرف الخـاء

خيبـر ١٣٧

حـــرف الدال

دمشـق ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٢، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٢٥، ١١٤، ١٢٧،
١٣٢، ١٤٧، ١٨٢، ١٩٠، ١٩١

دومة الجندل ٢، ٤٢

دمـر ١٣٦

حـــرف الذال

ذات أطلاح ٣، ٤٣

ذات السلاسل ٨

حـــرف الـراء

الرستـــن ٣١

الرقـــة ١٨٦

حـــرف الســين

سواد الأردن ٨٤،٧٢

سوريـــة ١١٥،١٠٨،٧١

حـــرف الشـين

الشام ٦،٨،١٠،١١،١٣،١٤،١٦،١٩،٢٠،٢١،٢٦،٢٨،٣٠،٣٢،
٣٦،٣٧،٤٣،٤٦،٥٢،٥٣،٥٤،٦٥،٨٨،١٠٨،١٢٤،١٢٥،
١١٥،١١٦،١١٩،١٢٧،١٢٩،١٣١،١٣٥،١٣٦،١٣٧،١٣٩،
١٤٢،١٤٦،١٥٠،١٥١،١٧٦،١٨٨،١٩١

حـــرف الطـاء

طبرية ١١٥

حـــرف العيـــن

عانات ١٥٣

العراق ١٨،٢٠،١١٩

العريش ١٩

العقبة ٩٠،١٣٠

حـــرف الغيـــن

غمر العربات ١٢٥

حـــرف الفـــاء

فحل ٤٧، ٥٧، ٧٢، ٧٦، ٨٣، ٩٣، ٩٧، ١١٠، ١٢٦، ١١٥، ١١٦،
١١٧، ١٣٢، ١٤٢، ١٤٦

فلسطيـــن ٧١، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٥

حـــرف القـــاف

قبرص ١٢٨

قيصر خالد ١٣٣

قنسرين ٢٨، ٣٢، ١١٧

حـــرف الـــلام

اللاذقيـــة ٣١، ٣٢

حـــرف الميـــم

مآب ٤٤

مؤتـــة ٤، ١٠، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٧

المدينة ٣، ١٠، ١٤، ٥٤، ٥٥، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٧، ١٤٠

مرج الصفر ١٤٢

مصـــر ١٨٣

معـــان ٥

مفازة الموت ١٦٦

منبج ١٤٧

نجـــران ١٠٥

حـــرف النـــون

اليرموك ..... ٣٩، ٤٣، ٥٠، ٥٩، ٦٠، ٧٩، ٨١، ٨٥، ٨٩، ٩٦، ١٢٥، ١٣٦،
١١٥، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٩، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٨

حـــرف الـــواو

وادي جهنـــم ٢٩

فهـــرس المصـــــادر والمراجـــــع

حـــــــرف الألـــــف

- القرآن الكريـم
- أبـو عبـيـدة بـن الجراح القـائد الفذ، مـحمـد ابـراهيـم نـصر ومـحمد مصطفى سلام، دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض .
- اتـمـام الوفـاء فـي سـيـرة الخلفاء لمـحمـد الخضري بـك، دار الكـتـب العلمـيـة - لبنان، تحقيق عبدالمنعم العاني - الطبعة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣ .
- أخـبـار عمـر بـن الخطاب - رضي الله عنـه - لعلي الطنـطاوي ونـاجي الطنـطاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- الأدب المفرد، البخاري . الطبعة الأولى - المطبعة النازية.
- أسـبـاب نـجاح الدعوة، عبـدالله مـحمـد المـوسى، عالم الكـتـب - الريـاض، الطبـعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الاستيعاب بحاشية الاصابة، طبعة السعادة،الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، المكتبة الاسلامية - بطهران.
- الاسلام ومشكلات الحضارة، سيد قطب، دار الشروق.
- أشهر المساجد، سيد عبدالمجيد، مطابع سحر - شارع الملك خالد، جدة.
- أشـهـر مـشـاهـيـر الاسلام، لرفيـق العظم، دار الفكـر العربـي - الطبـعة الثـانـيـة ١٩٧٢-١٩٧٣م.
- الاصابـة في تـمـيـيـز الصحابـة، لابـن حجر العسقـلانـي، طبـعة دار نـهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة. مطبعة مصطفى محمد ١٣٥٨-١٩٣٩ .

- أصول التربية الاسلامية وأساليبها - عبدالرحمن النحلاوي، طبعة دار الفكر ١٣٩٩-١٩٧٩ .

- أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، دار عمر بن الخطاب في الاسكندرية.

- أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي، طبعة الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- الأعلام للزركلي، دار الكتاب العربي - بيروت، لبنان ١٣٨٧-١٩٦٧

- أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.

- الأقاليم، للاصطخري .

- امتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحق والمتاع، لتقي الدين المقريزي، دار الأنصار - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

- الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد خليل هراس، دار احياء التراث الاسلامي بقطر، أو مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، دار الفكر ١٣٩٥هـ.

- أوضح المسالك لابن هشام، دار الجيل - بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٩٩، ١٩٧٩م.

- انتشار الاسلام في شرقي افريقية ومناهضة الغرب له، محمد النقيرة، دار المريخ للنشر .

حرف الباء

- البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م

حـــرف التـــاء

- تاريخ الأمم والملوك، للطبري، دار سويدان ، بيروت - لبنان.
- تـاريـخ الدعوة الاسلامـي، جمـيـل المـصري، مـكـتـبـة الدار بـالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٧، ١٩٨٧م .
- تاريخ دمشق لابن عساكر، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٧هـ.
- تاريخ الدولة العربية، فلهاوزن، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨م
- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، فيليب حتي، دار الثقافة - بيروت .
- تـاريـخ الشعوب الاسلامـيـة، كـارل بـروكـلمـان، تـرجمـة نـبـيـه أمـيـن فارس، ومنير البعلبكي، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين - بيروت .
- تاريخ فتوح الشام للأزدي - تقديم عبدالمنعم عامر، مؤسسة سجل العرب.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، طبعة دار احياء التراث العربي .
- تـذكـرة الدعـاة، البـهي الخولي، دار القـلم - دمـشق وبـيـروت، مـكـتـبـة الفلاح الكويت.
- ترتيب القاموس المحيط، الطاهر أحمد الزاوي، طبعة دار الفكر.
- تفسير المراغي، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار صادر - بيروت .

حـــرف الجيـــم

- جامـع البـيـان في تـفسيـر القـرآن للطبـري، طبـعة دار المـعرفة، بـيـروت - لبـنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ.
- الجامـع الصحيـح للتـرمـذي، دار الفكـر، الطبـعة الثـانـيـة، ١٤٠٣ه - ١٩٨٣م، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان.

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بالقاهرة، ١٣٨٧هـ.

حرف الحاء

- الحجاب، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر .
- حجة الله البالغة، لعبدالرحيم الدهلوي، المكتبة السلفية بلاهور باكستان.
- حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول، شكري فيصل، الطبعة الثالثة ١٩٧٤ دار العلم للملايين - بيروت.
- حروب الاسلام في الشام، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.
- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، آم ميتز، دار الكتاب العربي - بيروت، لبنان.
- حضارة العرب، غوستاف لوبون، دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- حكمة الدعوة، رفاعي سرور، مكتبة وهبة، ١٤ شارع الجمهورية، عابدين - القاهرة.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم، طبعة دار الكتاب العربي ١٣٨٧ - ١٩٦٧ بيروت، لبنان.
- الحواضر الاسلامية الكبرى، عصام الدين عبدالرؤوف، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٧٦م .

حرف الخاء

- الخراج، أبو يوسف، نشر المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة السادسة ١٣٩٧هـ.

- خطط الشام، محمد كرد علي، دار العلم للملايين - بيروت، ١٣٨٩-١٩٦٩ .
- الخلفاء الراشدون، عبدالوهاب النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الخلفاء الراشدون، أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة عابدين.

حـــــرف الـدال

- الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبدالبر، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، ١٣٨٦-١٩٦٦م .
- الدعوة الاسلامية أصولها ومبادؤها، أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت .
- الدعوة الاسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، محيي الدين الألواني، دار القلم، دمشق ١٣٩١-١٩٧١ .
- الدعوة الى الاسلام، توماس آرنولد، طبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٠ .
- الدعوة الى الاسلام تاريخها في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن، أبو زهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٣ دار الفكر العربي.
- الدعوة الى الله تعالى، خصائصها مقوماتها مناهجها، أبو المجد نوفل، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة، مصر ١٣٩٧-١٩٧٧م .
- الدعوة والانسان، عبدالله الشاذلي، المكتبة القومية الحديثة، طنطا.
- الدليل الأخضر والآثار في سورية، أكرم وفؤاد الساطع، طبعة دار الفكر ١٩٧٥ عن طريق رسالة ماجستير: القبائل العربية في بلاد الشام، لسعد الجريد.

- دور المرأة في المجتمع الاسلامي، توفيق علي وهبه، دار اللواء - الطبعة الثالثة ١٤٠١،١٩٨١ .

- دور المسجد في الاسلام، على مختار، من مطبوعات رابطة العالم الاسلامي، السنة الثانية ١٤٠٢ جمادى الأولى، العدد ١٤ .

حرف الراء

- ركائز الاعلام في دعوة ابراهيم عليه السلام، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، لم يطبع بعد.

- الروض الأنف، للسهيلي، دار الكتب الحديثة.

حرف الزاي

- زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الاسلامية، - تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤٠١،١٩٨١ .

حرف السين

- سنن أبي داود، الطبعة الأولى ١٣٩٤ دار الحديث، حمص - سورية.

- السنن الكبرى، للبيهقي، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف بحيدر آباد، الدكن - الهند، سنة ١٣٥٦هـ.

- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣ .

- السيرة النبوية، لابن كثير، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.

- السيرة النبوية، لابن هشام، دار الفكر، القاهرة.

حـــرف الشـــين

- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الحنفي، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ من مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

حـــرف الصـــاد

- الصحابة الأعلام ممن دفن منهم في الشام، محمد رياض خورشيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٠-١٩٨٠ .
- صحيح البخاري، المطبوع مع فتح الباري، طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
- صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة دار الفكر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩-١٩٧٨ .

حـــرف الطـــاء

- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، ودار بيروت .
- الطريق الى دمشق، أحمد عادل كمال، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٢-١٩٨٢م .

حـــرف الفـــاء

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، طبعة دار احياء التراث العربي.
- الفتح الرباني بترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني، لأحمد بن عبدالرحمن البنا، دار الشهاب، القاهرة.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، طبعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، لبنان، بيروت.
- فتوح البلدان، للبلاذري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الفروق، للقرافي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الفصول في اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ابن كثير، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، / دار القلم، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩-١٤٠٠هـ.
- فضائل بيت المقدس، محمد ابراهيم، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- الفوائد، ابن القيم، مكتبة الرياض الحديثة.
- فن نشر الدعوة مكانا وزمانا، محمد زين الهادي العرماني، دار العاصمة - الرياض.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق.

حـــرف القـــاف

- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، دار الجيل، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- القدوة الصالحة وأثرها في الدعوة، علي حسين القرني، رسالة ماجستير من قسم الدعوة في كلية الدعوة والاعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

حـــرف الكـــاف

- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت .
- كـتـاب الفتـوح، لابـن أعثـم الكـوفي، الطبـعة الأولى، مـطبـعة مـجلس دائرة المـعارف العثمانية بحيدر آباد - الدكن، الهند .
- الكشاف للزمخشري، دار الفكر، بيروت .

حـــرف الـــلام

- لسان العرب، ابن منظور، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٨-١٩٦٨ .

حـــرف الميـــم

- مـــاذا خسر العالم بـانـحطاط المـسلمـيـن، أبـو الحسن النـدوي، دار القـلم، الكـويـت، الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٢،١٩٨٢ .
- المـــجـتـــمـعات الاسلامـيـة في القـرن الأول، نـشأتـها، مـقـومـاتـها، تـطورها اللغوي والأدبي، شكري فيصل، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين - بيروت.
- مـــجمـع الزوائد ومـنـبـع الفوائد، للهيـثـمـي، طبـعة دار الكـتـاب العربـي، الطبـعة الثالثة، ١٤٠٢،١٩٨٢ .
- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، اشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.
- مجموعة رسائل الامام حسن البنا، دار الشهاب .
- مختصر تفسير ابن كثير، محمد بن علي الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت.

- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، نشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١-١٩٨١ .
- مستدرك الحاكم، مكتب المطبوعات الاسلامية، حلب .
- المشترك وصفا والمفترق صقعا، ياقوت الحموي، مكتبة المثنى - بغداد.
- المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، الدار السلفية.
- المصنف، عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى.
- المعارف ، ابن قتيبة، الطبعة الأولى ١٣٥٣-١٩٣٤، المطبعة الاسلامية، مصر، القاهرة.
- معاذ بن جبل امام العلماء، د. ابراهيم نصر، ومحمد مصطفى سلام، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض.
- معارك خالد بن الوليد رضي الله عنه، ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٨١ .
- معالم الثقافة الاسلامية، عبدالكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ.
- المعرفة والتاريخ، الفسوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الارشاد، بغداد ١٣٩٤هـ.
- معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥ .
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار بيروت للطباعة والنشر.

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، مطبعة بريل، في مدينة ليدن، سنة ١٩٤٣ .

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، مكتبة المعارف، الرياض.

- معجم المعالم الجغرافية، عاتق بن غيث البلادي، دار مكة.

- المعوقون للدعوة الاسلامية في عهد النبوة وموقف الاسلام منهم، د. سميرة جمجوم، دار المجتمع للنشر والتوزيع، طبعة ١٤٠٧-١٩٨٧ .

- المغازي للواقدي، طبعة عالم الكتب، بيروت، تحقيق مارسدن جونس.

- مفتاح الصحيحين، دار الكتب العلمية.

- مكاتيب الرسول صلى الله عليه وسلم، علي الأحمدي، دار المهاجر، بيروت.

- من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧-١٩٧٧ .

- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية.

- موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، أحمد شلبي، الطبعة السادسة، ١٩٧٤ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

- ميادين الدعوة ومجالاتها، د. أحمد بابطين، لم يطبع بعد.

حرف النون

- نحو أسلوب أمثل للدعوة الاسلامية، محمد بن محمد عمارة.

- نسب قريش، مصعب الزبيري، طبعة دار المعارف .

حرف الهاء

- هذا الدين، سيد قطب، طبعة ١٣٨٩، ١٩٧٠م .

حـــــرف الـــــواو

- الولاء والبراء في الاسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد القحطاني، دار طيبة، الرياض، تقديم عبدالرزاق عفيفي، الطبعة الأولى.

حـــــرف اليـــاء

- اليرموك بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، شوقي أبو خليل، دار الفكر.

فهـــــرس الموضـــــوعـــــــات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	أ
التمهيد	ل
الفصل الأول: بداية الدعوة والعقبات التي واجهتها	١
المبحث الأول : نبذة عن بداية الدعوة في الشام	٢
تمهيد	٢
أولا : الدعوة باتجاهها الى الشام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم	٢
أ - خروجه - صلى الله عليه وسلم - الى دومة الجندل	٢
ب - بعث عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - الى دومة الجندل	٣
ج - بعث كعب بن عمير الغفاري رضي الله عنه	٣
د - غزوة مؤتة	٤
هـ- ارسال دحية الكلبي - رضي الله عنه - الى هرقل	٦
و - بعث شجاع بن وهب رضي الله عنه	٧
ز - بعث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - الى ذات السلاسل	٧
ح - خروجه الى تبوك	٨
ثانيا : انفاذ أبي بكر جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهم	١٠
المبحث الثاني: العقبات في طريق الدعوة	١٤
تمهيد	
أولا: المؤامرات ضد الدعاة وأتباعهم	١٤
ثانيا: العرب المتنصرة	١٦
- أنواعهم	١٦

الموضـــــوع	الصفحة
- مجابهتهم للدعوة سرا	١٦
- مجابهتهم للدعوة علنا	١٧
- التثبيط	١٨
ثالثا : الظروف المناخية والجغرافية	١٨
أ - الظروف المناخية	١٨
ب - الظروف الجغرافية	١٩
رابعا: كثرة الأعداء وقلة الدعاة	١٩
خامسا: تفرق الجيوش بادىء الأمر	٢٠
سادسا: تفشي الأمراض	٢١
الفصـل الثاني : الميادين والوسـائل	٢٣
المبحث الأول: الميادين	٢٤
تمهيد	
أولا : ساحة الجهاد	٢٥
ثانيا: المسجد	٢٦
- مهام المسجد في الدعوة	٢٧
- التعليم	٢٧
- تتبع أحوال المجتمع الاسلامي وحل مشكلاته	٢٨
- المساجد التي بناها الدعاة الفاتحون	٢٩
- مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٢٩

الموضـــــوع	الصفحة
- مسجد دمشق	٣٠
- مسجد حمص	٣١
- مسجد حلب	٣١
- مسجد اللاذقية	٣١
- مسجد قنسرين	٣٢
ثالثا : المدرسة	٣٤
المبحث الثاني : الوســـائل	٣٥
تمهيـــد	
المطلب الأول : الرسائل	٣٧
أولا : الرسائل الى هرقل	٣٨
ثانيا : الرسائل الى قادة الروم	٣٨
ثالثا : الرسائل الى عمال الروم من العرب	٤١
المطلب الثاني : الرسل	٤٣
أولا : ارسال الرسل ابتداء من المسلمين	٤٣
ثانيا : ارسال الرسل يطلب من الروم	٤٧
المطلب الثالث : الجهاد	٥٢
أولا : كيف بدأ الجهاد في الشام	٥٣
ثانيا : أركانه ودعائمه	٥٥
أ - الوضوح	٥٥
ب - الشورى	٥٨

الموضـــــوع	الصفحة
ج - التضحيـة	٥٩
د - الانصاف	٦٠
هـ- الرحمة	٦٢
ثالثا: المشاركون فيه	٦٣
أ - الخليفة	٦٣
ب - أهل الأقطار	٦٣
ج - الغلمان	٦٤
د - النساء	٦٤
الفصل الثالث : الأســاليب	٦٧
تمهيد	
المبحث الأول: الدعوة بالترغيب والترهيب	٦٩
اولا : الترغيب	٦٩
ثانيا: الترهيب	٧١
أ - مع القادة	٧١
ب - الرسائل في الترهيب	٧٦
المبحث الثاني : المجادلة بالحسنى	٧٨
تمهيد	
الفئة الأولى قادة الروم والمسلمين	٧٩
الفئة الثانية بين رسل الروم والمسلمين	٨٣

الموضـــــوع	الصفحة
المبحث الثالث : الدعوة بالقدوة	٨٨
أولا : القدوة في القادة خارج حصون الروم	٨٨
أ - القدوة في أمر المؤمنين عمر رضي الله عنه	٨٨
ب - القدوة في أبي عبيدة رضي الله عنه، القائد العام	٩٣
ج - القدوة في عامة الجيش	٩٥
ثانيا: القدوة في الرسل من الدعاة	٩٦
ثالثا: شهادة الكافرين	٩٨
المبحث الرابع : المعاملة الحسنة	١٠١
أولا : التحري في اختيار الولاة	١٠١
ثانيا: احترام المعابد	١٠٢
ثالثا: حماية الأبدان والأعراض	١٠٤
رابعا: الحرية الاقتصادية	١٠٥
خامسا: حماية الممتلكات	١٠٦
سادسا: التخفيف في فرض الجزية	١٠٦
سابعا: التسامح	١٠٨
ثامنا: الفرق بين المعاملة الحسنة والموالاة	١١١
الفصل الرابع : أشهـــر الدعاة	١١٢
تمهيد	
المبحث الأول : أشهر الدعاة من القادة	١١٤

الموضـــــوع	الصفحة
أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه	١١٤
- التعريف به	١١٤
- أبو عبيدة في الشام	١١٥
- وفاتـه	١١٦
خالد بن الوليد رضي الله عنه	١١٨
- التعريف به	١١٨
- خدمته للدعوة	١١٨
- وفاتـــه	١٢٠
جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه	١٢٢
- التعريف به	١٢٢
- وفاتـه	١٢٣
عمرو بن العاص رضي الله عنه	١٢٤
- التعريف به	١٢٤
- عمرو - رضي الله عنه - في الشام	١٢٤
- وفاته	١٢٦
المبحث الثاني : أشهر الدعاة من العلماء	١٢٧
أبو الدرداء رضي الله عنه	١٢٧
- التعريف به	١٢٧
- أبو الدرداء في الشام	١٢٧
- وفاتـــه	١٢٩
- علمه وروايته	١٢٩

الموضـــــوع	الصفحة
معاذ بن جبل رضي الله عنه	١٣٠
- التعريف به	١٣٠
- محل الثقة	١٣١
- معاذ - رضي الله عنه - في الشام	١٣١
- وفاتـــه	١٣٣
عبادة بن الصامت رضي الله عنه	١٣٥
- التعريف به	١٣٥
- عبادة في الشام	١٣٥
المبحث الثالث : أشهر الدعاة من الخطباء	١٣٩
أبو هريرة رضي الله عنه	١٣٧
- التعريف به	١٣٧
- أبو هريرة في الشام	١٣٧
- وفاتـه	١٣٨
أبو سفيان رضي الله عنه	١٣٩
- التعريف به	١٣٩
- أبو سفيان في الشام	١٣٩
- وفاته	١٤٠
عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه	١٤١
- التعريف به	١٤١
- عكرمة في الشام	١٤٢
- استشهاده	١٤٢

الموضـــــوع	الصفحة
الفصـل الخامس : نتائج الدعوة وعوامل نجاحها.	١٤٣
المبحث الأول : نتائج الدعوة هناك	١٤٣
تمهيد	
أولا : اتساع رقعة الاسلام	١٤٦
ثانيا: اقتناع أهل الشام بسياسة المسلمين	١٤٦
ثالثا: اسلام يعطي السكان اختيارا	١٤٨
رابعا: مشاركة الروم المسلمين في مسيرة الدعوة	١٤٩
خامسا: انتشار اللغة العربية	١٤٩
سادسا: الغنائم	١٥٠
المبحث الثاني : عوامل النجاح	١٥١
تمهيد	
المطلب الأول : محاسن الاسلام	١٥٢
أولا : لا اكراه في الدين	١٥٢
ثانيا: الشمول	١٥٤
ثالثا: العدل والمساواة	١٥٦
رابعا: اليسر والسهولة	١٥٧
خامسا: الوضوح	١٥٨
سادسا: الموافقة لفطرة الانسان	١٥٩
سابعا: اعتقاد كرامة الانسان	١٦٠
ثامنا: أقوال الكافرين في محاسن الاسلام	١٦١

الموضـــــوع	الصفحة
المطلب الثاني : الصفات البارزة في الجيش الاسلامي -	١٦٣
تمهيد	
أولا : القيادة الموفقة الذكية	١٦٣
ثانيا : احترام الجند وتطهيرهم من المعاصي	١٦٤
ثالثا : ثقة الجنود بالقيادة	١٦٥
رابعا : وجود فضلاء الصحابة وأثره على الجيش	١٦٦
خامسا : الأخـــوة	١٦٧
سادسا : اللجوء الى الله تعالى بالدعاء	١٦٨
سابعا : الاخلاص	١٦٩
١ - الاخلاص في الخطب	١٧١
٢ - الاخلاص في المواقف	١٧٢
ثامنا : الشجاعة	١٧٥
تاسعا : نصرهم بالرعب	١٧٦
عاشرا : الصفات التي شهد بها الأعداء	١٧٧
المطلب الثالث : الصفات البارزة في الجيش الرومي	١٨١
أولا : الضياع بالأهداف والغايات والخلاف أثر ذلك	١٨١
ثانيا : ظلم الجيش للشعب	١٨٤
ثالثا : الفجور	١٨٥
رابعا : الجبن والخور	١٨٦
خامسا : صفة الجيش بلسانهم	١٨٦

الموضـــــوع	الصفحة
المطلب الرابع : الجهود الدعوية الأخرى	١٨٨
أولا : تقديم الأنفس والأموال في سبيل الدعوة	١٨٨
ثانيا: نشر العلم بين المدعوين	١٩٠
ثالثا: الهجرة	١٩١
رابعا: حسن الجوار	١٩٢
الخاتمة	١٩٥
الفهارس	١٩٧
- فهرس الآيات	١٩٨
- فهرس الأحاديث	٢٠١
- فهرس الأعلام	٢٠٣
- فهرس الأماكن والبلدان	٢١١
- فهرس المصادر والمراجع	٢١٦
- فهرس الموضوعات	٢٢٩